سلسلة المنهاج ٢

في المفاهيم الاسلامية والحركية

تأليف

هاشم محمد

شركة الديار العربية التجارية
الكويت

المنهاج

في

المفاهيم الاسلامية والحركية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الناشر
شركة الديار العربية التجارية
الكويت ص. ب: ١٣٠٠ حولي 32013 تلفون : ٢٤٢٧٢٠٢/٣ فاكس : ٢٤٢٧٢٢٥ تلكس : ٣٠٩٦٦ مريم KT

هاشم محمد

٢١٤
م هـ م

المنهاج في المفاهيم الاسلامية والحركية

تقديم:
عبد الله عقيل سليمان العقيل

شركة الديار العربية التجارية
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ تقدمـة ـ

لقد عرفت مؤلف هذا الكتاب منذ سنين طويلـة فعرفت فيـه الغيرة على الإسلام من أن تنتهـك حرمـاتـه والغيرة على المسلمين من أن تسلب حقـوقهم ، والعطف على العـامـة من أن يستبـد بهم ذوو الأهـواء والحرص على العمـل الدؤوب لخدمة الإسلام والمسلمين في كل مجـال من المجـالات ، والتواضع الجّم مع الشبـاب وحسن عرض دعوة الإسلام عليهم وشحـذ طـاقـاتهم وإلهـاب عواطفهم واستنهاض عزائمهم واستثـارة هممهم فكان بحق شيخ الشبـاب وموجههم يـأنسون لحـديثـه ويستفيـدون من علمـه فـأجرىٰ الله على يـديـه الخير الكثير ونفـع بـه الشيب والشباب والرجال والنساء فكانت خطبه أيام الجمع ودروسه وحلقاتـه في المساجد تغص بطلبة العلم الذين يفدون إليه من مناطق الكويت المختلفة .

بل كانت رحلاته الدعوية وزياراته للأقطار العربية والإسلامية ذات أثر بـالـغ ونفـع عميم لمستـه بنفسي حين زرت تلـك البـلاد عقب زيـاة الشيـخ ورأيت إعجاب النـاس بخطبـه ومواعظـه ومحـاضراتـه ودروسـه فكانوا يطلبون بإلحاح تكرار زياراته لهم .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو الجزء الثاني من مؤلفه القيم (التـذكرة) تناول فقه مواضيع شتىٰ تصلح كزاد للسالكين ومنهج للعاملين وبرنامج للدعـاة ومفاهيم موحدة تجمع المسلمين على كلمة سواء وتوجههم نحو العمل الواحد البنـاء في إطار الجماعة المؤمنة الملتزمة بـالكتـاب والسنـة والسـائرة نحو تحقيق أهـدافها بإعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد وإقامـة شريعـة الإسلام وتطبيقهـا في واقع الحياة .

ولقـد استفـاد الكثيرون من الجـزء الأول من هـذا الكتـاب وأرجـو أن

تفيدوا من هذا الجزء فهو تكملة له وامتداد .

وأسأل الله عز وجل أن يجزي أخانا الكريم الشيخ هاشم محمد علي خير زاء على ما قدم لدينه وأمته وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأن يبارك عمره ويسدد خطانا وإياه لما يحبه الله ويرضاه .

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين ،،،،

عبدالله عقيل سليمان العقيل

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

مواضيـع كتـاب [المنهـاج]

الفهـــرس

أولاً : دين دعوة وداعية ١١
١ - الإسلام ١٣
٢ - الدعوة ١٨
٣ - الداعية محمد ﷺ ٢٥

ثانياً : زاد السالكين : - ٣٣
١ - الصلاة ٣٥
٢ - الصيام ٤٣
٣ - الحج ٤٩
٤ - الإنفاق ٥٧
٥ - الشهيد ٦٢
٦ - الدعاء ٦٨
٧ - التوبة ٧٣
٨ - الأخوة ٧٧
٩ - النصيحة ٨٢
١٠ - الخلق الحسن ٨٧
١١ - الاستقامة ٩٤
١٢ - الستر ١٠٠
١٣ - الوفاء ١٠٥

١٤ ـ العمل الصالح ١١١
١٥ ـ اليسر ١١٨
١٦ ـ الـزاد ١٢٣

ثاً : خطوط عريضة في العمل الإسلامي :- ١٣٣
١ ـ المسئولية ١٣٥
٢ ـ النقـد ١٤٢
٣ ـ الســرية ١٥٠

بعاً : نحو مفاهيم موحدة :- ١٥٩
١ ـ العالميـة ١٦١
٢ ـ الجهـاد ١٧٠
٣ ـ الطاعة ١٧٦
٤ ـ الحضارة ١٨٢
٥ ـ الجاهلية ١٨٦
٦ ـ الفوز والخسران ١٩٥
٧ ـ التغيير ١٩٩
٨ ـ الغـربة ٢٠٦

امساً : منعطفـــات :- ٢١١
١ ـ الإقليمية ٢١٣
٢ ـ الفتنـة ٢٢٠
٣ ـ هزال الروح ٢٢٦
٤ ـ الانحراف ٢٣١
٥ ـ الظـن ٢٣٩

٦ ـ الحزن ٢٤٥
٧ ـ المعصية ٢٥٢
٨ ـ اليـأس ٢٥٦
٩ ـ المكـر ٢٦٣

سادساً : أعــداء :ـ ٢٦٩
١ ـ اليهود ٢٧١
٢ ـ النصارى ٢٧٨
٣ ـ أهل الكتاب ٢٨٤
٤ ـ الشيوعية ٢٨٩

سابعاً : مناسبات متجددة :ـ ٢٩٣
١ ـ الإسراء ٢٩٥
٢ ـ الهجرة ٣٠١
٣ ـ بــدر ٣١٠
٤ ـ العيــد ٣١٤

أولاً :

دين ودعوة وداعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام

قال الله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١) .

الإسلام آخر الأديان ، ومحمد بن عبدالله ﷺ خاتم الأنبياء،والبشرية مطالبة بالاستسلام لهذا الدين ، والإيمان بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، وإلا فهو الخسران يوم القيامة .

فما الإسلام ؟ وهل نحن بحاجة إلى الإسلام ؟ وما أسباب غربة إسلامنا ؟

☆ أما الإسلام :

فهو الاستسلام لأمر الآمر ونهي الناهي سبحانه ، والمراد به هو الدين الذي جاء محمد بن عبدالله ﷺ من عند الله عز وجل .

وينبغي أن تعلم :-

١ - أنَّ كل منهج أو فكرة تخضع لها نفسك فقد جعلتها ديناً ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ثم قال ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (٢) فسمى عقيدة الكفر ديناً .

٢ - والقلب لا يتسع إلا لرب واحد يعبد قال تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ (٣) فلا يمكن الجمع بين الجاهلية والإسلام في آن واحد ، ولا بين منهج سماوي وآخر أرضي في الولاء ، فإما أن يكون العبد عبدالله وحده متجرداً له وإما أن يكون عبداً لغير الله سبحانه يستمد منه

---

(١) آل عمران : (٨٥) .

(٢) الكافرون : (٦) .

(٣) الأحزاب : (٤) .

الحكم والمنهج .

٣ - والإسلام نور الله ، ولو أوكل الله للبشرية حفظ دينه لضاع منذ زمن بعيد،ولكنه نور الله الذي تعهد حفظه بنفسه قال تعالىٰ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (١) ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (٢) .

☆ **وأقول : هل نحن بحاجة إلى الإسلام ؟ والإجابة : نعم فقد**

١ - ظهرت نظريات كالوجودية أو الإلحادية تدعوا إلى أن يتحرر الإنسان من كل خلق ودين ؛ لأنها قيود لحرية الإنسان وانطلاقته ، ونقول لهؤلاء إذا كنا نعترف بقانون السير والالتزام بالخطوط الأرضية واحترام الإشارات الضوئية مع ما فيها من تقييد لحرية الراغب في الانطلاق ، إيماناً بأن فيها مصلحة للجميع ، أفلا نتقيد بإسلامنا وهو ينظم صلة العبد بربه ، وصلة الإنسان بأخيه الإنسان وفق قواعد والتزامات تكفل حرية الفرد ، وتحيطها بسياج من المسئولية فلا تطغىٰ على حرية الآخرين .

٢ - ونحن بحاجة إلى إسلامنا حتى ننجو بأنفسنا من الأمراض العصبية ، والعقد النفسية ، فالمعروف أن أمراض قرحة المعدة والاثنى عشر والقولون والضغط وغيرها إنما سببها الهم والقلق والحزن ، فعند ما تعلم أن كل شيء يجري بمشيئته سبحانه :

أ - في رزقك وأجلك ، جاء في الحديث « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»(٣) .

ب - في مصائبك : قال تعالىٰ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٤) .

---

(١) التوبة : (٣٣) .
(٢) الحجر : (٩) .
(٣) رواه الحاكم
(٤) الحديد : (٢٢) .

ج - في صورتك قال تعالى : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[1] فأى راحة للقلب بعد ذلك تكون وأي اطمئنان إلى قضاء الله وقدره .

٣ - ونحن بحاجة إلى إسلامنا لأنه المنهج المتكامل ، فالمنهج يأخذ صفة واضعه، فشرع الله تعالى مُبرأ عن الجهل والظلم والمحاباة قال تعالى : ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[2]، ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[3] فالخلق كلهم عبيد الله ولا مصلحة لله تعالى في ذلك ، وأما مناهج البشر ففيها الجهل والظلم والمحاباة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾[4]، وقد سرقت امرأة من بني مخزوم على عهد رسول الله ﷺ فتوسط قومها أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ في أن يشفع لها فتوسط لها عنده فكلمه . غضب المصطفى غضبا شديدا وقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام إلى المنبر وقال: «أيها الناس، إنه من كان قبلكم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها[5]» ومنهج الله تعالى يحكم الحاكم والمحكوم فكلهم خاضعون لمنهج الله تعالى وأمره ، وأما مناهج البشر فإنها تحكم المحكوم فقط ولاتحكم الحاكم،لانه واضعها فيعطى لنفسه من الامتيازات والصلاحيات ما لايجوز، وهذه علة ضياعنا وهواننا .

٤ - ونحن بحاجة إلى إسلامنا حتى تنجو أمتنا من الجرائم في النفس والعرض والمال والعقل والدين بما ربى عليه أتباعه :

أ - من أن الكون مبنى على العدل جاء في الحديث : «كما تدين تدان» «بشر الزاني بخراب بيته ولو بعد حين» «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف

---

(١) الانفطار : (٨) .
(٢) الكهف : (٤٩) .
(٣) الزلزلة : (٨) .
(٤) الأحزاب : (٧٢) .
(٥) متفق عليه .

نساؤكم»[1] . وقد ذكر أن رجلاً رآه النـاس يضرب أبـاه في السوق ، فجـاءوا يحولون بين الوالد والولـد ، وينهرون الابن وفعلتـه فقـال لهم الوالـد : دعوا ولـدى يضربني فقـد كنت أضرب أبي في هـذا الموضع فسلـط الله عليّ ولـدي من بعـده . والعيـاذ بـالله من العقوق ، وقـد جـاء في الحـديث : «من أكرم شيخـاً لسنـه قيض الله من يكرمـه عنـد سنـه»[2] . وكثيراً مـا يعجـل الله العقوبة في الدنيا، ومسرحية الحيـاة مليئـة بـالعبر والعظـات ولكنهـا الغفلـة والجهل .

ب - ثم ربط القلوب باستشعار رقابـة الله المطلع على كل شيء ، فيستجيش فينا الحياء قال تعالىٰ ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[3] وأعلمنـا أن الشهود كثير . منهـا جـوارحنـا قـال تعـالى ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[4] لذا كان عقد التسبيح بـاليـد أفضل للحـديث «عليكن بـالتسبيح والتهليـل والتقـديس ولاتغفلن فتنسين الرحمـة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات»[5] .

☆ **وأما أسباب غربة إسلامنا :**

١ - فقـد أعلمنـا رسول الله ﷺ أن غربـة الإسلام سوف تكـون ، فقـال «بـدأ الإسلام غريبا وسيعود غريباً كما بـدأ فطوبى للغربـاء ، قيل : ومن الغربـاء يا رسول‌الله ؟ قال : الذين يصلحون ما أفسـد النـاس من بعـدي»[6] وهـذه الغربة إنما سببها نحن وذلك :

أ - حيث عـداء المسلمين أنفسهم لـدينهم ، فقـد أصبح خطر المسلمين على

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) العلق : (١٤) .
(٤) يس : (٦٥) .
(٥) رواه أصحاب السنن والحاكم بإسناد حسن .
(٦) رواه الترمذي .

إسلامهم أشد من خطر غير المسلمين ، للجهل المطبق بإسلامهم ؛ حيث أصبح الكثير ممن يتسمى بأسماء المسلمين ومن جلدتهم ، ولكن قد تربى على موائد الإلحاد والهدم فينقلب إلى حيوان كاسر يوجهه أسياده لنهش المسلمين بدعوى أنهم هم الإرهابيون والرجعيون ، والأمة تسير وراء كل ناعق ، فلا عقول ولا أبصار ولا أسماع ، الأمة تزمر وتطبل للقتلة المجرمين وتلعن علماءها وأكرم من على الأرض فيها وصدق الرسول ﷺ إذ يقول «سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيه الكاذب ويكذب فيه الصادق ، ويؤتمن فيه الخائن ويخون فيه الأمين وينطق فيه الرويبضة . وهو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»[1] .

ب - ثم انفصام الشخصية الإسلامية فقد أصبح لكل مقام حال ، فإذا دخل المسجد فهو العبد التقي الورع ، الخائف الساجد الراكع ، وإذا خرج فلا تقوى ولاورع ولا استشعار لرقابة الله سبحانه ، يشابه اليهود في خلقهم ، ولا تعرف الرحمة قلبه ، ولا العطف ، قيل لرسول الله ﷺ: فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ، ولكنها تؤذى جيرانها فقال عليه الصلاة والسلام: «دعوها إنها من أهل النار»[2] فما شرع الله التعبد إلا ليُنمي معاني الخير في نفوسنا ، قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[3] وقال: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[4] وجاء في الحديث: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[5].

---

(١) رواه احمد الحاكم .

(٢) رواه أحمد والبزار .

(٣) العنكبوت : (٤٥) .

(٤) البقرة : (١٩٧) .

(٥) رواه البخاري .

الدّعوة

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

الدعوة إلى الله تعالى فرض على كل متبع للمصطفى ﷺ سواء كان ذكراً أم أنثى كل بحسب حاله .

فما الدعوة ؟ وكيف تؤدى ؟ وما مكانة الداعية وصفته ؟ وما آداب الدعاة عند الاختلاف ؟ وما أسباب الاختلاف ؟

أما الدعوة : فهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

١ - وترك الدعوة موجب للعنة ، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[2].

٢ - ترك الدعوة موجب لمنع إجابة الدعاء للحديث « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»[3] .

٣ - ترك الدعوة موجب للعذاب الأليم للحديث : «إنّ القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب»[4] .

---

(١) يوسف : (١٠٨) .

(٢) المائدة : (٧٩) .

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

(٤) النسائي .

أما كيف تؤدى ؟ فالدعوة تؤدى على نحوين : -

١ - **فردية :** للحديث : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١].

٢ - **جماعية :** ولها دلائل من الكتاب ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ومن السنة «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»[٢] والقاعدة الفقهية «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» . ثم إن الواقع الجاهلي لا يستقيم بجهد فردي بل لابد من تلاقي الجهود والطاقات لاختصار عامل الزمن وقطع المراحل دون تبديد للطاقات والحفاظ على القلوب من تغيرها مع طول المدة .

وأما مكانة الداعية وصفته : -

١ - فالداعية إلى الله تعالىٰ من أعظم الناس أجراً للحديث «فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[٣] .

٢ - والداعية من أعظم الناس قولاً وأحسنه قال تعالىٰ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤] .

٣ - والداعية من أعظم الناس غيرة على دينه فليس في إيمانه بلادة ولا خمود بل هو إيمان متأجج فيه اللوعة وفيه الحرقة ولن تقر عينه بشيء من متاع حتى يرىٰ كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلىٰ ، يقول الفضيل بن عياض «إنَّ قلوب الأبرار لتغلى بأعمال البر وإنَّ قلوب الفجار لتغلي بأعمال الفجور والله يرى همومكم فانظروا رحمكم الله ما همومكم» .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أصول الدعوة ٤٤٦ .

(٣) متفق عليه .

(٤) فصلت : (٣٣)

٤ ـ والداعية من أبرأ الناس ذمة يوم القيامة والحساب ، حيث بلغ الأمانة وأدى الرسالة ونصح وبلغ ورغَّب ورهَّب فليس لأحد عليه حجة قال تعالىٰ ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١)

٥ ـ والداعية من أحق الناس بكرامة الله له ففي ذات مرة احتاج المسلمون إلى نصب معسكرهم في إحدىٰ غابات أفريقيا التي كانت تموج بالسباع والحشرات السامة ، فوصل عقبة بن نافع قائد الجيش إلى ناحية ببعض أصحاب رسول الله ﷺ ، فشكىٰ إليه الجند كثرة الهوام والسباع فصعد ربوة ونادىٰ : أيتها السباع أيتها الحشرات ، أيتها الهوام ، نحن أصحاب رسول الله ﷺ جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فارحلوا ، فإنا نازلون ،وما هي إلا لحظات قليلة إذ عمَّ هذا الخبر في أوساط هذه الحيوانات ، فارتحلت كلها وهي تحمل أولادها»(٢) .

٦ ـ والداعية من أعرف الناس بمقام الأنبياء والرسل ، وبتقدير جهادهم ، لأنه يقف موقفهم ، ويحسُّ بمعاناتهم من خلال إعراض المعرضين ، وسخرية الساخرين ، كما أنه يكون أكثر إدراكاً لقصص الأنبياء في القرآن الكريم ، وأكثر تأثراً بآيات الرجاء والتصبير والاحتساب .

٧ ـ والداعية هو الذي يعرف مواطن الداء ، ويتقن فنَّ إعطاء الدواء ، فليس بالفظ قال تعالىٰ ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٣)
وليس بالساذج الذي ما يفسده أعظم مما يصلحه بسوء أدبه وجفافه أو أن يضخم جانباً علىٰ حساب آخر قال تعالىٰ ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف : (١٦٤) .

(٢) أسباب سعادة المسلمين للكاندهلوي بتصرف ص ٥٩ .

(٣) آل عمران (١٥٩) .

(٤) البقرة : (٨٥) .

٨ ـ الداعية هو الذي يؤثر ولا يتأثر ، يؤثر في الناس بصدقه وإخلاصه وخلقه وعلمه وثباته ولا يتأثر بالمفاهيم الجاهلية التي يتعامل بها الناس أو يحتكمون إليها من إقليمية بغيضة وتعلق بالأشخاص ، وموازين معوجة وصدق الله العظيم ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١) قال العلماء : تأمل كيف أن الله تعالى نهى المؤمن عن الإعجاب بمتاع الدنيا الذي في أيدي المترفين من الكفرة أو الفاسقين لأن مجرد الإعجاب هو تكريم لهم ، وتكريمهم لا يجوز وللحديث « لا تقولوا للمنافق سيداً ، فإنه إن يكن سيداً فقد أسخطتم ربّكم عز وجل» (٢) .

وفي شرح الحديث تحريم وصف المنافق بأوصاف الاحترام والتقدير، وأن وصفه بذلك يستدعي غضب الله عز وجل لأنه تعظيم لعدوه الخارج عن طاعته المستحق للإهانة والتحقير (٣) .

٩ ـ الداعية هو الذي يحب الخير للناس كل الناس ، ويعيش هموم المسلمين وأفراحهم ، فهو عالمي الهم ، عالمي الفرح يقول ابن عباس رضي الله عنه «إنَّ فيَّ ثلاث خصال : إني لآتي على الآية في كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم . وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ولعلي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به سائمة» (٤) فليس بالنائحة المستأجرة ، التي تسطر هموم المسلمين في مجلة أو صحيفة أو كلمة ، وهو من أبعد الناس عن أداء دور فعلي جاد ، لمعالجة أو تخفيف مصائب الآخرين الذين يحيطون به وهذا دليل بلادة وانحراف . بلادة في الحس، وانحراف في الفهم .

---

(١) التوبة : (٨٥) .

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

(٣) نزهة المتقين مجلد٢ ص ١١٧٦ .

(٤) حياة الصحابة مجلد٢ ص ٤١٦ .

وأما أدب الدعاة عند الاختلاف : فالناس يختلفون في نظرتهم إلى أي أمر فكل يراه من ناحية ، فكان اختلاف الأقوال وارد،وهذا أمر قديم ولا ينكره منصف عارف ، ولكن الذي ننكره هو اختلاف القلوب بسبب اختلاف الأقوال .

وما ينبغي أن يعلمه كل داعية إلى الله تعالىٰ على وجه الخصوص هو :ـ

١ ـ جواز تعدد الصواب : الرجلان اللذان فقدا الماء فتيما وصليا ثم وجداه فقام أحدهما فتوضأ وأعاد واكتفىٰ الآخر بالصلاة الأولى ، فلما عادا إلى الرسول ﷺ قال للذي أعاد «جزاك الله عنها خيراً ، وقال للآخر أصبت السنة» [١] .

٢ ـ أن هناك منكراً أصغر ومنكرا أكبر : وكل منكر أصغر إنما يستمد وجوده من المنكر الأكبر .

٣ ـ أنا دعاة لا قضاة : فالحكم على الناس بالكفر أو الإيمان من غير بينة أو إقرار أو أداء لواجب الدعوة مخالف لعقيدتنا يقول الإمام الطحاوي رحمه ا الله «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» .

٤ ـ أن نستشعر خطر العدو المشترك فالكفر ملة واحدة بل يد واحدة ، اليهودية تلتقي مع الصليبية مع الشيوعية ضد إسلامنا والله تعالىٰ يدعونا أن نتخذ من الكفار قدوة في موالاة بعضهم لبعض قال تعالىٰ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[٢] أما المنازعات والمهاترات التي تقطع حبائل المودة فهذه لن تزيدنا إلا ضياعاً إلى ضياع وذلاً إلى ذل .

---

(١) رواه أبو داود والنسائي .

(٢) الأنفال : (٧٣) .

وأما أسباب الاختلاف : فكثيرة ، منها :ـ

١ ـ سوء التقدير والموازنة بين الأصول والفروع : دخل الإمام البنا ورأى المصلين يتنازعون في صلاة التراويح منهم المُصرُّ على صلاة عشرين للأثر الثابت عن عمر رضي الله عنه ومنهم المُصرُّ على صلاتها ثماني لفعل المصطفى ﷺ ولما كان هذا الباب باب تطوع والزيادة فيه جائزة كما نص على ذلك الشوكاني في كتابه ـ نيل الأوطار ـ قال لهم الإمام البنا أرى أن تصلوا العشاء ثم تغلقوا المسجد وكل يصلي في بيته ما شاء . فقالوا له : ولِم ؟ قال : لأن صلاة التراويح كلها سنة وأخوتكم فريضة فلا تهدر الفريضة لأجل السنة .

٢ ـ فقدان العالمية : إسلامنا لا يعرف الإقليميات ولا الانتساب إلى الطين ولا اختلاف الألسن والألوان وانما هو دعوة عالمية لكل البشر قال تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1] .

٣ ـ فقدان الشمولية : إسلامنا كلٌّ لا يتجزأ ولا يَحِلُّ لأحد مهما كان له من علم أو دراية أن يقدم أو يؤخر أو يضخم جانباً على حساب جانب آخر قال تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2] .

٤ ـ الأهواء : ومداخل الشيطان إلى قلب العبد لا يقف حائلاً دونها إلا التقوى فإهمال المتقادم في وجوده فيما نحث عليه المبتدىء من صلاة وصيام وذكر واستغفار ومجاهدة للحديث «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا نسي التقم قلبه»[3] وللحديث «إن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم[4] ـ فضيقوا مجاريه بالجوع»[5]

---

(١) الأعراف : (١٥٨) .

(٢) البقرة : (٨٥) .

(٣) أخرجه الحافظ الموصلي .

(٤) متفق عليه .

(٥) الزيادة رواها ابن أبي الدنيا .

وبغير هذه الرياضة الروحية ، يعرض العبد قلبه لسهام الشيطان،بل يزيده لجاجة وإضلالاً ؛ بتلبيسه حيث يوحي إليه بالقياس الفاسد ومعارضة النصوص بتأويلات ساقطة وحذلقة لا يقرها عاقل وصدق الله العظيم « وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا » [1] والحديث «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» [2].

---

(١) الجاثية : (٩) .

(٢) رواه مسلم .

محمد ﷺ

قال تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (1) .

لو أوكل الله البشرية إلى عقولها لضلت لكنها منة من الله ورحمة أن بعث إليها الأنبياء والرسل بعد أن اطلعهم على جانب من جوانب الغيب المحجوب فيما ينصلح به حال العباد والبلاد ، وخاتم الأنبياء محمد ﷺ .

فمن هو محمد ﷺ وما مكانته ؟ ولماذا اختاره الله من البشر ؟ وكيف انتصر في دعوته ؟ وما سمات اتباعه ؟

أما محمد ﷺ : فهو رسول رب العالمين ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(2) .

وخاتم الأنبياء والمرسلين ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ (3) .

وفي الحديث «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي» (4) والبشرية مدعوة للإيمان به للحديث «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا حرم الله عليه الجنة» (5) .

وأما مكانتــه :

١ ـ فإن الله تعالىٰ جعل اسمه قريناً لاسمه سبحانه فقال ﴿ورفعنا لك

---

(1) آل عمران : (١٦٤) .
(2) الأعراف : (١٥٨) .
(3) الأحزاب : (٤٠) .
(4) رواه أحمد .
(5) رواه أحمد ومسلم .

ذكرك﴾ قال مجاهد أي لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي »[1] ومن مناجاة رسول الله لربه : يارب ، إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته وجعلت إبراهيم خليلا وموسى كليما وسخرت لدواد الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي ؟ فقال : أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله إني لا أُذْكَر إلا ذُكِرْتَ معي .

٢ ـ وأنه أخبر سبحانه أن أهل السماء يصلون على النبي ﷺ ودعا أهل الأرض لذاك فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2] وصلاة الله معناها الرحمة ، وصلاة الملائكة الدعاء . وفي الحديث :«ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرَة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[3].

٣ ـ وما من نبي إلا ناداه رب العزة باسمه فقال يا إبراهيم ، يا يحيى «إلا محمد ﷺ فكان النداء بلفظ الرسالة والنبوة» «ياأيها الرسول» «ياأيها النبي» .

٤ ـ وتأمل دعوة موسى عليه السلام (رب اشرح لي صدري) وخطاب الله لرسوله ﷺ ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ .

٥ ـ محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، اشتق اسمه من الحمد وأمه آمنة من الأمن ، ومرضعته حليمة من الحلم ، ولد في عام الفيل سنة ٥٧١م وكانت بعثته على سن الأربعين ووفاته على سن الثالثة والستين ومات أبوه عبدالله (من العبودية لله) وهو جنين في رحم أمه قال العلماء حتى لا يقول أبي وإنما يقول ربي» .

وأما لماذا اختاره الله من البشر ؟ فقد كانت مطالب المشركين أن ينزل الله عليهم ملكاً رسولاً ولو بعث الله ملكا لما اتبعه أحد لأمور :

١ ـ لأن الملائكة مخلوقة من نور ولا ترى إلا أن تتشكل بصورة إنسان

---

(١) مختصر ابن كثير مجلد٣ ص٦٥٢ .

(٢) الأحزاب : (٥٦) .

(٣) رواه الترمذي .

وحينئذٍ يختلط الأمر عليهم أهو ملك أم بشر ؟ قال سبحانه ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[1] أي لاختلط الأمر عليهم.

٢ - ثم أن الملائكة خلقت للطاعة ليس لها شهوة ولا شهية ولا يحتاجون إلى نوم أو طعام قال سبحانه ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[2]، ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ إذن سوف يجد كل إنسان الحجة في عدم اتباعهم لأنهم ملائكة يستطيعون ما لا يستطيعه البشر لذا كانت بعثة الأنبياء والرسل من البشر قال سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾[3] . وقال على لسان نبيه ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[4] .

فلا حجة لأحد أمام الله تعالىٰ أن يترك الدعوة والالتزام ، لكبر سنه فرسول الله ﷺ بعث على سن الأربعين وهاجر على سن الثالثة والخمسين وهو مطلوب حياً أو ميتاً على جائزة قدرها مائة ناقة لمن يأتي به وينتقل إلى الرفيق الأعلى على سن الثالثة والستين بعد أن أرسىٰ دعائم دولة الإسلام وبنى دعائمها .

٣ - وليس لأحد حجة أن يدع الطريق لأجل زوجة أو مال أو عيال فيجعل منهم عائقاً بينه وبين الالتزام، فرسول الله ﷺ كان له من النساء تسع، وكان له عيال فلم تكن عائقاً بينه وبين ربه ، يقول علي بن أبي طالب ـكرم الله وجهه-: كنا إذا حمي الوطيس «الحرب» احتمينا برسول الله ﷺ فكان أقربنا إلى العدو» .

٤ - ولا حجة لأحد أن يدع الطريق بسبب إيذاء الناس له وسخريتهم، فرسول الله ﷺ اتهم بالجنون والسحر والكذب، ووضعوا على ظهره

(١) الأنعام : (٩) .
(٢) البقرة : (٣٠) .
(٣) يوسف : (١٠٩) .
(٤) الكهف : (١١٠) .

فرث جزور وهو ساجد لربه ويحبس مع أصحابه في شعب أبي طالب ثلاث سنين لا يواكلونهم ولا يناكحونهم ولا يحادثونهم حتى يشد رسول الله ﷺ الحجر على بطنه من الجوع .

وأما كيف انتصر رسول الله ﷺ في دعوته ؟ فقد كان ذلك :ـ

١ ـ لأنه استعلى على مغريات الأرض كلها ـ فرجل العقيدة لا يباع ولا يشرى ـ جاءت قريش تسأل رسول الله ﷺ « إن كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك الأموال حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا »[(١)] . فيقول لهم رسول الله ﷺ كلمة هي قمة الاستعلاء على ركام الأرض ومتاعه «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» وأمتنا عاشت لفرجها وبطنها وعشقت الحياة أي حياة حتى ولو كانت تحت نعال يهود أو نصارى أو الأراذل وصدق فينا قوله ﷺ :«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا : أومن قلة نحن يومئذٍ يارسول ؟ قال : لا . أنتم يومئذٍ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت»[(٢)] .

٢ ـ انتصر رسول الله ﷺ في دعوته لأنه كان معظماً لربه ذاكراً له سبحانه يغضبه ما يغضب ربه ويرضيه ما يرضي ربه تقول عائشة :« وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمات فينتقم لله بها»[(٣)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١٥٠/١ .

(٢) رواه أحمد .

(٣) متفق عليه .

وأما سمات اتباعه :ـ

١ ـ فينبغي أن تعلم أن الأتبـاع ليسـوا سواءاً في إيمـانهم واتبـاعهم ، يقـول ابن تيمية رحمه الله (عامة الناس معهم إيمـان مجمل ولكن دخول حقيقـة الإيمـان إلى قلوبهم تحصل شيئاً فشيئاً إذا أعطـاهم الله ذلـك ، فكثير من النـاس لا يصلون إلى اليقين ولو شُككوا لشكوا ، ولو أمروا بالجهاد لما جاهـدوا ، إذ ليس عندهم مِنْ قوة اليقين ما يقـدمونـه علىٰ المـال والأهل)[١] فعلىٰ هـذا يكون الأدعياء كثير يقول ابن الجوزي رحمه الله (ليس كل مصل بمتعبـد ، ولا كل صائم بزاهد ، ولا كل مستمع بخـاشع) ، (أتنحر ومـا لـكَ بعير ؟ أتمد القوس وما لها وتر ؟ أتتجشأ من غير شبع ؟) [٢] .

ولكنها سمات لمن أراد الصدق في اتباعه :ـ

١ ـ **الحب** : ولن يبلغ الإيمان درجة الرضىٰ إلا بالحب الكامل لرسول الله ﷺ للحديث «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالـده والنـاس أجمعين» [٣] ، ولهذا الحب صور تدل عليه .

أ ـ أن يتجرد العبـــد المحب عن كل رأي أو حكم حتى ينظر قــول الله ورسوله في الأمر قال تعـالىٰ ﴿ لا تقـدموا بين يـدي الله ورسولـه ﴾ قـال ابن عباس : أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة » [٤] .

ب ـ أن يكون دائم الصلاة على رسـول الله ﷺ للحـديث :«أولىٰ النـاس بي يـوم القيـامـة أكثرهم عليَّ صـلاة» [٥] . أي أحقهم بشفـاعتـه وأقربهم مجلساً منه .

---

(١) فتح المجيد ص ٣٤٤ .

(٢) اللطائف لابن الجوزي ص٧٢ .

(٣) متفق عليه .

(٤) مختصر ابن كثير مجلد ٣ ص ٣٥٧ .

(٥) قال الترمذي : حديث حسن .

جـ - أن تكون له غيرة أن ينال أحد رسول الله أو منهجه بالسوء، فهـذا (حبيب الأنصاري) الذي وقع بيد (مسيلمة الكذاب) وأخذ الكـذاب يقطع من لحم حبيب قطعة قطعة ، ولا يريد منـه إلا أن يـذكر اسم رسول الله بالسوء فيقول حبيب (لا أسمع) حتى لقي ربـه ، أبىٰ حبيب أن يـذكر اسم الحبيب بسوء فأي حُب دونه أعناق الرجال :

يـا خير من دفنت في القـاع أعظمـه فطـاب من طيبهن القـاع والأكم
روحي الفـداء لقبر أنت سـاكنـه فيـه العفـاف وفيـه الطهر والكرم

٢ - **الثبـات** : فليس بـالمزيل الـذي تعبث بـه الأهواء وآراء الرجـال وتيـار الكثرة ، والبلاء والشدة لابدّ منها للمحب الصادق للحـديث «أشـد النـاس بلاءً الأنبيـاء ثم الأمثل فـالأمثل» [(١)] . يقول ابن الجوزي رحمـه الله :(لا تنظروا إلى جولـة البـاطل ، وارتقبوا دولـة الحق ، إذا رأيت منـافقاً قـد تبع فتذكر الدجال غداً والسامري بـالأمس وانتظر للسـامري لا مسـاس ، وللدجال باب لُدْ) - (لُدْ : مدينة في فلسطين يذبح عندها المسيح عليـه السلام الدجال) .

٣ - **الدعوة** : فليس بالمنعزل عن مجتمعه ، تاركاً السـاحـة لأعـداء الله يعبثون بها ، مرّ رجل من الأصحاب بشعب (أى شق في جبل) فيـه عيينة مـاء عـذبـة ، فـأعجبتـه لطيبهـا ، فقـال: لو اعتزلت النـاس ، فـأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتىٰ أستأذن رسول الله ﷺ ، فـذكر ذلـك لرسول الله ﷺ فقال:«لاتفعل فإن مقام أحـدكم في سبيل الله أفضل من صلاتـه في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم[(٢)]». والدعوة سمـة بـارزة قـال تعالىٰ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .
(٣) يوسف : (١٠٨) .

٤ - **الوعي** : رحم الله عمر رضى الله عنه إذ يقول «لست بالخب (أي المخادع) ولا الخبّ يخدعني» . فلا ينبغي أن يكون أتباع رسول الله ﷺ سذجاً أو أغبياء وتنطلي عليهم خُدع يهود أو نصارىٰ . ومن السذاجة بمكان أن تظن أن أعداء الله سُذجاً فتدخل معهم في تحالفات ، وجسور وتعلن أن الهيمنة للإسلام ، وتنسىٰ أنه لا وزن للحق من غير قوة تحميه ورجال يذودون عنه ، وكم يحزن المتأمل في واقع الصف المسلم وهو يراه مهلهلاً، وتتنازعه الأهواء، وآراء الرجال، في وقت يتحدثون فيه عن التحالفات والجسور، نقول : أليس الصف المسلم أولىٰ بهذه التحالفات بين أفراده وشلله وإقامة جسور بينهم ، وألا نكون جسراً لأعداء الله يمرون فوقنا إلى مآربهم ومصالحهم فليت قومي يعلمون .

ثانيًا

زاد السالكين

الصَّلاة

قال الله تعالىٰ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[1] دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام أن يجعله مقيم الصلاة على الوجه الذي يرضاه الله سبحانه وتعالىٰ ، وأن يجعل ذريته متمسكين بهذه الطاعة الجليلة .

فما الصلاة ؟ وما مكانتها؟ ولماذا ؟ وما الدروس المستفادة منها ؟ وما بواعث الخشوع في الصلاة ؟ .

أما الصلاة : فمعناها الدعاء لغة وهي عبادة تحوي أقوالاً وأفعالاً مخصوصة تبدأ بالتكبير لله تعالىٰ وتختم بالتسليم .

وينبغي أن نعلم :.

١ ـ أن الصلاة فُرِضَتْ ليلة الإسراء والمعراج خمسين ثم أُنْقِصَتْ حتىٰ جعلت خمساً ثم نودي يا محمد ﷺ ـ ألاَّ يبدل القول وأن لك بهذه الخمس خمسين»[2] .

٢ ـ أنَّ المحافظ عليها على خير عظيم ، وتاركها في جحيم مقيم ، جاء في الحديث «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة ويحشر مع فرعون وهامان وأبي بن خلف »[3] ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ «أن تارك الصلاة يحشر مع مثيله في الصد والامتناع فمن شغلته رئاسته عن الصلاة حشر مع فرعون ، ومن شغلته وزارته ووظيفته حشر مع هامان ،

---

(١) إبراهيم : (٤٠) .

(٢) أحمد والنسائي .

(٣) أحمد والطبراني .

ومن شغلته تجارته وماله حشر مع أبي بن خلف » .

٣ ـ وتارك الصلاة جحوداً وإنكاراً وسخرية كافر للحديث «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»[١] وإذا كان الترك للعجز والكسل مع الاعتراف بفرضيتها فهو فاسق وعقوبته القتل للحديث :«أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك ، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢] .

وذهب جمهور العلماء إلى أن تارك صلاة واحدة يقتل ويضرب عنقه بالسيف،وقيل:يضرب بالخشب ويجب على الوالد أن يأمر ولده وأن يضربه إذا بلغ عشراً ولم يصل للحديث «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع»[٣] .

٤ ـ والتارك للصلاة سنين ثم عاد تائباً لله تعالىٰ . هل يجب عليه القضاء لما فات ؟ رجح ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن تارك الصلاة عمداً لا يشرع له قضاؤها ولا تصح منه بل يكثر من التطوع وفعل الخير وليتب ويستغفر.

لماذا الصلاة ؟ وهل لابدَّ من الصلاة ؟ نعم : لابد منها :ـ

١ ـ لأنها دليل اعتراف العبد بعبوديته لله، وصورة من صور شكر العبد ربه: «كان عليه الصلاة والسلام يقوم الليل حتىٰ تتفطر قدماه فتقول له عائشة رضي الله عنها: إن الله قد غفر لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر. فيقول:

---

(١) أحمد ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه أحمد وأبو داود .

أفلا أكون عبداً شكوراً »[1] .

والأنبياء معصومون عن إيقاع الذنوب ، ولعلو قدر المصطفى ﷺ كان ما يقع منه خلاف الأولى يعتبر ذنباً وهو مغفور له .

٢ ـ ولأنها الباب الذي تبث فيه شكواك وهمّك ، إذا أحاطت بك الخطوب ، فخانك الصديق ، وانقلب الحبيب عدواً ، وعقك الولد ، وأنكرت جميلك الزوجة ، فمالك الأمر هو الله فإذا ضاقت عليك الدنيا فقل : ياالله ، وإذا ادلهمت الخطوب فقل : ياالله ، وإذا مرضت فقل : ياالله ، كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه أمر لجأ إلى الصلاة »[2] .

وصدق الله العظيم ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾[3] .

٣ ـ ولأن الصلاة أمانة الله تعالى عندك ، فإذا حفظتها حفظك الله وإذا ضيعتها ضيعك الله . ذكر الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين حادثة عن الرازي : أن أعرابياً جاء المدينة وهو يركب ناقته فلما وصل المسجد ربط الناقة ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار والتعظيم لله ـ جلّ في علاه ـ فلما خرج لم يجد ناقته ـ فرفع يده وقال : اللهم إني أديت إليك أمانتك فأدّ إلي أمانتي فجاءته الناقة تسعى إليه .

٤ ـ ولأنها دليل حب العبد لربه ، وتُنشىء حباً من الله لعبده : أما أنها دليل حب ، فهذه رابعة تناجي رب العزة وقت السحر فتقول : إلهي غارت النجوم ، ونامت العيون وأنت الحي القيوم ، إلهي خلا كُلُّ حبيب بحبيبه وأنت حبيب المستأنسين وأنيس المستوحشين، إلهي إن طردتني عن بابك فباب من أرتجي ؟ وإن قطعتني عن خدمتك فخدمة من ارتجي ؟

وأما أنها تنشيءُ حباً للحديث:«وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد وأبو داود .

(٣) هود : (٢٣) .

حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه»[١] .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخطب يوم الجمعة ، فقال في خطبته:«يا سارية بن حصن : الجبل ، الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم» فالتفت الناس إلى بعضهم ولم يفهموا مراد أمير المؤمنين ، فلما قضى صلاته ، قال له علي رضي الله عنه : ما هذا الذي قلته ؟ قال عمر : أسمعته . قال : نعم : أنا وكل من في المسجد . قال عمر :«لقد وقع في خلدي أن المشركين قد اختبئوا فوق الجبل وأن المسلمين يمرون، فإن عدلوا ظفروا ، وإن جازوا الجبل هلكوا ..... فخرج مني هذا الكلام» .

وبعد شهر جاء البشير إلى المدينة فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جازوا الجبل صوتاً يشبه صوت (عمر) أمير المؤمنين يقول (يا سارية بن حصن) الجبل ، الجبل ، فرفعنا رؤوسنا فإذا العدو فوقه فأخذنا حذرنا وعدلنا عنه فنجونا» [٢] .

قال العلماء : (الحديث : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ... الخ) كناية عن حب الله لعبده الذي يحبه وتأييده له ، وقيل كنت حافظاً لسمعه وجوارحه أن يستعملها في غير طاعة الله) انتهى .

٥ - يتربى صاحبها على الجرأة في الحق ، فالصلاة ، هي التي كان يجهر بها المصطفى ﷺ متحدياً الكفر وأهله ، ومثيراً لغضبهم وحنقهم فهذا عقبة ابن أبي معيط يرى النبي ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة فوضع عقبة بن أبي معيط ثوبه حول عنق رسول الله ﷺ فخنقه خنقاً شديداً حتى أقبل أبوبكر رضي الله عنه ودفعه عن النبي ﷺ»[٣] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) قبسات من حياة الرسول ص٤٥ .

(٣) رواه البخاري .

أما الدروس المستفادة منها فهي أن :

الصلاة صورة للمجتمع الإسلامي الذي يـدعونـا رب العزة أن نجعلـه واقعـاً وحقيقة .

١ ـ استدل بها الأصحاب رضوان الله عليهم على أن أولى الناس بـالخلافـة بعـد رسـول الله ﷺ أبوبكر ـ رضي الله عنــه ـ وقــد أمر المصطفى قبـل أن ينتقل إلى الرفيـق الأعلى أبـابكر أن يصلي بـالنـاس وقـالـوا : من رضيـه رسول الله لديننا رضيناه لـدنيـانـا فعلم الأصحـاب أن الخلافـة مبنيـة على الكفاءة والدين كإمامة المسلمين للصلاة للحديث:«يؤمكم أقرأكم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءاً فأعلمكم بالسنة فإن كانوا في السنة سواءاً فأقـدمهم هجرة»[١]. فليس في إسلامنا إقليمية ولا عرقيـة للحـديث: «اسمعوا وأطيعوا وإن تأمّر عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله»[٢].

٢ ـ وتعلم الأصحاب من الصلاة أن الأمام ومن يصلي وراءه إنما يخضعون لمنهج واحد في قراءتهم وركوعهم وسجودهم ، فكـذا الأمـة ومن يتولى أمرهـا إنمـا يخضعون لمنهج واحد من عند الله تعالى يحكم الحاكم والمحكوم معاً فليس من صلاحية الحاكم أن يعبث بأعراض الأمة وأموالها ويظنها ملكاً خالصاً لـه ، سيـدي عمر بن الخطـاب ـ رضي الله عنـه ـ وقـد جـاءتـه تجـارة من اليمن تحمل الأقمشة فأعطى كل واحد قطعة ، فلما صعد أمير المؤمنين المنبر بدت عليها قطعتان فلمـا قـال : أيهـا النـاس اسمعوا وأطيعوا ، قـام إليـه أعرابي وقال : لا سمع لك ولا طاعة . قال : لِمَ ؟ قال : أعطيت كل واحـد منـا قطعة وعليك قطعتان ، فنادى عمر في المسجد : أين ولدي عبدالله ، فقام وقال : لبيك يا أبتي ، قال : أوليس الثاني لك وقد أهـديتهـا لي . فقـال ولـده : بلى . فقـال الأعرابي : الآن نسمع ونطيع» . أي بعـد أن علمنـا أن

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

أميرنا ليس بخائن ولا سارق ولم يخالف منهج الله تعالىٰ ، فمن حق الأمة في إسلامنا وفي المجتمع المسلم أن ترد الحاكم إلى المنهج كما أنّا في صلاتنا نذكر الإمام إذا سها بقولنا «سبحان الله» فنذكره بالله بعد إذ غفل عنه بأمر الدنيا فسها .

٣ ـ وتعلم الأصحاب من الصلاة قوله ﷺ :«إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة» [١] فمن كان منشغلاً بسنة فعليه أن يدعها ويلتزم بالفرض مع الإمام . تعلم الأصحاب أن في شرع الله فرائض وسنناً فلا تهدر الفرائض وتقام السنن . والمنكرات أنواع . فهناك المنكر الأكبر وهناك المنكر الأصغر وحفظ الطاقات وضمها لنصرة دين الله تعالىٰ أولى من تضييعها فى فروع لا تقدم ولا تؤخر فى نصرة دين الله سبحانه .

٤ ـ وتعلم الأصحاب من صلاة الجماعة ما ينبغي أن يكون عليه الصف المسلم من التضامن والوحدة وسد الخلل ، فلا يدعوا للشيطان مكاناً بينهم للحديث «أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولاتذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفاً وصله الله ومن قطع صفاً قطعة الله» [٢] ولا ينبغي للمسلم أن يشذ عنه فقد روى أن النبي ﷺ رأى رجلا يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد» [٣] . إلا أن يكون مضطراً لقول ابن القيم رحمه‌الله (غاية الاصطفاف الوجوب وهو يسقط للضرورة) وفى الأحاديث إشارات كريمة لطبيعة الصف المسلم وما يبتغي أن يكون عليه من التراص والتضامن ، واللين، وعدم السماح للشيطان أن يعبث بوحدة الصف المسلم ، وأن يكون كل مسلم حريصاً على وصل الصف لا قطعه وألا يرىٰ رأياً يخالف فيه إجماع المسلمين إلا أن يكون مضطراً لعموم الفتنة التي أحاطت ولا بدّ لذلك من أدلة شرعية تبيح للمسلم مثل هذا الإنفراد ، وإلا فلا .

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه أبو داود .

وأما بواعث الخشوع فى الصلاة فهي :

١ ـ فلابد أن تعقل ما تقرأ فمن هديه ﷺ ـ أن حذيفة بن اليمان صلى مع النبي ـ ﷺ ـ فيصف قراءته فيقول : إذا مرّ بآية تسبيح سبّح وإذا مرّ بسؤال سأل . وإذا مرّ بتعوذ تعوذ»[1] يقول الإمام النووي :«يسن لكل من قرأ في الصلاة إذا قرأ آية عذاب يقول : اللهم إني أسألك العافية وإذا مرّ بآية تنزيه لله قال : سبحان الله كقوله تعالىٰ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ . فيقول :«سبحان ربي الأعلى» وإذا قرأ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ قال : «بلىٰ وإني على ذلك من الشاهدين» [2] .

٢ ـ ولابد أن نستحضر وقفتنا بين يدي الله عز وجل يقول الحسن : الصلاة من الآخرة . وكان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه فيُسْأل عن ذلك فيقول : إني أريد القيام بين يدي الملك الجبار، ثم يقول : إلٰهي عبدك ببابك ، يامحسن أتاك المسيء ، وقد أمرت المحسن أن يتجاوز عن المسيء ، فأنت المحسن وأنا المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بكريم ما عندك ياكريم». فليس للعبد نصيب من صلاته إلا بقدر ما خشع فيها للحديث :«إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولاسدسها ولا عشرها»[3] .

٣ ـ ولا بد من البعد عن مكروهات الصلاة، من العبث بالثوب أو البدن. فالصلاة تبطل من كثرة الحركة التي يظن الناظر أن فاعلها ليس في صلاة ، أو يقوم إلى الصلاة مع مدافعة الأخبثين، أو كان بحضرة طعام جاء في الحديث : «لا يصلي أحد بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان»[4] ومرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رجل يعبث بلحيته.

---

(١) رواه مسلم .

(٢) فقه السنة مجلد١ ص١٣٤ .

(٣) أخرجه ابوداود والنسائى .

(٤) احمد ومسلم .

وهو فى الصلاة فقال:«لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه» والخشوع هو السكون . أو رفع البصر إلى السماء في الصلاة للحديث : «لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة أو لتخطفنَّ أبصارهم »[1].

(١) احمد ومسلم .

الصيام

قال الله تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1] ، أيام قلائل إذا قيست بالعام كله ، فرض الله تعالى صيامها وجعل صيامها سبباً إلى التقوىٰ .

فما الصوم ؟ ولماذ نصوم ؟ وكيف نقضي أيام رمضان ؟

أما الصوم : فهو الإمساك ، قال تعالىٰ ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾[2] والمراد به الامتناع عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية .

١ ـ والصيام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . أما الكتاب قوله تعالىٰ : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ أي فرض عليكم ، أما السنة فقوله ﷺ «بني الإسلام على خمس شهادة ألاَّ إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»[3]. والإجماع منعقد على ذلك من لدن رسول الله ﷺ ـ إلي قيام الساعة ومنكره كافر ، يقول الذهبي ـ رحمه الله ـ :«الذي يفطر في رمضان من غير عذر شر من الزاني ومدمن الخمر، بل ويشك في إسلامه» .

٢ ـ والصيام قديم قدم البشرية على الأرض كما قال تعالىٰ ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ قال قتادة : كان الصيام زمن نوح ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخه الله بشهر رمضان ، وأخبر القرآن أن موسىٰ عليه السلام صام أربعين يوماً استعداداً للقائه بربه سبحانه قال تعالىٰ ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾[4] وفي

(١) البقرة : (١٨٣) .
(٢) مريـم : (٢٦) .
(٣) متفق عليه .
(٤) الأعراف : (١٤٣) .

الإنجيل أن عيسى صام أربعين يوماً ، وداود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، أما أمة محمد ﷺ فقد خصها الله بشهر رمضان .

وأما لماذا الصوم ؟ : فتلك شبهة يثيرها ضعاف القلوب والعقول يقولون لماذا الصوم ؟ ولماذا نعذب الجسد بالجوع ؟ حتى قال أحدهم إن الصوم يعطل اقتصاد البلاد: ونقول لهؤلاء ابتداءً إن الصوم عبادة وطاعة أمرنا الخالق سبحانه بها ، فالله ربنا ونحن عبيده وكفى بالله حكيماً فيما شرع وقضى ، وإن من الأحكام ما أبان رب العزة عن حكمة تشريعه كتحريم الخمر والميسر قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١) وأحكام لا تظهر حكمة التشريع إلا مع تقدم العلوم كتحريم لحم الخنزير حيث علمنا قبل قرن فقط أن في الخنزير الدودة الشريطية ، والبيوض المتكيّسة مع الأثر النفسي لآكله من فقدانه الغيرة كحال الخنزير ، وأحكام يجتهد العبد في الاستنباط والبحث عن حكمة التشريع فإن أدرك شيئاً فلله الحمد والمنّة وإلا فكفى بالله الحكيم فيما حكم كعدد ركعات الصلاة في كل وقت ، أو الطواف سبعاً ، أو مواضع الأسرار والجهر في الصلاة وهكذا ، ثم نقول لهم : إنّ في واقعنا أنواعاً من الصيام تافهة في مضمونها إذا قيست بأهداف الصيام في إسلامنا ومع هذا نجد من يحترمها ويقرها مثال ذلك الصيام السياسي : وهو أن يمتنع أصحاب حق عن الطعام حتى تبلغ أصواتهم أسماع الآخرين فينظروا في قضيتهم. وهناك الصيام الجمالي: وهو أن يمتنع الرجل أو المرأة عن الطعام حتى يزيل تلك الترهلات التي تشوه منظره وقد يكون قاسياً وهو ما يعرف «بالريجيم» ، وهناك الصيام الصحي وهو أن ينصح الطبيب المريض بأن يحترز في طعامه ، وأن يصوم أياماً حتى تستريح أجهزة الجسم من الإجهاد والعنت وتسترد عافيتها بعد طول عمل ، ويلبي المريض نداء الطبيب حرصاً على صحته ، ويلبي طالب الجمال نداء الجسد لينال الرشاقة ، ويلبي صاحب الحق الذي يعتقده نداء الواجب ،

---

(١) المائدة : (٩١) .

أليس رب العزة الذي يدعونا إلى الصيام أولىٰ بالإجابة من كل أحد ؟ اللهم نعم ، اللهم لبيكَ ، اللهم سمعاً وطاعة لك .

ومما يهدف إليه الصوم :ـ

١ ـ **تربية الإنسان على الخلق الكريم :** فالذي يحبس نفسه عن الحلال حياءً من الله تعالىٰ، واستشعاراً لرقابته سبحانه، أيعقل أن تتجرأ نفسه على الحرام، جاء في الحديث :« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[١] فدل على أن العبد عند إرتكابه لهذه المعاصي إنما كان في حال حيواني فقد فيه الحياء والتعظيم لنظر الحق جل وعلا . لذا قال تعالىٰ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢] والتقوى حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله، وتحرجه من غضبه وبغير التقوىٰ لا تقوم شريعة ، ولا يفلح قانون وهذا ما يفسر لنا ندرة الجريمة على عهد الرسول والخلفاء ، ومعظمها كان مصحوباً باعتراف الجاني نفسه طائعاً مختاراً ، ثم قل لي بربك الذي يتحرج ويمتنع عن المطعم والمشرب الحلال ، ويمتنع عن إتيان أهله بالحلال تعظيماً لأمر الله في الصيام هل تجرؤ نفسه على فعل الحرام من سرقة أو زنا ؟ وهو قد تربىٰ في مدرسة الصيام علىٰ ترك الحلال فهو عن الحرام أبعد .

٢ ـ **استعلاء وجهاد :** فالمسلم حين يصوم إنما يحقق معنىٰ الاستعلاء على ضرورات الأرض طاعة وتعظيماً لله فلا يستذله مال، ولا سلطان، ولا شهوة، وقال العلماء :«الصوم المتصل الدائم غايته فناء الذات والنوع أي الذرية وهذا يعني أن المسلم يعد نفسه ويعاهد الله تعالىٰ أن يفني ذاته ونوعه في سبيله سبحانه وعلى هذا ترىٰ الأصحاب والسلف فتحوا الأرض جهاداً رافعين راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أما الجيوش التي تعيش

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) البقرة : (١٧٧) .

في بؤر الفساد والامتهان والاستعباد والمظاهر الجوفاء ، الجيوش الورقية التي لا تثبت في معركة فيها شرف وكرامة ، إنما تثبت في المعارك التي تكون ضد العزل ممن يقولون لا إله إلا الله وفي المعارك التي لا شرف فيها ولا كرامة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣ ـ **التكافل :** قوام الحياة بالطعام والشراب ، أراد الله تعالى أن نعيش أياماً معدودة نستشعر فيها ما يلقاه إخوة لنا طوال السنة بل السنين من جوع ومرض وبسبب جهادهم كأفغانستان وفلسطين والفلبين وغيرها . فيكون باعث غيرة وإحساس . لما للأخوة الإسلامية من حق وواجب للحديث «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١] . ولكن في أمتنا لا نسمع إلا ما يندى له جبين الشريف ، فلان يتبرع بعشرين ألف دينار لفريق كرة عابث ، وآخر يتبرع لعاهرة بما لو أنفقه على شعب لأسعدهم ، ولكنها البلادة والتخبط في مال الله بغير الحق ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٢] .

وأما كيف نقضي أيام رمضان؟ فهناك أعمال قولية وأخرى فعلية :

فإن للصيام ركنين لا يصح الصيام إلا بهما : ـ

١ ـ الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

٢ ـ النية للحديث :« من لم يُجْمِع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » [٣] وهي عمل قلبي ، فمن تسحر الليل قاصداً الصيام فهو ناوٍ .

وأما الأعمال القولية :ـ

١ ـ قراءة القرآن :«فإن جبريل عليه السلام كان يلقى الرسول ﷺ في كل

(١) متفق عليه .

(٢) الشعراء : (٢٢٧) .

(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن .

ليلة يدارسه القرآن»[1] والقرآن شافع لأصحابه كالصيام للحديث «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»[2] .

٢ ـ الدعاء : للحديث «ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، والمظلوم»[3] . وللحديث «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»[4] وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي» .

٣ ـ الذكر للحديث :«ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله ، من ذكر الله عز وجل»[5] .

وأما الأعمال الفعلية :

١ ـ قيام الليل : للحديث «من قام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[6] وفي العشر الأواخر بالخصوص للحديث «قالت عائشة : إن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل، وأيقظ أهله وشدَّ المئزر»[7] وشد المئزر كناية عن التشمير للطاعة وقيل عن تركه الجماع وتفرغه للعبادة .

٢ ـ الجود والتصدق : فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه أحمد بسند صحيح .
(٣) رواه الترمذي بسند حسن .
(٤) ابن ماجه .
(٥) راوه أحمد .
(٦) متفق عليه .
(٧) متفق عليه .

جبريل ... فالرسول أجود بالخير من الريح المرسلة»[1] . والريح المرسلة أي في الإسراع والعموم .

٣ ـ كف الجوارح عن المعاصي للحديث «ليس الصيام عن الأكل والشرب ، إنما الصيام عن اللغو والرفث ، فإن سابكَ أحد ، أو جهل عليك ، فقل إني صائم ، إني صائم»[2] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه ابن خزيمة .

الحجّ

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[1] .

يخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن أول بيت وضع للعبادة هي الكعبة المشرفة ، وبكة اسم من أسماء مكة ، وفيها من الآيات الدالة على شرف هذا البيت وفضله .

فما البيت ؟ وما فضائله ومزاياه ؟ وما أهداف الحج ؟ وهل في حجنا وثنية ؟ وما الذي ينبغي علىٰ الحاج أن يحرص عليه ؟

أما البيت الحرام : فهو الكعبة ، المكان الذي اختاره الله عز وجل بنفسه ليكون مسجداً يتقرب إليه فيه المتقربون ، ويتعبد إليه فيه المتعبدون وسماه الحرام لأنه يحرم فيه ما لا يحرم في غيره .

المساجد بيوت الله باختيار البشر والكعبة بيت الله باختيار الله سبحانه لذا فالمساجد تتجه إلى البيت الذي اختاره الله بنفسه ، فالكعبة أصل والمساجد تبع .

وأما فضائله فهي :

١ ـ فيه مضاعفة الأجر للحديث «صلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه ، وصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة فيما سواه . وصلاة في المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة فيما سواه»[2] .

---

(١) آل عمران : (٩٦) .

(٢) متفق عليه .

٢ ـ وفيه تتنزل الرحمات: للحديث «ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام : عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين»(١)

٣ ـ الداخل إليه آمن: «ومن دخله كان آمناً» إرادة دينية شرعية وحكم شرعي، المخالف له آثم إثماً عظيماً ، لذا يحرم فيه حمل السلاح للحديث «لا يحل لأحدكم أن يحمل السلاح بمكة»(٢) .

٤ ـ يحرم فيها الظلم والقتل أو أن يقطع من شجرها للحديث :«إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً أو أن يعضد فيها شجرة»(٣) .

٥ ـ إرادة السوء فيه ذنب عظيم : « وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ » (٤) .

يقول ابن مسعود: «من همّ بمعصية ولم يعملها تكتب عليه، ولو أن رجلاً بعدن همّ أن يقتل رجلاً بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم»(٥) .

إن إرادة السوء بل فعل السوء والقتل في البيت الحرام دليل فساد في العقيدة لابد للأمة أن تنتبه له فتعرف أين تضع يدها .

ومن لم تفده عبراً أيامه   كان العمى أولى به من الهدى

هل في حجنا وثنية ؟

تلك شبهة يثيرها الملحدون يقولون ، إذا كان الإسلام جاء لتحطيم عبادة الأصنام ، فلم الطواف حول الحجارة وتقبيل الحجر ؟ أليس في ذلك عبادة للحجر نفسه ؟ أليس في ذلك وثنية ؟ ونقول لهؤلاء : لابد أن تعلموا :ـ

---

(١) رواه البيهقي بإسناد صحيح .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) الحج : (٢٥) .
(٥) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص٥٣٨ .

١ - أن الله تعالىٰ أوجد بيته من أول لحظة لتوحيده سبحانه ، قال تعالىٰ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١) أي أرشد الله تعالىٰ إبراهيم لبناء البيت حتى يوحد الناس ربهم فيه .

٢ - وإنما بعث الله تعالىٰ المصطفى ﷺ بالتوحيد الخالص وتحريم كل صور الشرك، ومنع كل مشرك من دخول بيت الله الحرام، وقد بعث رسول الله ﷺ علياً في السنة التاسعة ينادي في الناس في (منى) «أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» (٢) .

٣ - والمسلم يعلم علم اليقين عندما يطوف بالبيت ويقبل الحجر الأسود ، يعلم علم اليقين أن النافع الضار هو الله تعالىٰ وحده قال تعالىٰ ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣)

وأن الحجر لا يضر ولا ينفع وليس واسطة بيننا وبين الله تعالىٰ ، إنما هي طاعة لله سبحانه ، واتباع لرسول الله ﷺ فهذا عمر رضي الله عنه يقبل الحجر الأسود ثم يقول : إني لأعلم أنكً حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» (٤) .

٤ - ثم نقول لهم لقد ابتدعت دول العالم كلها تقريباً علماً يمثلها ، وكلهم يعتقدون أن هذا العلم لا يضر ولا ينفع وليس بمعبود عندهم ، وإنما هو رمز للدولة وشعار لأمجادها ، وحتى الملاحدة الذين يثيرون مثل هذه الشبهات ألا ينحنون أمام قبور سدنة كفرهم في العصر الحديث أمثال(ماركس ، ولينين ، وكمال أتاتورك) وهم يشعرون أنهم لا يعبدون شخوصهم بهذا الانحناء إنما هو الاحترام والتقدير ، ثم الذي تأتيه رسالة من حبيب فيقبلها ، إنما يقبلها تعبيراً لما يكنه من حب لباعثها ، لا

---

(١) الحج : (٢٦) .

(٢) رواه البخاري .

(٣) الأنعام : (١٧) .

(٤) رواه البخاري .

عبادة للورقة ذاتها . نقول بعد هذا كله لهؤلاء : إن البيت الحرام والحجر الأسود وغيرها إنما هي رموز تعبيرية لمعانٍ سامية ،والمسلم في طوافه وتقبيله إنما يجد التعظيم كل التعظيم ، والتوحيد كل التوحيد لله سبحانه وتعالىٰ وحده، ومن تأملات العلماء لأسرار الطواف وتقبيل الحجر قولهم:ـ

أما في الطواف والحكمة منه فقد جاء في كتاب الله ﴿الله الصمد﴾ والصمد لها معاني منها السيد . ومنها الذي يصمد له الناس في حوائجهم ، ومنها الذي لا جوف له لاستغنائه عن الطعام والشراب، ومنها الثابت، ووصف رب العزّة الكون بما فيه فقال : ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ فالكل يدور من الذرة إلى الكوكب إلى المجرة إلى الكون كله . الكون كله يدور والثابت هو الله سبحانه ، ودوران الكون دوران جبري وفق سنن سنها الله لها والمسلم في طوافه حول البيت يعاهد الله أن يسلك منهجه منضبطاً انضباط الكواكب في سيرها وفق سنن الله، ولكن باختياره وإرادته .

وأما تقبيل الحجر الأسود : فقد جاء في الحديث «قال رسول الله ، في الحجر:« والله ليبعثنه الله يوم القيامة ، وله عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق»[1] .

وفي شرح الحديث : «أي الله تعالىٰ يجعله شهيداً يوم القيامة علىٰ من أحسن في طوافه وأساء»[2] ولما كان أول عمل يقوم به زوار ملوك الدنيا أن يسجلوا أسماءهم في سجلات التشريفات ، فلعل الحجر أن يكون هو السجل الذي يتشرف العبد أن يسجل اسمه عليه بتقبيله أو لمسه أو الإشارة إليه ، فيكون شاهد خير له ينفعه في آخرته والله أعلم .

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

(٢) الترغيب والترهيب (ج٢ ، ص١٩٢) .

وأما الدروس المستفادة من الحج فهي :-

١ - درس العبودية والسمع والطاعة : فنداء الحجيج : لبيك اللهم لبيك،لبيك لا شريك لك لبيك،إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك - ولبيك معناها إجابة لك يارب بعد إجابة أي سمعاً وطاعة لك يارب وهذا موقف العبد المسلم الصادق من ربه - ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[١] ولكن أمتنا اعتادت الكذب بل أصبح سمة من سمات حياتها ووقفت موقف يهود في قولها «سمعنا وعصينا» ووقفنا من الله ومنهجه موقف التحدي والجرأة والصلف فإذا قال الله ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [٢] قلنا مناهج البشر أحكم .

وإذا قال الله : ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [٣] قلنا : بل الربا هو عمود اقتصادنا ونهضتنا ووجودنا حتى أصبحت لا تجد فارقاً بين أمة محمد ﷺ في عمومها وبين أي أمة من اليهود أو النصارىٰ بل الملاحدة .

٢ - درس في الرضا بقضاء الله والفداء : سأل إبراهيم الخليل ربه أن يهبه الولد وقيده بأنه صالح فلا خير في ولد غير صالح ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ والدعاء يتحقق على قدر صدق العبد مع ربه فكيف بإبراهيم خليل الرحمٰن فكانت الإجابة ﴿وبشرناه بغلام حليم﴾ ولما كان الأنبياء هم من أعظم الناس بلاءً واختباراً، جاء الاختبار العظيم أن يذبح الخليل ولده وقرة عينه وثمرة فؤاده ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [٤] وكيف يعصى ولد يرى أباه ، يرى فيه القدوة والحب الخالص لله ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

---

(١) البقرة : (٢٨٦) .
(٢) المائدة : (٤٩) .
(٣) البقرة : (٢٧٨) .
(٤) الصافات : (١٠٢) .

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فكل شيء بمشيئة الله يكون ، والصبر عطاء الله ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ فالمصبر هو الله وحده سبحانه ﴿فلما أسلما﴾ استسلم الوالد واستسلم الولد وانقاداً وامتثلاً لأمر الله سبحانه ﴿وتله للجبين﴾ أي صرعه على وجهه ليذبحه أكبه على وجهه حتىٰ لا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه . قال السدي ومجاهد : إن إسماعيل عليه السلام قال لأبيه الخليل لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي فلعلك أن ترحمني فلا تجهز عليَّ ، يا أبت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمي شيء فتراه أمي فتحزن وأسرع مرّ السكين على حلقي فيكون أهون للموت عليَّ فإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني فأقبل إبراهيم يقبله وكل منهما يبكي ﴿وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبحٍ عظيم﴾ قال العلماء :«غاية البلاء إظهار موقف العبد من قضاء الله فإذا أظهر العبد الرضاٰ رفع البلاء ، للحديث :«عبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإذا رضيت بما أريد كفيتك ما تريد،وإن لم ترض بما أريد أتعبتك فيا تريد ولا يكون إلا ما أريد» .

٣ ـ درس في الموت : وأي درس أعظم من الموت وأبلغ ، جاء في الأثر «من أراد مؤنساً فالله يكفيه ، ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه ، ومن أراد الغنى فالقناعة تكفيه،ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه . ومن لم يكفه شيء من ذلك فإن النار تكفيه» .

الحجيج باللباس واحد هو البياض ثياب الموت للحديث «البسوا البياض فإنها خير ثيابكم وأطهر ، وكفنوا بها موتاكم» [1] وفي محشرهم في عرفات يستشعرون وقوفهم في المحشر الأعظم للحساب وقد دنت الشمس من رؤوس الخلائق والكل يلجأ إلى الله ويسأل ؛ لذا كان من ثمار الحج أن يعود الحاج زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة للحديث «الحج المبرور

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

ليس لـه جـزاء إلا الجنـة»[1] قـال الحسن البصري : الحـج المبرور هـو أن يعود الحاج زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة .

تلك دروس من الحج وهـذه ثمرتـه ، فـأعظم بهـا من دروس وأعظم بهـا من ثمارٍ جهلها من جهلها، وعلمها من علمها، وعمل بهـا من عمل، وغفل عنهـا من غفل . والكل أمره إلى الله .

وأما ما ينبغي أن يحرص عليه من أراد الحج :

١ - أن يكتب وصيته للحديث «ماحق امرئ مسلم لـه شيء يوصى فيـه يبيت ليلتين إلا ووصيتـه مكتـوبـة عنـده»[2] فيكتب مـا لـه ، ومـا عليـه من الحقوق من مال وغيره حتى تبقى الحقوق بعده معلومة ، فـالآجـال مجهولـة ولا يعلم بها إلا الخالق سبحانه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[3].

٢ - أن تكون نفقة الحج من المـال الطيب للحـديث «إذا خرج الحـاج حـاجـاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز ونـادى لبيـك اللهم لبيـك نـاداه منـادٍ من السماء لبيك وسعـديـك زادك حلال وراحلتـك حلال وحجـك مبرور غير مأزور ، وأما إذا خرج الحـاج حـاجـاً بنفقـة خبيثـة ووضع رجلـه في الغرز ونـادى لبيـك اللهم لبيـك نـاداه منـادٍ من السماء لا لبيـك ولا سعديك، زادك حرام وراحلتك حرام وحجك مأزور غير مبرور»[4] .

٣ - الإكثـار من الصـلاة في الحرمين الشريفين للحـديث «صـلاة في مسجـدي أفضل من ألف صلاة فيما سـواه إلا المسجـد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»[5] .

---

(١) رواه أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) لقمان : (٣٤) .

(٤) رواه أحمد .

(٥) رواه أحمد .

فلا تشغل نفسك بالتطواف في الأسواق والاشتغال بالمطعم والمشرب فإنما هي أيام معدودة تتزود بها لآخرتك، فيافوز المدلجين إلى الطاعات ويا خيبة الباذلين أعمارهم في الترهات .

٤ ـ أن تحفظ لسانك وجوارحك عن كل شيء يخدش حجك للحديث «من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة غفر له من عرفة إلى عرفة»[١] وصدق الله العظيم ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[٢] .

٥ ـ أن تتعرف على إخوانك المسلمين في العالم الإسلامي ، فتعلم أن هناك مخططات صليبية ، يهودية ، شيوعية ، باطنية ، تسعى لإبادة هذا الدين وأهله وتعلم مدى تفاهة الإعلام في واقع أمة الإسلام ، حيث الانشغال وإشغال الأمة بأخبار التافهين والعاهرين والفارغين ، وحجب كامل للمسلم عن أخبار وحقيقة ما يجري لإخواننا في العالم الإسلامي المنكوب بأهله وأعدائه .

---

(١) رواه البيهقي .

(٢) البقرة : (١٩٧) .

الإنفاق

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اتبع هداه وبعد ...

قال تعالى :﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾[١] صدق الله العظيم .

حقيقة ودعوة وجزاء :

حقيقة أن النفس مجبولة على محبة المال، ودعوة إلى الاستعلاء بالإنفاق، وجزاء بالأمان لمن استعلى وأنفق في يوم يشيب من هوله الولدان .

فما المال ؟ وما مكانة الإنفاق ؟ وما أدب الإنفاق في الإسلام ؟

فأما المال : فهو الوسيلة لإشباع حاجات الإنسان وشهواته وهو عصب الحياة لا يستغني عنه الفرد ولا الجماعة .

في إسلامنا نعلم :

١ ـ أن المال هو مال الله ، قال تعالى : ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[٢].
٢ ـ أن المال فتنة واختبار للعبد ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٣].
٣ ـ أن حال العبد مع المال لا يخرج عن أحوال ثلاث للحديث :«يقول ابن

---

(١) الانسان (٨ ـ ١٠) .
(٢) النور (٣٣) .
(٣) التغابن (١٥) .

آدم: مالى، مالى، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت»[١] .

وأما مكانة الإنفاق في سبيل الله :

١ ـ الإنفاق تطهير للنفس من العبودية لغير الله تعالى ، وارتقاء لها ، واستعلاء ونجاة من البخل الذي يهبط بالعبد إلى مدارك العبودية للدينار والدرهم وصدق الله العظيم ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢]
وللحديث «واتقوا الشح فانّ الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٣].

٢ ـ الإنفاق فيه الأجر العظيم : للحديث «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»[٤].

٣ ـ الإنفاق فيه سعة الرزق : للحديث «بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في السحاب : اسق حديقة فلان ، فتنحي ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة ، فإذا شرجة من تلك الشراج استوعبت ذلك الماء كله فتبع الماء فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له :لله ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال إني سمعت صوتاً في السحابة يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأردّ فيها ثلثاً»[٥] .

٤ ـ الإنفاق نجاة من عذاب الله سبحانه وتعالى للحديث : «من آتاه الله مالاً

---

(١) رواه مسلم .
(٢) التوبة (١٠٣) .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخاري ومسلم .
(٥) رواه مسلم .

فلم يؤدِ زكاته مُثّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمته ـ يعني شدقيه يقول أنا كنزك ، أنا مالك » ثم تلا هذه الآية ﴿ ولا تحسبنّ الذين يبخلون بما أتاهم الله من من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾[1].

- ـ الإنفاق أفضل من التطوع بصلاة أو صيام أو حج للحديث «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال :«وكالقائم الذي لا يفتر و كالصائم الذي لا يفطر»[2]

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ خرج عبدالله بن المبارك ـ رضي الله عنه ـ مرةً إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد ، فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم ، فلما مرّ بالمزبلة إذا بنت قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته وأسرعت به الدار فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة ، فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال عدّ منها عشرين دينارًا تكفينا إلى (مرو) وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ثم رجع»[3].

٦ ـ الإنفاق حفظ للمال وزيادة : للحديث «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما «اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[4] فالذين ينفقون في سبيل الله يعوض الله لهم ما

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) متفق عليه .
(٣) البداية والنهاية (١٠ : ١٧٨) .
(٤) رواه البخاري ومسلم .

ينفقون ويخلف لهم خيراً ، وينفق عليهم ولذلك جاء في الحديث القدسي «انفق يا ابن آدم ينفق عليك»[1].

٧ ـ الإنفاق خير ادخار للمال وإبقاء له ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي ـ ﷺ ـ «مابقي منها» . فقالت عائشة : ما بقي منها إلا كتفها ، فقال رسول الله ﷺ » بقي كلها غير كتفها»[2].

أي أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت : ما بقي منها إلا كتفها ، لأنهم قد تصدقوا بها ولم يبقوا لطعامهم إلا الكتف ، فعكس الرسول ـ ﷺ ـ لها اللفظ فما استبقوه لأنفسهم ليأكلوه فهو الفاني معالحياة الدنيا ويبقى ما يتصدق به في الآخرة» .

أدب الإنفاق في سبيل الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

اشتملت الآية على شرطين لسلامة الإنفاق :

أ ـ أن يكون في سبيل الله ، لا رياءاً، أو طمعاً بمنافع دنيوية من سمعة وثناء .

ب ـ ألا يتبع المنفق نفقته بالمن والأذى .

والمن : أن يتحدث المعطى بعطائه أمام من أعطاه ، أو أمام غيره من الناس إشعارًا بالتفضل عليه وفي ذلك كسر لقلب آخذ العطاء أو إهانة لكرامته .

والأذىٰ : ويكون بالاستعلاء والتكبر أو التشهير به إشعاراً للآخذ بنزول مكانته أو إهانته عند العطاء .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) البقرة (٢٦٢) .

وذكر العلماء آداباً للإنفاق منها :

١ ـ الا يقتصر على الزكاة فقط : والزكاة هي الحق الواجب في المال ، فإذا لم تكف ولم تف بحاجة المحتاجين وجب في المال حق آخر سوى الزكاة للحديث : «إن في المال حقاً سوى الزكاة»[١] .

اتفق العلماء على أنه اذا نزلت بالمسلمين حاجة ، بعد أداء الزكاة ، فإنه يجب صرف المال إليها ، واستدل جماعة من التابعين بقوله تعالى ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢] وبقوله تعالى ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[٣] وبقوله تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾[٤] ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته إذ لا يجوز تضييع المسلم .

٢ ـ أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأطيبه فذلك من كال شكر العبد ربه وصدق إيمانه قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾[٥] قال ابن كثير رحمه الله : (لا تيمموا الخبيث) اي تقصدوا الخبيث (منه تنفقون ولستم بأخذيه) أي لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه ، فالله أغنى منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون)[٦].

٣ ـ المبادرة وعدم التأخير : سئل رسول الله ﷺ أي الصدقة أفضل ؟ قال : «أن تصدق وأنت صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الروح الحلقوم قلت لفلان كذا ، ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا»[٧] .

---

(١) أخرجه الدارقطني .

(٢) البقرة (١٧٧) .

(٣) البقرة (٣) .

(٤) المنافقون (١٠) .

(٥) البقرة (٢٦٧) .

(٦) مختصر ابن كثير (ج١ ص٢٤٠) .

(٧) أخرجه البخاري ومسلم .

الشهيد

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾[1] .

الموت نهاية كل حي ، ولكنها موتتان وقتلتان ، موتة وقتلة فيها المغفرة وفيها الرحمة من الله تعالى وذلك خير مما يجمع له الناس ولابدّ زائل- إذا كانت في سبيل الله ، وموتة وقتلة لا مغفرة فيها ولا رحمة لخلوها من كرامة الجهاد والا ستشهاد .

فما الشهيد ؟ ولماذا الاستشهاد ؟ وما مكانة الشهيد ؟ ومتى يكون العبد أهلاً للشهادة ؟ .

أما الشهيد : فهو قتيل المعركة في سبيل الله، وسمي الشهيد شهيداً لأنه كما قال العلماء: إن (الشهداء) جمع (شاهد) فالشهيد هو الذي شهد أعظم الشهادة ، وأدى ما عنده أحسن الأداء ، شهادة تجاوز بها اللسان إلى شهادة سطرها بروحه ، بدمه ، بماله ، ابتغاء رضوان الله ولنصرة دينه ، ولإزهاق الباطل .

وينبغي أن نعلم :

١ ـ أن المجاهد الشهيد هو الذي يقاتل ويقتل في سبيل الله، لأعلاء كلمة الله:
سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حميّة ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[2] .

---

(١) آل عمران (١٥٧) .

(٢) متفق عليه .

٢ ـ الجهاد فريضة كفريضة الصلاة والصيام قال تعالى ﴿كتب عليكم القتال﴾[(١)] وقال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[(٢)] ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[(٣)] ، بل إن فريضة الجهاد تكون أعظم إذا أحاطت الخطوب بالأمة، وحان أوانه ، فلا تعدله عند ذلك فريضة أخرى، وتأمل معي في قول الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ وهم الصفوة وخير القرون، والجيل القرآني الفريد ، عندما بدأ على بعضهم الرغبة في المكوث في المدينة وعدم الخروج إلى غزوة (تبوك) قال تعالى ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٤)]

٣ ـ الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ، ولا يستطيع أحد أن يعطلها لأنها أمر الله ، ولا تحتاج إلى استئذان أحد، ففرائض الله لا تحتاج إلى استئذان لأدائها وفي الحديث «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»[(٥)] .

٤ ـ قال العلماء : الجهاد يكون فرض كفاية (أي إذا قام به البعض سقط عن الباقين) وذلك أن يغزو المسلمون أعداء الله في ديارهم لنشر الدعوة . ويكون فرض عين (أي يلزم بأدائه كل مسلم) إذا غزى أعداء الله ديار الإسلام واحتلوا جزءاً أو إقليماً أو ناحية من بلاد الإسلام حتى قالوا : إذا سبيت امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب استنقاذها وعلى هذا يكون الجهاد فرض عين في واقعنا ، وكلنا آثم ومقصر في هذه الفريضة العظيمة الغائبة .

لماذا الاستشهاد ؟

لأنه لابد من طلب الشهادة ، والحرص عليها ، والسعي اليها :

١ ـ فهي دليل رجولة وغيرة في الأمة ، فالأمة التي تعرف كيف تموت الموتة

---

(١) البقرة (٢١٦) .

(٢) البقرة (١٨٣) .

(٣) النساء (١٠٣) .

(٤) التوبة (٣٩) .

(٥) متفق عليه .

الشريفة يهب الله لها الحياة العزيزة في الدنيا ، والنعيم الخالد في الآخرة فليس عيباً أن يقتل الرجال ، ولكن العيب ألا يكون في الأمة رجال وذلك هو الغثاء ، وهو واقع الأمة إلا من رحم ربي والحديث: «يوشك أن تتداعي عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال: لا. أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم من قلوب أعدائكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت»[1]. ثم هو دليل غيرة ، والمرأة التى صرخت (وامعتصماه) عند ما أراد عدو الله أن ينالها بالسوء ، تبلغ الكلمة أسماع الخليفة المعتصم فيقول (يا أختاه) ويجهز جيشاً عظيماً لاستنقاذها، ولكن الغيرة في أمتنا قد ارتحلت برحيل الإيمان، فأصبحت تعيش الهوان :

ومن يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام .

ولذا أصبحت صرخات أمهات وأخوات وبنات لنا في الأقصى أو أفغانستان أو الفلبين أو غيرها لا تثير في النفس حتى الألم أو التأسف.

رُبّ وامعتصماه انطلقت ... ملء أفواه الصبايا اليُتَّمْ
لا مست أسماعنا لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم

٢ ـ ولابد من طلب الشهادة ؛ لأنها دليل حب لله عظيم ، وقد وصف رب العزة ما بينه وبين أوليائه فقال ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[2] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[3] أي حبا، لذا رأينا خُبيب ، وقد رفع على الأعواد ليقتل فقال :

---

(١) رواه أحمد .
(٢) البقرة (١٦٥) .
(٣) مريم (٩٦) .

لست أبـــالي حين أقتــل مسلمــــاً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلـــك في ذات الإلـــه وإن يشـــأ يبـــارك على أوصـــال شلـو ممـزع

ولكن الواقع شهد أن أمثلة الحب الوضيع هي الغالبة من بـذل للمـال على فروج العاهرات ، وموائد القمار ، وانتحار بسبب هلاك غانيـة أو مغن أو مضل وأصبح من المستغرب أن يبذل المسلم مـالاً فضلا عن أن يبـذل نفسـاً لله تعـالى فأي جهل بالله تعيشه أمتنا ؟ رحم الله أباهريرة في قوله عند مـا سمع قول الله تعـالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بـأن لهم الجنـة﴾[1] فقـال : عجبت للطف الله بنـا هو الـذي خلق الأنفس وأعطـانـا الأمـوال ثم يـأخـذهـا ويعطينا الجنة عجبت للطف الله بنا» .

وأما مكانة الشهيد :

١ ـ فالمجاهد الشهيد لن يجد ألماً عنـد استشهـاده ، فـالأمر لايتجـاوز ألم القرصـة للحـديث « مـا يجـد الشهيـد من مس القتـل إلا كما يجـد أحــدكم من مس القرصة »[2] .

٢ ـ وأنـه لا يفتن في قبره للحـديث «أن رجلاً قـال : يـا رسول الله : مـا بـال المؤمنين يفتنون (أي يسألهم الملكان من ربك ، وما دينك ، ومن نبيـك) في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة »[3] .

٣ ـ ويعطى عطاء ما بعده عطاء للحديث « إن للشهيد عند الله سبع خصال : أن يُغفر له من أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلـة الإيمان ، ويجار من عـذاب القبر ، ويـأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الـدنيـا ومـا فيهـا ، ويزوج اثنتين

---

١) التوبة (١١١) .
٢) رواه الترمذي .
٣) رواه النسائي .

وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه»[1].

٤ - يكرم بالنظر إلى وجه الله الكريم للحديث: «لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قلت: بلى قال: ما كلّم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلّم أباك كفاحاً (أي مواجهة بلا حجاب) فقال: يا عبدالله تمنّ عليّ أعطك. قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال: إنه سبق مني أنهم اليها لا يرجعون. قال يارب فأبلغ من ورائى، فأنزل الله هذه الآية ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[2].

٥ - المجاهد الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه لكرامته على الله تعالى:

(أ) لا يغسل للحديث «لاتغسلوهم فإن كل جرح أو كلم دم يفوح مسكاً يوم القيامة»[3].

(ب)ولا يصلى عليه لأن صلاة الجنازة على الميت والشهيد حي بنص القرآن قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[4].

وهناك أصناف أطلق الشارع عليهم لفظ الشهادة، ولكنهم لم يقتلوا في المعركة بأيدي الكفار: ولهم الثواب العظيم والأمر الكريم للحديث: الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله المطعون (من مات بالطاعون) شهيد، والغرق (الغريق) شهيد، وصاحب ذات الجنب (الحمى والسعال) شهيد، والمبطون (الإسهال) شهيد، وصاحب الحرق (الحريق) شهيد، والذي يموت تحت الهدم (وقع عليه جدار) شهيد، والمرأة تموت بجمع (بسبب جنينها في بطنها أو عند الولادة) شهيدة»[5].

---

(١) رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن.

(٢) رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه أحمد.

(٤) آل عمران: (١٩٦).

(٥) رواه أحمد وأبوداود والنسائى بسند صحيح.

هؤلاء يغسلون ويُصلى عليهم .

وأما متى يكون العبدُ أهلاً للشهادة :

فإن منزلة الشهادة لا يرقى إليها إلاالمصطفونالأخيار ، الذين اختارهم الله بنفسه لنفسه شهداء قال تعالى ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾[1] فهي الرتبة العليا الثالثة قال تعالى ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2]

١ - يكون العبد أهلاً للشهادة إذا كان دائم السؤال لها ، ملحاً على الله بقبوله وللحديث «من سأل الله الشهادة بصدق بَلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[3] . وهذا عبدالله بن جحش في يوم أحد يرفع يده بالدعاء فيقول : اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلونى ، يبقروا بطني ، ويجدعوا أنفي وأذني ، ثم تسألني فيم ذلك فأقول : فيك»[4] .

٢ - إذا زهد العبد في الدنيا وعظمت الآخرة في قلبه ، فلم يكن عبداً للدرهم والدينار ، ولم تستذله زوجة ولا ولد ولا منصب ولا جاه ، ذلك العبد الصادق في نظره وفهمه وأن كل تعلقاته ، فإنما هي تعلقات آنية تبعده عن الحرام ، فإذا لاح أمر أخروي داسَ كل تلك التعلقات بقدمه فهذا (حنظلة بن عامر) يقول الرسول فيه وقد قتل : إنّ صاحبكم لتغسله الملائكة فأسلوا أهله ما شأنه ؟ فسألوا زوجته وكانت عروساً عليه في تلك الليلة فقالت : خرج من عندي وهو جنب حين سمع نداء الجهاد . فقال الرسول ﷺ : لذلك غسلته الملائكة»[5] .

---

(١) آل عمران (١٤٠) .

(٢) النساء : (٦٩) .

(٣) رواه مسلم .

(٤) فقه السيرة ص٢٨٢ للغزالي .

(٥) قبسات من حياة الرسول ص٦٩ .

الدّعــاء

قال تعالىٰ :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١) سأل الأصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية ﴿فإني قريب﴾ كما قال سبحانه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٢) فالله سبحانه لا يحتاج إلى وسائط بينه وبين خلقه في دعائهم .

فما الدعاء ؟ وما آدابه ؟ ولماذا لا يدعو العبد ربه ؟ وما موانع الدعاء ؟

أما الدعاء : فهو طلب العون من الله عز وجل .

وقد جاءت السنة في بيان آداب الدعاء التي ينبغي أن يلتزمها الداعي منها :ـ

١ ـ أن يفرد الله وحده بدعائه فلا يجوز أن تجعل بينك وبين الله وسائط من نبي أو ملك أو ولي فإنَّ الله تعالىٰ هو النافع والضار قال سبحانه ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ (٣) . لذا كان النهي شديداً عن إتيان العرّافين الذين يدعون علم الغيب . أو الساحرين للحديث «من أتى عرّافاً أو كاهناً أو ساحراً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» (٤) .

٢ ـ اليقين بقدرة الله تعالىٰ من إجابة داعيه : للحديث «ادعوا الله وأنتم

---

(١) البقرة : ١٨٦ .

(٢) ق : ١٦ .

(٣) الأنعام : ١٧ .

(٤) رواه مسلم .

(٥) أخرجه الترمذي .

موقنون بالإجابة»[1] . ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه القيِّم الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : أن صحابياً يقال له أبا معلق وكان تاجراً يتجر بماله ولغيره، خرج يوماً فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك؟ قال: خذ المال ودعني، قال اللص: أما المال فلي ولست أريد إلا دمك . فقال أبا معلق : أما إذا أبيت فذرني أصلي أربع ركعات ، قال : صل ما بدا لك ، قال : فتوضأ ثم صلى أربع ركعات فكان من دعائه في آخر سجوده «ياودود ، ياودود ياذا العرش المجيد يا فعالاً لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وبملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني ثلاثاً» . فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة فلما بصر به اللص أقبل نحوه فقتله فقال أبو معلق : من أنت بأبي أنت وأمي ؟ فقد أغاثني الله بك اليوم . فقال : أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت قعقعة ثم دعوت فسمعت لأهل السماء ضجة ثم دعوت فقيل مكروب فسألت الله أن يوليني قتله فأذن لي»[2].

٣ ـ تخير الأوقات الشريفة : كيوم عرفة من السنة،ورمضان من الأشهر والجمعة من الأسبوع،والسحر من كل ليلة،وبين الأذان والإقامة،والسجود للأحاديث المصرحة بذلك : فيوم عرفة للحديث «خير الدعاء دعاء عرفة»[3] . وفي الصيام للحديث «ثلاثة لا ترد دعوتهم إمام عادل ، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم»[4] ويوم الجمعة للحديث : «إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه إياه وهي بعد العصر»[5] . وفي السحر للحديث «إذا كان ثلث الليل الأخير ، ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ،

---

(١) الجواب الكافي : ص١١ .
(٢) رواه أحمد والترمذي .
(٣) رواه الترمذي .
(٤) رواه أحمد .

هـل من سـائـل فـأعطيـه، هـل من داع فـأستجيب لـه حتى يطلـع الفجر»[1] وبين الأذان والإقـامـة للحـديث «لا يرد الـدعـاء بين الأذان والإقامة» [2] . وعند السجود للحديث: «أقرب مـا يكون العبـد من ربـه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[3] .

٤ ـ أن تبـدأ دعـاءك بـالثنـاء على الله تعـالىٰ ثم الصلاة على رسول الله ﷺ ثم الدعاء للحديث «إن رسول الله سمع رجلاً يدعو ولم يصل على النبي فقال: عجل هذا ثم قال له : إذا صلى ـ أي دعا أحـدكم فليبـدأ بتمجيـد ربـه جل وعزو الثناء عليه ثُمَّ يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما يشـاء» . يقول عمر رضي الله عنـه : الـدعـاء مـوقـوف بين السماء والأرض لا يصعـد إلا بالصلاة على النبي ﷺ .

٥ ـ أن يتجنب الدعاء على نفسه وأهله وماله للحديث : «لا تدعوا على أنفسكم ولا تـدعوا على أولادكم ولا تـدعوا على خـدمكم ولا تـدعـوا على أمـوالكم لا توافقوا من الله تبارك وتعالىٰ ساعة يسأل فيها عطاء فيستجـاب لكم» [4] . وجاء رجل يشكو إلى عمر رضي الله عنه فسـاد ولـده وانحرافـه فقـال لـه عمر رضي الله عنه : «علك دعوت عليه» فقال الرجل : نعم ، فقـال عمر : أنت أفسـدته» .

٦ ـ الثقة بصدق المصطفىٰ ﷺ فيا أخبر به: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقـال: يـا أبـا الـدرداء قـد احترق بيتـك . فقـال : مـا احترق ـ لم يكن الله عـز وجل ليفعل ذلـك ـ بكلمـات سمعتهن من رسـول الله ﷺ مَنْ قـالهـا أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالهـا آخر النهـار لم تصبـه مصيبـة حتى يصبـح «اللهم أنت ربي لا إلٰـه إلا أنت ، عليـك تـوكلت وأنت رب العرش العظيم ، مـا شـاء الله كان ، ومـا لم يكن يشـاء لم يكن ، لا حول

---

(١) رواه الجماعة .

(٢) رواه أبو داود والنسائي والترمذي .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

ولا قـوة إلا بـالله العلي العظيم، أعلم أن الله علىٰ كل شيء قـدير ، وأنَّ الله قـد أحـاط بكل شيء علمـاً ، اللهم إني أعـوذ بـك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي صراط مستقيم » وفي بعض الروايات أنه قال : انهضوا بنا . فقام وقـاموا معـه ، فـانتهوا إلىٰ داره ، وقـد احترق ما حولها، ولم يصبها شيء»[1] .

وأما لماذا لا يدعو العبد ربه :

١ ـ أن يغتر العبـد بمـالـه وقـوتـه وعشيرتـه، قـال تعـالىٰ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[2] أي حقـاً إنّ الإنسـان يتجـاوز الحـد في المعصية ويستكبر على ربه إذا رأى نفسـه مستغنيـاً عن الخلق ، ظن جهلاً أو غباءً أنه قد استغنىٰ عن الخالق سبحـانـه فلا يمد يـده يسـأل ربـه وفي الحديث «من لم يسأل الله يغضب عليـه»[3] . وقـال تعـالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي (أي دعائي) سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[4] فالدعـاء فيه الاعتراف والإقرار بالعبودية لله سبحانه والافتقار إليه .

٢ ـ جهله بنفسه : يقول ابن القيم ـ رحمـه الله ـ «من عرف نفسـه عرف ربـه» من عرف نفسه في مادة خلقها . قال سبحانه ﴿ فلينظر الإنسان ممـا خلق. خلق من مـاء دافق ﴾ وفي الحـديث «بصـق رسـول الله في يـده ثم قـال يقـول الله تعـالىٰ : يـا ابن آدم أتعجـزني وقـد خلقتـك من مثـل هـذه» يقول أحـد السلف في بيـان أحوال ابن آدم : أولـك نطفـة قـذرة وآخرك جيفة نتنة ، وما بينهما تحمل العـذرة (الغـائـط والبول) . ويقول الحسن : عجباً لابن آم يمسح بوله وغائطه بيـده في اليوم مرة أو مرتين ويتكبر على الملك الجبار .

٣ ـ أن يحرم العبـد اليقين بمـا للـدعـاء من آثـار ، فيظن بربـه ظن السـوء

---

١) فقه السنة مجلد١ ، ص٥٠٤ .

٢) العلق : (٧) .

٣) رواه ابن ماجة .

٤) غافر : (٦٠) .

وللحديث «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» . قال الشوكاني : فمن ظن بربه الخير أفاض عليه جزيل خيراته بأنه القادر على كل شيء سبحانه ، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالىٰ هكذا» أي ومن ظن بربه سوء الظن وأنه عاجز عن تغيير ما حلَّ به ، عامله الله علىٰ سوء ظنه بما هو أهله .

وأما موانع إجابة الدعاء :

١ ـ أكل الحرام . للحديث: «أن سعداً قال: ادع الله يارسول الله أن أكون مستجاب الدعوة، فقال: ياسعد أطب مطعمك تستجب دعوتك واعلم أن اللقمة الحرام إذا وقعت في جوف أحدكم لا يتقبل عمله أربعين يوماً» أخرجه الحافظ مردويه . «وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر (أي في جهاد وحج) ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يمد يديه إلى السماء يقول يارب فأنى يستجاب لذلك» (١) .

٢ ـ استبطاء الإجابة للحديث : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لي» (٢) .

٣ ـ الدعاء بقلب غافل للحديث : «القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله (أيها الناس) فسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل» (٣) .

---

(١) رواه مسلم وأحمد .

(٢) رواه الامام مالك .

(٣) رواه أحمد .

التوبة

قال تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) . جعل الله رمضان واحة يأنس فيها السالكون ، ويتزود منها المتزودون لمواصلة الطريق إلى الله عز وجل وجعل لهذا الصيام ثمرة هي التقوى ولابد للتقوى من توبة تسبقها .

فما التوبة ؟ وكيف تكون ؟ وما ضمان استمرارها ؟

☆ **التوبة :** لغة هي الرجوع والمراد بها الرجوع والإنابة إلى الله تعالىٰ بعد البعد عنه بالمعصية .

١ - وقد خلق الله الإنسان وأودع فيه الاستعداد للصلاح وللفساد معاً فقال ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾(٢) ودعانا إلى تزكيتها وتنمية الخير فيها فقال ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

٢ - وكون ابن آدم يذنب فهذا وارد للحديث «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»(٣) ولكن الفرق بين فعل الذنب والإصرار عليه قال تعالىٰ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) . واستغفارنا لا يكون بتحريكة اللسان فقط للحديث «المستغفر من الذنب وهو مُصِّر عليه كالمستهزىء بربه» (٥) فلابد من التوبة التي يصف المصطفى

---

(١) البقرة : ١٨٣ .

(٢) الشمس : ٧ ـ ٨ .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) آل عمران : ١٣٥ .

(٥) رواه البيهقي .

ﷺ فرح الله بها فيقول «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب، من أحدكم على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه فآوى إلى شجرة فنام فلما استيقظ وجد راحلته فقال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»[1]. وأبواب السماء مشرعة أمام التائبين للحديث «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» [2].

☆ وأما كيف تكون التوبة :

١ ـ فلابد من الندم والحسرة على ما مضى من تفريط ـ وسوء أدب مع الله جل وعلا ومقابلة إحسانه ومَنِّه بالذنوب كما جاء في الحديث القدسي أنا والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر سواي أتحبب إليهم بالنعم ويبتعدون عني بالمعاصي خير إليهم نازل وشرهم إليّ صاعد» [3]. جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم يقول له : «إن نفسي تراودني بالمعصية فماذا أفعل ؟ فقال له إبراهيم : إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه ولا تنام على أرضه ولا تعصه بين عينيه » فقال الرجل وكيف: وكل ما في الأرض ملك له سبحانه وأي مكان أكون فيه فهو المطلع على السر وأخفى ، فقال إبراهيم : أما تستحي أن تأكل من رزقه وتنام على أرضه وتعصيه بين عينيه» .

٢ ـ وعليك أن تستحي من المجاهرة بالمعصية بل اجعلها بينك وبين ربك للحديث «كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا بات يستره الله وأصبح يكشف ستر الله عنه» [4]. والذين يجلسون

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) متفق عليه .

في مجـــالسهم مفتخرين أو متحسرين على أيـــام مضت في معصيـــة الله ومقارفة فعال السفلة والعاهرين ليس لهم نصيب من التوبة في شيء .

٢ ـ ألا تكـون صلتنـا بـالله سبحـانـه صلـة مـواسم ومنـاسبـات كرمضـان والجمعة بـل لابـد أن نجعـل من رمضـان انطـلاقـة خير واستـدراك لمـا فـات من تقصير فـالله عز وجل يقـول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ﴾ (١) . والتـوبـة النصـوح كما يقـول ابن كثير ـ رحمـه الله ـ (التـوبـة النصـوح أن تبغض الـذنب كما أحببتـه وتستغفر منـه كلمـا ذكرتـه» ويقـول عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه : أن يتـوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود إليه أبداً) .

☆ **وأما ضمان استمرارها :**

١ ـ فلابد من الأجواء الطيبة فالبيئة الصالحة تعين على الطـاعـة كما أن البيئـة الفـاســدة تعين على المعصيـــة ، وفي الحـــديث يقص رســول الله ﷺ قصة رجل من بني إسرائيل قتل تسعة وتسعين نفساً فلمـا أراد التوبـة دلـه العالم أن يترك الأرض التي عمل فيها السئيات ويذهب إلى قريـة صـالحـة بعيـدة يعبـد الله فيهـا حتى يتخلـق بـأخـلاقهم ، وبينمـا هـو في الطريـق أدركه الموت فتنازعت فيـه ملائكـة الرحمـة والعـذاب فجـاء الأمر من الله تعالىٰ بـأن يقيسوا مـا بين القريتين فـإن كان إلى القريـة الصـالحـة أقرب أخذته ملائكـة الرحمـة ، وإن كان إلى القريـة الفـاسـدة أقرب ، أخذته ملائكة العذاب فقاسوا فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر وفي رواية أن الله تعالىٰ قال للقرية الصالحة اقتربي وللقرية الفاسدة ابتعدي » (٢) .

٢ ـ ولابد من اغتنام الأوقات قبل رحيلها ، فـأعمـارنـا لحظـات في عمر الزمن وفي الحـديث «أعمـار أمتي مـا بين الستين والسبعين» (٣) فـمـا قيمـة الستين

---

(١) التحريم : ٨ .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه الترمذي .

والسبعين أمام قول الله تعالىٰ ﴿ خالدين فيهـا أبـدا ﴾ في جنـات النعيم ، فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، وفي الحديث «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغنـاك قبل فقرك ، وفراغـك قبل شغلك ، وحياتك قبل مماتك»[١] .

٣ ـ وينبغي أن تكون صلتنا بالله سبحانه صلـة لا تعرف المواسم والمنـاسبـات نعبـد الله في رمضـان ونكفر بعـد رمضـان ، وإذا كان رمضـان قـد طهر القلوب من ذنوبها وأعاد إليها ضياءها فلابد أن نحفظ لهذه القلوب طهرها ولا يكون ذلـك إلا بـذكر المـوت فقـد سئـل المصطفىٰ ﷺ أي المـؤمنين أكيس : قـال أكثرهم للمـوت ذكراً وأحسنهم لمـا بعــده استعــداداً أولئــك الأكياس»[٢] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن .

(٢) رواه ابن ماجه .

الأخوة

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١)

إنما أداة حصر أي أنَّ المؤمن لا يكون إلا أخاً للمؤمن ، فضعف الأخوة دليل على ضعف الإيمان وقوة الأخوة دليل على قوة الإيمان .

فما الأخوة في الله ؟ وما فضيلتها ؟ وما معاول الهدم في أخوتنا ؟

أما الأخوة في الله : فهي أن يصحب المؤمن أخاه متجرداً في صحبته من كل غرض دنيوي ، أخوة مبنية على أساس من محبة الله ورسوله .

وينبغي أن تعلم :

١ ـ الأخوة في الله هي الآصرة التي عقد الله لواءها ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾(٢) فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين الأوس والخزرج استمرت أربعين سنة ، فلو أديت ديات القتلى لبقيت جراحات القلب باقية لا تزول، ولكنها الأخوة في الله التي أزالت كل تلك الآثار .

٢ ـ أخوتنا مبنية على العقيدة ، فكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأصدق قوله بالعمل فهو أخ لي مهما كان لونه وبلده ، وكل من انحرف أو بدل أو غيّر في عقيدته فهو أبعد الناس مني ، وأبرأ منه ومن صحبته .

تأمل معي في قولة إبراهيم الخليل مع أبيه « فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ »(٢) وتأمل معي في قولة نوح مع ولده «وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ

---

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) التوبة : ١١٥ .

ٱلْمُغْرَقِينَ » .. « وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ... » [1].

٣ - وفي غزوة بدر : قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وأنزل الله قوله ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [2].

وقتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام .

وقولة عمر في أسرى بدر قال : أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين (أي محاباة للمشركين) [3] .

وما فضيلتها :-

١ - عبادة لله تكون للحديث «ماتحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه» [4] . .

٢ - وبها تجد حلاوة الإيمان : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» [5] .

٣ - تنعم بظل العرش يوم القيامة للحديث «سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة (ومنهم) رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» [6] .

---

(١) هود : ٤٥ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) فقه السيرة للغزالي ص٢٥٣ .

(٤) أخرجه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٥) متفق عليه .

(٦) متفق عليه .

٤ - وبالمنزلة الرفيعة في الآخرة : إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمنازلهم وقربهم من الله لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس لباسهم نور ووجوههم نور وإنّهم لعلى نور. قالوا: صفهم لنا يارسول الله قال : هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله» [1] .

وأما سماتها :-

١ - الولاء والنصرة والمحبة ، ووصف رب العزة موالاة أعدائه بعضهم البعض فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [2] . اليهود ، النصارى ، الشيوعيون كلهم يرفعون شعار الأممية إلا أمة الحق فهي مشغولة بالاعتزاز بكل ما فيه فرقة وانقسام من جنسية أو مال أو جاه .

٢ - المواساة بالمال : الذين هاجروا من مكة إلى المدينة واستقبلهم الأنصار وضربوا أروع الأمثلة في الأخوة والعطاء وُجِدَ الذي يقول لأخيه المهاجر: هذه داري اجعلها نصفين وكذا مالي ، ولي زوجتان أطلق إحداهما فتتزوجها . لم ينظروا إليهم أنهم جاءوا يأكلون خيرات بلادهم وأنهم مرتزقة ، فخيرات الأرض والسماء بيد الله وهي ملك لله .

٣ - الرحمة : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [3] .

والله لقد قست منا القلوب حتى أصبح لا يلفت نظرنا ولا يثير الاهتمام فينا ما يجري لأمة محمد من إبادة في أفغانستان على أيدي الشيوعيين ولا في أفريقيا من مجاعة استغلتها النصرانية وغيرها في نشر مبادئها ومساومة المسلمين على دينهم ، أين نحن من حديث رسول الله «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى

---

(١) رواه أحمد .

(٢) الأنفال : ٧٣ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١] ولقد أصبحنا في واقع لا يجد المسلم حرجاً في أن يقيم جسوراً ومودة بينه وبين السفلة من الناس أو أعداء الله ويظهر كل التعالي وعدم المبالاة أو الاهتمام بأخوانه وما يعانونه .

٤ ـ الخلق الحسن : للحديث «إنّ العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[٢]

أ ـ فلا شماتة : «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»[٣] .

ب ـ ولا تكبر : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر»[٤] .

جـ ـ ولا تعسير : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[٥] .

بل كن كما قال المصطفى ﷺ :«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[٦] .

وأما معاول الهدم في أخوتنا :

فقد تناولتها سورة الحجرات :

أ) تقديم الأهواء والآراء على الكتاب والسنة ـ قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[٧] وعمر رضي الله عنه يقول : تعرف على الرجال بالحق ولا تتعرف إلى الحق بالرجال . فليس ما قاله فلان هو الحق وما عداه هو الباطل ، والأئمة يقولون : كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر . وفي حادثة جرت عندما خرجت سرية

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه الجماعة إلا مسلماً .

(٦) رواه مسلم .

(٧) الحجرات : ١ .

فاختلفوا على أميرهم فأشعل لهم ناراً فقال ادخلوها ، فقالوا : إنما آمنا حتى ننجو منها ، فلما عادوا إلى رسول الله ﷺ قال لهم : والله لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعة في المعروف »[1] .

ب) عدم التثبت : وما آفات الأقوال إلا رواتها قال تعالىٰ ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[2] .

يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ إني لأعلم رجالاً بالمدينة يستقى بهم المطر لا آخذ الحديث عنهم لعدم تثبتهم .

جـ) عدم الأخذ بميزان التفاضل الذي شرعه الله سبحانه : والأخذ بموازين الجاهلية من نسب وجنسية وطين . والله يقول ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[3] .

د) السخرية وانتقاص الآخرين : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾[4] .

وفي الحديث : «إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم»[5] .

يقول سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ : إن الرجل ليحدثني بالحديث قد سمعته أنا قبل أن تلده أمه فيحملني حسن الأدب أن أسمعه منه» .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) الحجرات : ٦ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

(٤) الحجرات : ١١ .

(٥) الجواب الكافي ص٤٤ من مراسيل الحسن .

النصيحة

قال الله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1] الأنبياء دعاة حق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. والصبر لازم للأنبياء ومن سار على دربهم حيث سوء الأدب في القول والفعل يتلقون ويواجهون ويبقى الداعية ناصحاً لقومه أميناً على دعوته.

فما النصيحة ؟ ولماذا ؟ وما أدب النصيحة مع الكافر والمسلم ؟ وما معاول الهدم في أخوتنا ؟ .

أما النصيحة : لغة فهو مأخوذة من نصح الرجل ثوبه أي خاطه وأصلح ما فيه من الخلل والمراد بها : إرادة الخير للمنصوح له وإرشاده إلى ما يصلحه .

١ - وديننا مبني على النصيحة للحديث «الدين النصيحة» [2] .

٢ - وعلى النصح بايع النبي - ﷺ - جريرَ بن عبدالله ، يقول جرير «بايعت النبي ﷺ - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» [3] .

٣ - والنصح خلق كريم : لذا كان من أساليب الباطل أن يظهر نفسه للناس بمظهر الناصح أسوة بالشيطان في إغراء آدم وزوجه بالمعصية قال تعالى ﴿وقاسمهما إني لكما من الناصحين﴾ [4] أي حلف : بالله على ذلك حتى

---

(١) الأعراف : (٦٥) .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) الأعراف : (٤٤) .

خدعهما فلا قيمة لاسم الله العظيم في حِسِّ الشيطان وأوليائه .

٤ ـ الأجر العظيم لمن يقوم بواجب النصح للحديث «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[(١)] ولما كان رسول الله ﷺ هو الناصح الأول فأجور أعمالنا عائدة إليه من غير أن ينقص من أجورنا شيء .

وأما أدب النصيحة مع الكافر فهو :

١ ـ استشعار الأمن عند النصيحة من غير إرهاب ولا تهديد قال تعالىٰ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[(٢)] أي إنما شرعنا الأمان لمن جاء مسترشداً حتى يسمع كلام الله وتقام عليه الحجة»[(٣)] .

٢ ـ الإحسان إليه فلا سباب ولا شتم قال تعالىٰ ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾

٣ ـ اللين معهم : ومن قبل قال الله لموسىٰ وأخيه يوجههما باللين مع فرعون الطاغية الذي قال ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[(٤)] يقول الله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[(٥)] . ولكن الدعوة هي الدعوة والنصيحة هي النصيحة فلا فظاظة ولا تجريح فقد قيل إن عالماً قام ينصح المأمون فأغلظ له القول في النصيحة فقال له المأمون : «لقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فقال له». ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ فلست خيراً من موسى ولست شراً من فرعون .

٤ ـ بل ويبلغ حلم الله تعالىٰ وكرمه أن يخاطب الذين يعبدون غيره فيقول

---

(١) رواه مسلم .

(٢) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص١٢٧ .

(٣) الأنعام : (٢٤) .

(٤) النازعات : (٢٤) .

(٥) طـه : ٤٤ .

« ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ »[1] ويترك لهم الخيار في الرفض أو القبول، قال تعالى ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[2] .

وأما أدب النصيحة مع المسلم :ـ

١ ـ **الرفق واللين** : فالنفس الإنسانية مجبولة على محبة من يحسن إليها وتبغض من يسيء إليها وصدق الله العظيم «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» وحدث أن أعرابياً بال في وسط المسجد فقام الأصحاب لينالوا منه فمنعهم الرسول ﷺ وقال لهم «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين فيسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» وقال للأعرابي : «إن المساجد لا يبال بها وإنما بنيت لذكر الله والصلاة» ثم دعا بذنوب من ماء فصبه على بولة الأعرابي «فكان الأعرابي يقول بعد ذلك : بأبي هو وأمي رسول الله لم يعنفني ولم يؤنبني»[3] .

٢ ـ **أن تسرَّ له النصيحة** : يقول الشافعي رحمه الله: « من نصحك في ملأ فردّ عليه نصيحته فإنه قد ابتغى فضيحتك ولم يبتغ نصيحتك» وذكر ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم ،«وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً حتى قال بعضهم : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه» وقال الفضيل بن عياض:«المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير» ولهذا ابتلى الصف المسلم في واقعنا ممن حرموا لذة الإيمان ، ولم تلمس خشية الله قلوبهم يوماً وأعانهم انقطاع الوحي الذي كان يكشف كل كاذب ومنافق في الصف ، أن يهتكوا ويعيروا ويفضحوا باسم الإسلام والحرص على دعوته .

٣ ـ **أن تبغض الذنب لا ذاته** : قال أبو الدرداء لقوم يسبون رجلاً أصاب

---

(١) سبأ : ٢٤ .

(٢) الكهف : ٢٩ .

(٣) رواه الجماعة إلا مسلماً .

ذنباً .. لا تسبوا أخاكم وحمدوا الله الذي عافاكم ، قالوا : أفلا نبغضه ، قال : إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي» .

٤ ـ أن تُشْعِرَ المنصوح بالرغبة الصادقة في هدايته بالدعاء له ، فقد أتي النبي ﷺ بشارب خمر فأمر به فضرب فلما أدبر القوم جعلوا يدعون عليه ، اللهم اخزه ، اللهم العنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تقولوا هكذا ولا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم ولكن قولوا : اللهم اغفر له اللهم ارحمه» (١) .

٥ ـ أن تعلم أن مهمتك الدعوة والنصيحة فلست قاضياً على إيمان الناس فهذا كافر وهذا فاسد العقيدة علماً أن السلف قالوا : «لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» فمن عيوب أهل البدع أنهم يكفربعضهم بعضاً ومن محاسن أهل العلم أنهم يُخَطِّئون ولا يُكفرون» كما ذكر الإمام الطحاوي.

وأما معاول الهدم في أُخوتنا :ـ

١ ـ الاعتزاز بغير نسب الإيمان من أرض وطين ودم ، وأول لبنة بناها الرسول ﷺ في الصرح الإسلامي كانت تتكون من أبي بكر القرشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي . جنسيات مختلفة انصهرت في بوتقة الإسلام ، **فجنسية المسلم عقيدته . فالعالمية أصل والإقليمية انحراف**

٢ ـ **أن تنقلب عندنا مفاهيم الأخوة فالله تعالىٰ يقول ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾** (٢) . ولكن الأخوة الجوفاء والفهم السقيم تجيز لصاحبها أن يمدّ يده للشيطان ضد إخوانه بل يظن غباءً وجهلاً أنه في ذلك يتقرب إلى الله بطاعة عند إيذائه لإخوانه ولا يتحرج في أن يكون سبباً

(١) رواه البخاري .
(٢) المائدة : ٥٤ .

في تشويه سمعتهم والوقوع في أعراضهم أو قطع أسباب معايشهم باسم الإسلام والحرص على دعوة الله ، وخسيء وخاب بل هي آثام تجعله من المفلسين يوم القيامة ، للحديث «أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويؤتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ثم طرح في النار» [1] .

٣ ـ حب الذات : وهي آفة الآفات وقد قيل : حب الظهور كما قصم الظهور ، فهو يذكر ذاته وينسى ربه مع إعلانه المتكرر بأن الغاية هو الله وأن رضوانه هو المنتهى ـ إنَّ حب الذات إذا تمكن أعمى وأصم . وقديماً قال إبليس (أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ) [2] فهو داء الأنا القديم يسري في النفوس على قدر خلوها من المجاهدة للحديث «إن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالصوم» [3] . مما جعل المسلم المصاب بهذا الداء يجد أن ذاته أعزُّ عليه من الله ورسوله ومنهجه ، ويريد من الجميع أن يكونوا تبعاً له ، ولن يكون تبعاً لأحد ، وهو الداء الذي أصبح سمة للكثير ممن يتولون توجيه وتربية الشباب ، فما أفجعها من مصيبة في المربي والمُرَبى والتربية وثمارها المرة . نسأل الله العافية .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الأعراف : ١٢ .
(٣) متفق عليه .

الخلق الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (1) .

البر اسم جامع لكل خير ، وفي الآية رد على اليهود في زعمهم أن البر هو مجرد التوجه إلى جهة المغرب في تعبدهم ، ورد على النصارى في زعمهم أن البر مجرد التوجه إلى المشرق ، وذكرت الآية خمسة عشر نوعاً من أنواع البر جمعت بين التصور والسلوك على أسس من الإيمان بالله ، والإنفاق للمال ، وخلق حسن بين الناس .

فما الخلق ؟ ولماذا ؟ وما مصادر الخلق الحسن ؟ وما السبيل إلى تقويم الخلق المعوج ؟

الخلق : هو السجية الطبع .

اصطلاحاً : مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وعنها تصدر الأفعال بسهولة من غير فكر أو رؤية .

١ ـ الخلق في إسلامنا عبادة للحديث «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم والقائم» (2) .

٢ ـ الخلق الحسن ركن الإسلام العظيم : سأل رجل النبي ﷺ فقال يارسول الله : ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق» فلا قيام للدين بدونه ، كالوقوف

(١) البقرة : (١٧٧) .

(٢) رواه أبو داود وابن حبان .

في عرفات بالنسبة للحج للحديث (الحج عرفة) فلا يكون الحج إلا بالوقوف في عرفات»[1].

٣ - واستحق الرسول ﷺ ثناء المولىٰ جلّ جلاله لحسن خلقه قال تعالىٰ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

وسأل سعد بن هشام عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قال : نعم فقالت : كان خلقه القرآن»[3].

ولماذا الخلق الحسن ؟

١ - لابد منه فهو الصورة العملية للجانب الفكري من إسلامنا : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] دعوة إبراهيم الخليل «أي لا تجعل قولي يخالف فعلي فأكون فتنة لهم فلا يؤمنون بك» وما أسلمت الكثير من الأقاليم إلا بسبب تجار المسلمين،أظهروا الصدق في تعاملهم مما حمل الناس على أن يؤمنوا بهذا الدين» حادثة قتيبة بن مسلم الباهلي ودخول سمرقند، واحتجاج أهلها عليه لأنه لم يخيرهم بين الجزية والسيف فبعث عمر بن عبدالعزيز من يحكم بينهم فقضى بخروج قتيبة وجنوده فلما وصلوا الأبواب، قال لهم أهل سمرقند ، عودوا إلينا والله ما هذه بأخلاق بشر وإنا والله لعلى دينكم» .

---

(١) أصول الدعوة ص١٢٠ .

(٢) القلم : (٤) .

(٣) رواه مسلم .

(٤) الممتحنة : (٥) .

٢ ـ لا نجاة يوم القيامة إلا به : صلاتك، صيامك لنفسك ، أما الخلق الحسن فهو مما يتعدى نفعه إلى الاخرين قيل لرسول الله ﷺ : فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها قال : دعوها إنها من أهل النار» [١] «دخلت إمرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» [٢] .

٣ ـ الخلق الحسن لازم في الوسائل والغايات : فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث (الغاية تبرر الوسيلة) قال تعالى ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٣] فنصر المسلم لأخيه قيام بحق الأخوة ولكن إنْ استلزم نقض العهد فلا» .

مصادر الخلق الحسن :

١ ـ الإيمان بوجود الله سبحانه : مرّ عمر رضي الله عنه بغلام يرعى قطيعاً من الغنم ، فقال : بعني واحدة . فقال الغلام : إنها لسيدي : فقال : بعني واحدة وخذ ثمنها وقل لسيدك أكلها الذئب» فقال الغلام : فأين الله ؟ فبكى عمر واشترى الغلام من سيده واعتقه وقال له : هذه الكلمة اعتقتك في الدنيا وأسأل الله أن تعتق رقبتك يوم القيامة» .

جندي يأتي بما حصل عليه من كنوز كسرى أمام قائده ، فيقول له قائده مستفهماً : أهذه فقط ؟ فقال الجندي وقد أخذته عزة الإسلام : «والله لولاالله ما جئتك بها» الإيمان بالله هو الأساس الذي ينبغى مراعاته عند تولية المسئوليات حتى لا تفجع الأمة بمن يتولى أمرها في مواضع

(١) رواه أحمد .

(٢) متفق عليه .

(٣) الأنفال : (٧٢) .

المسئوليـة وهم من أخون النـاس وأجرأهم على الاختلاس والسرقـة ويتبجح بألفاظ المسئولية والحرص والأمانة من الكلام المستهلك .

٢ - القرآن : ذلك بـأن يكون هو المنهج الـذي يحكم ويوجـه ويربي ، فينشىء جيلاً قرآنياً فريداً سئلت عائشـة رضي الله عنهـا- عن خلق النبي- ﷺ -. قـالت : «كان خلقـه القرآن» إنّ المنهج القرآني يوجـد الرجل الصـالح أمـا مناهج التربية الوطنية والقوميـة إنمـا تسعى لإيجـاد المواطن الصـالح : أي الذي يكون صـالحـاً في حـدود بلـده فـإذا خرج انقلب إلى حيوان كاسر ، وحتى الغاية المتدنية في إيجاد المواطن الصالح أصبحت مفقودة لأنها تفتقد إلى الرصيد من الإيمان بـالله واليوم الآخر فهم من أقل النـاس حرصـاً على حرمة بلادهم ومرافقه العامة وأموال الأمة فهم العابثون المفسدون.

«مستأجرون على خـراب بـلادهم ويأخذون على الخراب رواتباً»

٣ - القـدوة الصـالحـة : التي هي المثل الـذي يحتـذى بـه ، وصـدق الله العظيم ﴿ لقـد كان لكم في رسول الله أسوة حسنـة ﴾[1] ومـا اعوجت الأخلاق في أمتنـا إلا يـوم أن استبـدلت بغير رسـول الله قـدوة لهـا من خـلال إلقـاء الأضواء والاهتمام العجيب بالتافهين والتافهـات وبـذل المـال أمـامهم . مـا الذي تفكر بـه المرأة المسلمـة عنـدمـا ترى فـاجرة يؤتى بهـا لتقـدم عرضـاً مسرحياً بمبلغ خمسين ألف دينار ، وما الـذي يقولـه الشـاب المسلم عنـدمـا يرى لاعبـاً عـابثـاً تقوم الأمـة وتقعـد إكرامـاً لـه لاعتزاله ومـا قـدم من خـدمـات جليلـة ، وعنـدمـا يرى كرام الأمـة يعلقون على أعواد المشـانق ويتهمون بالرجعية والإرهاب .

٤ - الخشية من الله : واستشعار رقابته سبحانه «خرج عمر يوماً فمر بعجوز في خبائها فقالت: يا هذا ما فعل عمر؟ قال: إنه قد أقبل من الشام سـالمـاً، فقـالت ، لا جـزاه الله خيراً ، قال: لم؟ قـالت : والله مـا نـالني من

(١) الممتحنة : (٦) .

عطائه شيء منذ ولي أمر المؤمنين . فقال عمر : وما يُدري عمر بحالك وأنت في الموضع النائي ؟ قالت : سبحان الله! يلي أمر المؤمنين ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها ؟ فبكى وقال في نفسه : واعمراه كل واحد أفقه منك حتى العجائز ، ثم قال لها : يا أمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فإني أريد أن أرحمه من النار، فاشتراها منها بخمسة وعشرين ديناراً، فأقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود فقالا : السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فصعقت العجوز وقالت: واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه. فقال عمر : لا بأس عليك وطلب رقعة وكتب فيها (هذا ما اشتراه عمر من فلانة مظلمتها بخمسة وعشرين ديناراً فما تدعيه عندما تقوم في المحشر بين يدي الله فعمر برىء منه ، شهد على ذلك علي وابن مسعود ثم قال : إذا أنا مت فاجعله في كفني ألقي به ربي» [1] .

٥ - الخوف من عذاب الله في الآخرة : كان الرجل إذا ارتكب ذنباً بينه وبين نفسه أقبل إلى رسول الله تائباً طالباً للحد ، كحادثة ماعز : «وبعد أن أقام الرسول عليه الحد ، سمع رجلين يقولان : ما أحمق ماعزاً ستره الله ففضح نفسه ، فسكت المصطفى ﷺ - فرأى جيفة حمار فقال: أين فلان وفلان اللذان تحدثا؟ قالا: لبيك يارسول الله ، قال : قوما فكلا من جيفة هذا الحمار ، قالا : غفر الله لك أتأمرنا بهذا؟! قال : ما أكلتما من لحم أخيكما أنتن من جيفة هذا الحمار وإنه الآن لمنغمس في أنهار الجنة»[2].

٦ - استشعار قدرة الله سبحانه : الغبي هو الذي يغتَر بقوته وسلطانه ونفوذه ويظلم ويبطش ويطغى ويجهل إمهال الله للظالمين ثم أخذه لهم «وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ » [3]. لما دخل المسلمون قبرص وحيل بين أهلها وأخذ بعضهم يبكي إلى بعض ، بكى

---

(١) قبسات من حياة الرسول ص١٨٧ .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) هود : (١٠٢) .

أبو الـدرداء فقـال لـه رجل : أتبكي في يوم أعز الله فيـه الإسلام وأهله؟ فقال : دعك من هذا : إنما أبكي مستعظماً لقدرة الله بينمـا هي أمـة قـاهرة قادرة إذ عصت أمر ربها فصارت إلى ماترى» .

رسول الله يرى أبا مسعود وهو يضرب عبداً وخادماً عنـده فقـال لـه : اتق من هو أقدر عليك منك عليه ، فقـال : هو حر لوجـه الله ، فقـال : والله لو لم تقلها لمستك النار» [1] .

وأما السبيل إلى تقويم الخلق المعوج :

١ ـ **الدعاء** : وكان من دعـائـه ﷺ «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهـدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت»[2].

٢ ـ **العلم** : أن تعلم إمكانيـة التخلي عن كل خلـق سيء وإمكانيـة التحلي بكل خلق حسن لذا قال العلمـاء : (لا تكليف بمستحيل) وصـدق الله العظيم ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [3] .

٣ ـ **مباشرة الأعمال الصالحة** : عن أبي موسى رضي الله عنـه عن النبي ﷺ قـال «على كل مسلم صـدقـة» . قـال : أرأيت إن لم يجـد ؟ قـال : يعمـل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قـال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قـال : يعين ذا الحـاجـة الملهـوف » . قـال : أرأيت إن لم يستطـع ؟ قـال : «يـأمر بالمعروف أو الخير قال : أرأيت إن لم يفعل ؟قـال : يُمسـكُ عن الشرّ فإنها صدقة» [4] .

٤ ـ **القيـام بـالأعمـال المضـادة لـلأخـلاق التي يراد التخلص منهـا :** ويسمى هذا المسلك التضاد أو المراغمة للشيطان. فتقابل القسوة بالرحمـة:

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) الشمس : (٧) .

(٤) متفق عليه .

شكا رجل إلى رسول الله ﷺ فسوة قلبه فقال له : امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين» . وتقابل التكبر بالجلوس مع الفقراء والضعفاء ، وأن تقابل البخل بالسخاء والعطاء مراغمة للشيطان وإغاظة له حتى ييأس من غوايتك وينصرف عنك» [1] .

٤ - **أن يطلب صديقاً صدوقاً يعرفه بعيوبه ، أو أن يستفيد معرفة عيوبه من ألسنة أعدائه** : وكان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدي إليَّ عيوبي» بل يسأل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول ﷺ بأسماء المنافقين يقول له عمر رضي الله عنه : هل ذكرني رسول الله في المنافقين ؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه ، أو أن يستفيد من أعدائه فيما يذكرونه من عيوبه فعين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الإنسان بعدوه في تعريفه بعيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن» [2] .

---

(١) أصول الدعوة ص٩٣ .

(٢) إحياء علوم الدين مجلد٣ ص٦٤ - ٦٥ بتصرف .

الاستقامة

قال تعالى ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾[1] طريقان لا ثالث لهما، طريق الإسلام وطريق الكفر ، الاستقامة على طريق الإسلام فيها الخير والرزق والبركة . وطريق الكفر فيه الألم والمشقة والعذاب ، وفي الآية دعوة إلى الاستقامة .

فما الاستقامة ؟ ولماذا ؟ وما دلائل استقامة العبد ؟ وما السبيل ؟

الاستقامة : لغة هي الاعتدال .

واصطلاحاً هي الالتزام بالمنهج من غير تردد في القلب ولا ريب في العقل ولا التفات في النفس والهوى .

وينبغي أن تعلم :-

١ ـ وصف رب العزة طريقه بالاستقامة فقال ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

٢ ـ نفى العوج عن منهجه فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾[3] .

٣ ـ والاستقامة هي الصورة العملية التطبيقية الصادقة للإيمان الصادق ، سأل سفيان بن عبدالله رسول الله ـ ﷺ ـ : «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . فقال : قل آمنت بالله ثم استقم»[4] .

---

(١) الجن : (١٦) .

(٢) يس : ٢ ـ ٣

(٣) الكهف : (١) .

(٤) رواه مسلم .

٤ ـ والاستقامة لا يعلم ثقلها ومشقتها وتكاليفها إلا الرسل والخُلّص من الدعاة، يقول ابن عباس : ما نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ آيةٌ كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ حتى سأل الأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ قد أسرع إليك الشيب . فقال : «شيبتني هود وأخواتها» [1] .

٥ ـ ومما كان له الفضل السابق في استقامة الأصحاب رضوان الله عليهم ونقاء الصف الراشد من العابثين هو (الوحي) الكريم الذي كان يرصد كل حركة، كل قولة ، كل هاجس ، فيقبلها أو يرفضها، فكان الصف معروفة شخوصه. قال أبوبكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة الرسول ـ ﷺ ـ «انطلق بنا إلى أم أيمن ـ رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله تعالىٰ خير لرسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : «ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها»[2].

أما وقد انقطع الوحي فإن الساحة مفتوحة أبوابها لكل من هبَّ ودبَّ أن يعبث وأن يمزق ، وأن يحتال ويخدع باسم الإسلام ، والحرص عليه ، ولن تظهر حقائق الرجال إلا بعد فواجع قد تصيب المقتل فرحم الله (أم أيمن) ما أكرمه من فهم منَّ الله به عليها ، وما أرقها من مشاعر تجعلها تبكي هذا البكاء المبارك ، فوالله لقد جرىٰ ما كنت تحذرينه وتتوقعينه ، وأصبح ألدّ أعداء الإسلام هم دعاته إلا من رحم ربي لرحيل الصدق ، والإخلاص ، والتجرد وبقاء الرسوم والصور .

لا تغرنكَ اللحىٰ والصور فتسعة أعشار من ترىٰ بقر

وأما لماذا الاستقامة :ـ

١ ـ فلأن الصوارف عن طريق الله كثيرة :

---

(١) نزهة المتقين ص١١٨ .

(٢) رواه مسلم .

أ - نفسك ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [1] .

ب - زوجتك وولدك . كان عبدالرحمن بن مالك الأشجعي كلما أراد الجهاد قامت إليه زوجته وولده فرققا قلبه فأنزل الله قوله ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [2] .

جـ - الكثرة من المجتمع واغترارك بهم ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [3] .

د - شيطانك ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [4] .

هـ - انقلاب الموازين «يصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة» [5] .

وعندما يصبح واضحاً أنه لا يمكن الارتقاء المادي والمعنوي إلا من خلال الأساليب المعوجة ، وعندما يكون النفاق هو العملة الرسمية التي يتعامل بها الجميع ، عند ذاك يخلو طريق الصدق من سالكيه :

قـل لمن بصروف الدهر عيرني ... هل حارب الدهرُ إلا من به خطرُ
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قعره الدررُ
وكم على الأرضِ أشجارٌ مورقةٌ ... وليس يُرجم إلا من به ثمرُ

٢ - حتى يمن الله علينا بالأمن فلا خوف ولا حزن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [6]
قال زيد بن أسلم : «يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث» .

---

(١) يوسف : (٥٣) .
(٢) التغابن (١٤) .
(٣) الأنعام : (١١٦) .
(٤) فاطر : (٦) .
(٥) متفق عليه .
(٦) فصلت : (٣٢) .

أما أنواع الإستقامة :

١ ـ استقامة في الفهم: أن يعتقد العبد أن الوحي هو الأساس والعقل تبعله، قال تعالى ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] .

لا تقدموا آراءكم ، وأفهامكم ، وأهواءكم للحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» ولقد مرت على أمة الإسلام عصور كان فيها التعصب المذهبي حتى يقول أحدهم« إذا جاءت الآية أو الحديث تخالف قول إمامنا، أولنا الآية والحديث حتى توافق قول إمامنا». وهذا الداء (داء ذوبان الشخصية) لا مخرج منه إلا أن نفرق بين الاحترام والالتزام ، فأما الاحترام لمن له سابقة في طريق الله تعالى ولمن هو أكبر منك سناً فذلك من خلق الإسلام للحديث. «من أجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»[2].

وأما الإلتزام فهو أمر آخر يتعلق بديني وآخرتي بدخولي الجنة أو النار وعندما خرجت سرية اختلفوا على أميرهم فأشعل لهم ناراً وأمرهم أن يدخلوها فقالوا : إنما آمنا حتى ننجو منها فلما عادوا لرسول الله قال : والله لو دخلوها لم يخرجوا منها . .

فللمسألة ضابطان :

أ ـ لا اجتهاد في موضع النص وإلا فهي المصادمة التي تعني الكفر ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيا شجر بينهم ﴾ .

ب ـ أن نفرق بين الاحترام والالتزام .

٢ ـ أن لا يتغير العبد بإقبال الدنيا أو بإدبارها (استقامة في العبودية) وذكر لنا رب العزة أصنافاً من الناس لا تستقيم أحوالهم لتغير ما يجرى عليهم من أحداث . قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ

---

(١) الحجرات : (١) .

(٢) أخرجه أبو داود .

ٱلۡمُبِينُ ﴾ [1] يقول ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ «كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال : هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء»[2] .

يقول عبدالرحمن بن زيد : هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه ، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو فتنة ترك دينه ورجع إلى الكفر» [3] .

رحم الله سيدي خالد بن الوليد وقد أمر أبوبكر رضي الله عنه خالداً أن يتوجه إلى الشام وكانت معركة اليرموك ضد الروم وخالد في أوج انتصاراته. يأتيه رسول من الخليفة بخبر وأمر ، أما الخبر فهو وفاة الخليفة أبي بكر وانتقال الخلافة إلى عمر رضي الله عنهما ، وأما الأمر فهو أن يعتزل خالد قيادة الجيش ويسلمها إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ، فما زاد خالد بن الوليد إلا أن تقدم إلى أبي عبيدة الذي كان قبل قليل جندياً عنده وسلمه كتاب الخليفة وقال : إني لا أقاتل لأجل عمر ولكني أقاتل لرب عمر» كلمة تكتب بماء الذهب ، ولا يعلم أجرها إلا الله تعالى . وسوف يجدها خالد رضي الله عنه في ميزان حسناته يوم القيامة إن شاء الله ، وما أضاع الصف المسلم في واقعنا إلاّ التنازع على الرئاسات ، والزعامات التي كان ينبغي أن يتنزه عنها المسلم لأنه يعلم أن البناء واحد ، والغاية واحدة .

متى يكمل البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ
ولو ألف بانٍ خلفهم هادمٌ كفى فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم

٣ ـ ألا يتغير في خلقه ومودته (استقامة في الخلق) الحياة ليست كلها صفاء

---

(١) الحج : (١١) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه .
(٣) ابن كثير مجلد ٢ ص ٥٣٢ .

ومودة، والشيطان يحرص على أن يفسد فيا بين المرء وأخيه للحديث «إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»[1] ولكن عند الاختلاف لا ينبغي للعبد أن يتجاوز الحد إلى التشهير والطعن واللمز وإظهار الأسرار فذلك خلق وصنيع لا يتصف به إلا المنافقون للحديث «وإذا خاصم فجر»[2] ولله در الشاعر :

ولا خير في خل يخون خليله ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده ... ويظهر سراً كان بالأمس قد خفى
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق وفيٌّ يحفظ العهد منصفا

وكم رأينا في هذا الصنف الذي كان سلحفاة في الحق فعندما أُتيحت له فرصة في الباطل إذا به ينقلب إلى أرنب يحث الخطى دائب الحركة ، ولا يملّ ولا يتعب ، وذلك دليل فساد الباطن ، ومرض القلب ، واعوجاج في النفس أصيل .

وأما السبيل إلى الاستقامة :

١ ـ التركيز على التربية العملية لا القولية : فالكلام صنعة يتقنها الكاذب كما يتقنها الصادق وصدق الله العظيم ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[3] وجاء رجل يسأل الإمام أحمد رحمه الله عن فتنة خلق القرآن وما هي حجج الطرفين فقال الإمام : «أتعرف الدعاء الذي تقوله عند دخولك المسجد ، قال : لا ، قال : اذهب فتعلمه وأعمل به فهو خير لك مما جئت تسأل عنه» .

٢ ـ ثم التربية بالأحداث : ومن خلال الفتن والصعاب تتربى القلوب على تحمل الصدمات والمفاجآت ولا تهتز وتنهار أمام كل ناعق وكذاب يريد أن يفسد وأن يعبث فيجد لهمن ضعاف القلوب مؤيدين ومدافعين جهلاً وغباءً».

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) الأنعام : (١١٢) .

الستر

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1) إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي أسلوب يستخدمه أعداء الله للذهاب بالبقية الباقية من حياة الأمة ، ويستخدمه الجهلة من المسلمين لينالوا ممن هم خير منهم بأن ينسبوا إليهم ما ليس فيهم والمسلم مأمور بالستر .

فما الستر ؟ وما أنواعه ؟ ومتى يفضح الله العبد ؟

الستر : التغطية والحفظ . قال تعالى ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ (2) . قال مجاهد :«ما من عبد إلا وله ملك يحفظه إلا من شيء أذن الله به فيصيبه» .

١ - والستر من خلق الله عز وجل ، للحديث «أن الله حي ستير يحب الحياء فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» .

٢ - والبيوت أسرار فلا يجوز نشرها ، للحديث «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي له ثم ينشر سرهما» (3) .

٣ - ولا يجوز كشف العورة إلا إذا اقتضى الأمر ، للحديث «عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يانبي الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك» (4) .

---

(1) النور : (١٩) .

(2) الرعد : (١١) .

(3) رواه مسلم .

(4) رواه الترمذي والنسائي .

٤ ـ ولا يجوز ذكر ما بين الرجل وزوجه فيما يتعلق بالجماع للحديث «إن رسول الله صلّى ثم سلّم ثم أقبل عليهم بوجهه فقال : مجالسكم : من منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلي كذا وفعلت كذا ... فسكتوا . فجثت امرأة على ركبتيها فقالت : أي والله إنهم يتحدثون وإنهن ليتحدثن ، فقال : هل تدرون ما مثل من يفعل ذلك ؟ إن مثل من يفعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه في السكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه»[١].

وأما أنواعه :

١ ـ **ستر الخلقة والتكوين :** يقول الإمام الغزالي «والله تعالىٰ كثير الستر على عبيده ومن ستره سبحانه أنه أظهر الحسن من الجسد وأخفى القبيح منه كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٢] فأخفى الدماء في العروق وأخفى العروق تحت الجلود ، ومن ستره سبحانه أنه جعل موطن الخواطر هو القلب فلا يطلع عليه إلا الله تعالىٰ ، ولو اطلع الخلق على ما يدور في قلبك لمقتوك ولكنه ستر الله سبحانه» .

٢ ـ **ستره لأوليائه :**

أ ـ في الدنيا يصرفهم عن المعاصي للحديث «ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية إلا حال الله بيني وبينه ، ثم ما هممت حتى أكرمني الله بالرسالة ، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب ، فقال : أفعل ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً . فقلت : ما هذا ؟ قالوا : عرس ، فجلست

(١) رواه أحمد والبزار .

(٢) التين : ٤ .

أسمع فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس وفي الليلة الثانية أصابني مثل ما أصابني مثل أول ليلة ثم ما هممت بعده بسوء»[1].

ب - في الآخرة ، للحديث «يدنى الله تعالى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه (أي ستره) فيقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا في يوم كذا ، فيقول : أعرف ، فيقول الله عز وجل : أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته وأما الكافر والمنافق فينادى عليهم على رؤوس الأشهاد «وهؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[2].

٣ - **ستره على عصاته وأعدائه :** فيقابل إساءة العبيد وكفرهم بالإحسان إليهم للحديث القدسي : «أنا والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي ، أتحبب إليهم بالنعم وأنا الغني وهم يبتعدون عني بالمعاصي وهم الفقراء، خيري إليهم نازل وشرهم إلى صاعد»[3].

كان لأبي حنيفة جار يعاقر الخمر وينشد :-

« أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر »

افتقد صوته يوماً فسأل ، فقيل : إن عسس الليل أخذوه (شرطة الليل) فعزم على زيارته فلقيه تلميذه أبو يوسف ، إلى أين ؟ قال لزيارة جاري ، قال : هذا السكير ، قال : نعم ، قال : وكيف وأنت إمام المسلمين . قال أبو حنيفة : لقد نفعني :

أ - كان يقول أضاعوني وهذا حال كل بعيد عن الله ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

(١) فقه السيرة ص٧٢ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البيهقي عن أبي الدرداء .

﴿...ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] . فعظمت نعمة الإسلام .

ب ـ أنه كان يقيم الليل في معصية ، فقلت : هـذا يُصَبِّر نفسـه على قيـام الليل وهو في معصية ولا أصبر نفسي على قيامه وأنـا في طـاعـة فـأخـذت أقيم الليل .

جـ ـ هو ستر الله تعالى عليه شهوراً وعسس الليل لا يهتـدون إليـه ، فـإذا كان هذا ستره على عصاته فكيف يكون ستره لأوليـائـه . وإكرامـاً لمجيء أبي‌حنيفة يطلق الوالي سراح السجناء وتكون توبة نصوحاً لله تعالى .

٤ ـ **ستر الأخوة** المسلم الحق عملة نادرة في زماننا فـإذا ظفرت بـه فـاحرص عليه. للحديث «المؤمن كثير بـأخيـه» وموسى عليـه السلام سـأل ربـه أن يقويه بـأخيـه لأداء مهمـة الـدعوة «وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا» [2] .

والجاهل هو الذي لا يجد مكانه إلا بأن ينحى غيره بـالتجريح والطعن وهذا الصنف لا يبارك الله فيـه ولا في قولـه ولا في عملـه ، فحرمـة المسلم عظيمة ، للحديث «كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ومـالـه وعرضـه» [3] . فالغيبة حرام ، للحديث «من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النـار يوم القيامة»[4]. والنميمة حرام ، للحديث «لا يـدخل الجنـة نمّام» [5]، وهو الـذي ينقل الكـلام لإيقـاع الأذى للمسلمين . والمسـاعـدة على إيـذاء المسلم وقتلـه حرام ، للحـديث «لو أن أهل السماء والأرض اشتركـوا في دم مـؤمن لأكبهم الله في النـار» [6] . والنصيحـة الفـاضحــة لا تجـوز يقـول

---

(١) طـه : (١٢٤) .
(٢) طـه : ٣١ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه الترمذي .
(٥) متفق عليه .
(٦) ابن ماجة والبيهقي .

السلف «من نصح أخاه بينه وبينه فقد زانه ومن نصح أخاه في ملأ فقد شانه» ولقد أصبح الكثيرون لا يحسنون النصيحة إلا بالأسلوب الفاضح المؤذي .

وأما متى يفضح الله العبد ؟ فإن ذلك يحدث :ـ

١ ـ إذا كان حريصاً على فضح إخوانه ، للحديث «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته» (١) .

٢ ـ المرأة إذا تبرجت وخلعت الستر الذي أمر الله به ، خلع الله عنها ستره وحفظه ورعايته ، للحديث «أيّما امرأة وضعت ثيابها في غير بيتها إلا هتك الله عنها ستره» (٢) .

٣ ـ المجاهرة بالمعصية ، للحديث «كل أمتي معافى إلا المجاهرين ومن المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، بات يستره الله ويصبح يكشف ستر الله عليه» (٣) .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه الطبراني .
(٣) متفق عليه .

الوفــاء

قال تعالىٰ ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ .

العهـد : يشمل العهود والمواثيـق والعقـود ، وصـاحب العهـد مسئـول عن وفائه بالعهد وحفاظه عليه ، وعدم تضييعه .

فما الوفاء ؟ ولماذا ؟ وما أنواعه ؟ وما موقف المسلم منه ؟

الوفاء : قال الآلوسي : هو حفظ ما يقتضيه العقد والقيام بموجبه .

واصطلاحاً : هو الحفـاظ على مـا بينـك وبين النـاس ومـا بينـك وبين نفسك فيما وافق الشرع ولم يخالفه .

وينبغي أن تعلم :

١ - أن للخُلقُ صلة بإيمان العبد للحديث « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» (١) .

٢ - والـوفـاء يكـون للحـق والخير لا للبـاطـل والشر للحـديث «من حلف على يمين فرأى غيرهـا خيراً منهـا ، فليكفر عن يمينـه ، وليفعل الذي هو خير» (٢) .

٣ - وللعرب أقـوال ومـواقف في الـوفـاء تتغنىٰ وتعتز بهـا : فقـد ذكر أن امرأ القيس أودع مـالاً وسـلاحـاً عنـد السمؤال لمـا أراد المضي إلى ملـك الروم فلمـا مـات طلب ملـك كنـدة من السمؤال أن يسلمـه المـال والسلاح الـذي أودعـه امرؤ القيس عنـده فـأبىٰ ،

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه مسلم .

فتجهز له بجيش واستطاع أن يأسر ولد السمؤال وهدده بقتله فأبىٰ وقال : ما كنت لأبطل وفائي فاصنع ما بدا لك ، فذبح ملكُ كندة ولد السمؤال أمام عينه ، ورجع ملك كندة خائباً ، واحتسب السمؤال ولده ورأىٰ أن حفظ الوفاء أحب إليه من حياة ولده وبقائه» .

٤ - والوفاء في إسلامنا يكون حتى مع الكافر للحديث «أيما رجل أمّن رجلاً على دمه ، ثم قتله ، فأنا من الفاعل بريء وإن كان المقتول كافراً» (١) .

٥ - أن البيعة المبنية على المنفعة باطلة : فقد أتىٰ النبي ﷺ بنيَ عامر بن صعصعة فعرض عليهم نفسه ودعاهم إلى الله عز وجل، فقالوا : أرأيت إن نحن بايعناك أيكون لنا الأمر من بعدك فقال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء » فأبوا عليه فأعرض عنهم النبي ﷺ .

وأما لماذا الوفاء لابدَّ منه :

١ - فلأنَّ دوام الحال من المحال ، والوفاء هو العاصم بأمر الله ، والحافظ لحبل المودة من الانقطاع ، فالذي يعرفك في الرخاء ويتركك في الشدة لا خير فيه وقيل :

ولا خير في ودّ امرىء متلــــون   كلما هبت الريح مال حيث تميل

وفي معركة حنين وقد فاجأ المسلمين أعداءُ الله (هوازن وغطفان) ففر المسلمون ولم يبق إلا رسول الله وحده ، فالتفت عن يمينه ونادى يامعشر الأنصار فأجابوه : لبيك يارسول الله نحن معك ، أبشر . ونادىٰ : ياأصحاب بيعة الحديبية ، (نادىٰ أصحاب العقائد ، ورجال الفداء ، فهم وحدهم الذين تنجح بهم الرسالات وتفرج الكروب ، أما الغثاء من الطلقاء الذين صحبوا جيش

(١) ابن حبان .

المسلمين ، السعاة إلى المغانم فما يقُوم بهم أمر ، أو تثبت بهم قدم» .

٢ - وإذا فقد الوفاء ، فلا يأمن أحدٌ أحداً ، وترحل روابط الإسلام من القلوب ، من أخوة عالمية ، والإيثار ، ومحبة في الله ، فتحل الكراهية بدل المحبة ، والعداوة بدل الألفة ، وهكذا يتحول الصف المسلم إلى مجتمع يصدق فيه قول الله تعالىٰ ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتىٰ ﴾ ظاهرهم رحمة وباطنهم عذاب وحقد أسود . لا يعيش معهم إلا إمعة أو ذليل هانت عليه كرامته ودينه ، ورضي أن يكون كالحيوان البهيم لا يفكر وإنما شغله الشاغل مصالحه من مأكل ومشرب ولتذهب المبادىء إلى الجحيم ، ولكن يأبىٰ الله إلا أن يظهر دينه ، ويكشف زيف الزائفين ، ودجل الدجالين ، وحقيقة الممثلين لدور الناصح الأمين .

٣ - ولابدَّ من الوفاء وإلا فهو الخزي يوم القيامة لكل غادر للحديث «لكل غادر لواء عند استه يرفع له بقدر غدرته ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة» .(١)

أما أنواع الوفاء :

١ - **وفاء بعهد الله تعالىٰ** : قرأ أبو هريرة قول الله تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٢) فقال :«عجبت للطف الله بنا . هو الذي خلق الأنفس وهو الذي أعطانا الأموال ثم يأخذها ويعطينا الجنة عجبت للطف الله بنا». وعلى هذا ينبغي أن يستقر في أذهاننا وقلوبنا أننا أبناء دعوة (هي الإسلام) ولسنا (عبيد أشخاص) نرضىٰ لرضاهم ونغضب لغضبهم ،ونزلّ لزللهم ، وننتكس لموتهم . فتلك تربية العبيد ، فهذا أنس بن النضر وفي معركة أُحد . وقد أشيع أن رسول الله ﷺ قُتِلَ ، فمرّ على قوم قد ألقوا أيديهم وانكسرت نفوسهم فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : قُتِلَ رسول الله ﷺ فقال : وما

---

(١) رواه مسلم .

(٢) التوبة : (١١١) .

تصنعون بالحياة من بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل المشركين يقاتلهم حتى قُتِلَ رضي الله عنه»[1] .

٢ ـ **وفاء لإسلامنا :** بأن يكون لنا شخصية واحدة ، في البيت والعمل والمسجد في الشراء والبيع فلا تلبس لكل حال لبوسها ، بل كم نسيء إلى إسلامنا عندما نلوي النصوص عن مراد الله ورسوله لتحقيق غرض دنيء، أو هوىً من الباطل ننصره ، وكم كان موقف الصديق كريماً عندما مات رسول الله وقد عقد اللواء لجيش أسامة أن ينطلق إلى الشام ، فارتدت القبائل وهددوا المدينة ، ووقف الأصحاب معارضين لأبي بكر أن يرسل جيش أسامة لمصلحة الإسلام للظرف الأمني الصعب فقال لهم : «والله لو جرت الكلاب بأقدام أمهات المؤمنين ما حللتُ لواءً عقده رسول الله» وحفظ الله المدينة وألقى الرعب في قلوب المرتدين . وقالوا:«لا يُعقل أن يبعث جيش أسامة إلى الشام إلا وأن يكون له في المدينة من القوة ما يضمن سلامتها» .

فليخرس كل من يعبث بدعوة الله باسم (مصلحة الدعوة) ومراعاة الأحوال ، بما فيه معصية لله والرسول من تأصيل وتبرير لفرقة أمة محمد ﷺ من إقليمية بغيضة ، وشلل متناحرة ، وشر البلية ما يضحك .

٣ ـ **الوفاء لأخوانك :** وله عدة صور منها :ـ

أ) حفظ السر للحديث «إذا حدث الرجل الحديث فالتفت فهي أمانة»[2] .قال الغزالي إفشاء السر حرام إذا كان فيه إضرار ، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار .

ب) المصارحة : فإذا رأيت فيه عيباً أوضحته له يقول عمر رضي الله عنه «رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي» والخسة أن ترى العيب فتسكت ثم تتبع هفواته وزلاته ثم تفضحه بين الناس .

جـ) الإلتزام بالمواثيق في بيع أو شراء أو ديون للحديث «المسلمون عند

---

(١) فقه السيرة ٢٧٦ .

(٢) رواه الترمذي .

شروطهم»[1] . أوردٍ للدين للحديث «مطل الغني ظلمٌ»[2] .

٤ ـ **الوفاء للوالدين : في حياتهم وبعد مماتهم ، وفي حياتهم :**

أ) أن تلتمس رضاهم بأن تذل لهما نفسك للحديث «سأل النبي ﷺ أحدَ الأصحاب ألك أمّ ؟ قال : نعم ،قال:الزم قدمهافإنالجنة عند قدمها تكتب لمن ذلّ لأمه وبرّ بها»[3] .

ب) بأن تبذل لهما مالك : بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان ألف درهم فعمد أسامة رضي الله عنه إلى نخلة فنقرها وأخرج جمَّارها فأطعمها أمه فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم، فقال : إن أمي سألتنيه ولاتسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها» [4] .

ذكر لي أحد الفضلاء أن أماً جاءت إلى الكويت لزيارة ابنها فلم تجده في المطار ، فرأها بعض أهل الخير فاستضافوها عندهم ، وبحثوا عن ولدها حتى وجدوه ، فلما سئل عن عدم استقباله لأمه قال : ترجع من حيث أتت ، وكان ذلك هو طلب الزوجة الوضيعة ـ والرجل إذا فقد دينه عبثت الزوجة بعقله ـ لأنه ينقلب إلى حيوان غايته الشهوة وقضاء الوطر فتبدأ المساومة الآثمة تنفيذ الأوامر يقابله قضاء الوطر ، حجب رجل الخير الحقيقة عن الأم ولكن تحت الإلحاح صارحها، فكتمت الأمر في نفسها وقالت: والله إنما جئت لأسلمه ذهبات عندي» وماتت بعد يومين، وسئل العلماء عن جواز إعطاء العاق تلك الذهبات فقالوا : العقوق لا صلة له بالميراث ، يأخذ الذهبات ، ولكن ميراثه من عذاب الله عظيم .

٥ ـ **وفاء مع الزوجة ، وللعشرة حقها :ـ**

أ) فلا يجوز الطلاق لمجرد الشعور بعدم الرغبة فيها : جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه يقول : أريد أن أطلق زوجتي فقال له لماذا ؟ قال : لأني

---

(١) البخاري .

(٢) متفق عليه .

(٣) أحمد والنسائي .

(٤) حياة الصحابة مجلد٢ ، ص٤٦٧ .

لا أحبها . فقال عمر : وهل تبنى كل البيوت على الحب ؟ فأين الرعاية ، وأين التذمم» ؟ الرعاية لحقها، والتذمم الغيرة على الأبناء من أن يضيعوا بعدك» .

ب) ومن الوفاء أداء المهر كما كتب ، للحديث «أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها ، فمات ولم يؤد إليها حقها ، لقي الله يوم القيامة وهو زان»[1] .

جـ) العدل بين الزوجات في الوفاء : للحديث «من كان عنده امرأتان ومال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل»[2] .

وأما موقفنا من الوفاء :ـــ

١ ـ أن نعظم خلق الوفاء في حس أبنائنا، وأن الرجولة في الوفاء لا الخيانة، والخيانة إنما تكون لأجل ربح أوفر وكم رأينا وسمعنا عن هذا الصنف من عبيد الدرهم والدينار ، كأن يتقدم أحد للزواج من ابنته ويتم الأمر بالموافقة ثم يفاجأ الخاطب بالرفض لأن آخر قد تقدم بمهر أفضل . وكأن البنت حيوان يباع في السوق لمن يدفع أكثر .

٢ ـ أن نعلم أن الإسلام كُلٌ لا يتجزأ ، فلا تنفصل الصلاة عن الوفاء ، ولا الصيام عن سلامة الصدر من الأحقاد وإلا صرنا صورة مشوهة وهو الحاصل والواقع ومن قبل دعا الخليل فقال ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[3] . أي لا تجعل قولي يخالف فعلي فأكون فتنة لهم فلا يؤمنون بك

---

(١) الطبراني .

(٢) أصحاب السنن وابن حبان .

(٣) الممتحنة : (٥) .

العمل الصالح

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾[1]

كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر . قال الشافعي ـ رحمه الله ـ لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم . وإذ ذُكر الإيمان ذكر العمل الصالح، فكل انسان خاسر إلا من أصدق دعوى الإيمان بالعمل الصالح.

فما العمل الصالح؟ ولماذا ؟ وما ضوابطه؟ وما أثر وجوده وعدمه؟ وما آفاته ؟

أما العمل الصالح : فهو كل ما يتقرب به العبد لربه من نية أو قول أو فعل مما يحبه ويرضاه ، وعفة واستعلاء وترك لكل ما يبغضه الله .

وينبغي أن تعلم :ـ

١ ـ أنَّ الإيمان قبل العمل ، ولا قيمة للعمل من غير إيمان : قيل لرسول الله ﷺ إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويصل الرحم فهل ذلك نافعه : فقال : لا ينفعه، إنَه لم يقل يوماً «ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين» . وقوله ﷺ لابنة حاتم الطائي : لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه»[2] .

٢ ـ وللعمل الصالح شرطان لقبوله، الإخلاص والموافقة، الإخلاص لله تعالىٰ، والموافقة لشرع الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة العصر

(٢) تهذيب السيرة ص٣٥٣ .

٣ ـ العمل الصالح سبب لدخولك الجنة، ولكن لا يعدل الجنة : قال العلماء: قول النبي ﷺ : لن يدخل أحدّ الجنة بعمله، قالوا : ولا أنت؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[1]. وقول الله تعالى ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] الباء في (بعمله) هي باء المقابلة أي أن عملك لا يساوي الجنة ذلك لأن العمر قصير للحديث «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين وأقلهم من يجوز ذلك»[3]. والجنة المقام فيها ﴿خالدين فيها أبدا﴾ فما قيمة المحدود أمام اللامحدود ، والباء في (بما) الآية هي باء السببية ، فأعمالنا سبب إلى دخول الجنة ولا تقابلها فلله الحمد والمنة .

٤ ـ ونبه ابن القيم ـ رحمه ـ : من يغتر بسعة رحمة الله ومغفرته وأن الله غفور رحيم ويتجرأ على محارم الله ومعاصيه فهو يقول (وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه فضيعوا أمره ونهيه ونسوا أنه شديد العقاب وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند وقال الحسن : «إن أقواماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: لأني أحسن الظن بربي وكذب ، لو أحسن الظن لأحسن العمل»[4].

وأما لماذا ؟ لابد من العمل الصالح فلأنه :ـ

١ ـ نافع لك في دنياك وأخراك أما في الدنيا : فإن صلاحك سوف تجده في إكرام الله لك ، وتيسر أمرك فما جزاء الإحسان إلا الإحسان ـ والجزاء من جنس العمل للحديث «ما أكرم شابّ شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[5] . بل يمتد أثر صلاحك إلى

---

(١) متفق عليه .

(٢) الواقعة : (٢٤) .

(٣) الترمذي .

(٤) الجواب الكافي ص٢٤ .

(٥) رواه الترمذي .

ولدك ، وتأمل كيف أن الله سخر نبياً هو موسى عليه السلام ووليـاً هو الخضر عليه السلام لإقامة جدار في قريـة بخيلـة تحتـه كنز ليتيمين لمـاذا ؟ قال تعالىٰ ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾[١] قـال ابن كثير: فيـه دليـل على أن الرجـل الصالح يحفظ ذريته ، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم وقال : إنه كان الأب السابع فتأمل»[٢]

وأمـا في أخراك ففي قبرك للحـديث «إذا مـات ابن آدم تبعـه ثـلاث : أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحـد فيرجع أهلـه ومـالـه ويبقى عمله»[٣] .

وقيل لأحد الصالحين لم اخترت الصلاح ؟ فقال:«رأيت لكل إنسان حبيباً من النـاس ولكن هـذا الحبيب قـد يخـون وقـد يهجر وإذا كان وفيـاً فإنه لا يصحبـك إلى قبرك فيـواسيـك فجعلت محبـوبي الحسنـات والعمـل الصالح فهي معي لا تفارقني» .

ورأى ابن عمر قـومـاً يصنعـون ظلـة لقبر لهم فقـال لهم : «دعـوا هـذا إنمـا يظلله عمله» .

٢ ـ ولابـد من العمـل الصـالـح لأن الحسـاب عظيم وصـدق الله تعـالىٰ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٤] . وللحـديث «مـا منكم من أحـد إلا سيكلمـه ربـه ليس بينـه وبينـه ترجمـان : فينظر أيمن منـه فلا يرىٰ إلا مـا قـدَّم ، وينظر أشـأم منـه فـلا يرىٰ إلا مـا قـدَّم ، وينظر بين يـديـه فـلا يرىٰ إلا النـار تلقـاء وجهـه فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[٥] .

---

(١) الكهف : (٨٢) .

(٢) مختصر ابن كثير مجلد٢ ، ص٤٣٢ .

(٣) متفق عليه .

(٤) الزلزلة : (٧ ـ ٨) .

(٥) متفق عليه .

يقول مطرف بن عبدالله الجرشي : شهدت جنازة واعتزلت ناحية فصليت ركعتين كأني خففتهما لم أرضِ إتقانهما ، ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمني فقال : ركعت ركعتين لم ترض إتقانهما لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحبُ إليَّ من الدنيا بحذافيرها» (١) .

٣ ـ ثم إن منازل العباد يوم القيامة على قدر أعمالهم : ـ

أ) في إشراقة الوجوه للحديث «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة»(٢).

ب) وفي قرب الأسرة أو بعدها : في مؤتة كان عدد المسلمين (٣) ثلاثة آلاف ، ورتب الرسول ﷺ قادته وهم زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبدالله بن رواحة، فوجىء المسلمون أن عدد الروم مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب وكلهم دخلوا المعركة فقتل زيد ثم جعفر فتلقى الراية عبدالله بن رواحة فعلم أنه هالك لا محالة فتردد شيئاً قليلاً وأخذ يشحذ همته فيقول :

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

فقاتل حتى قتل ثم جمع خالد بن الوليد الجيش بعملية انسحاب أنقذ بها الجيش . رسول الله ﷺ يرى رؤيا فيقصها على أصحابه فيقول : لقد رفعوا إلى الجنة (زيد ، وجعفر ، وعبدالله) على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه فقلت مِمَّ هذا؟ فقيل لي : مضيا وتردد عبدالله بعض التردد ثم مضى» (٣) . فأي حساب دقيق يستلزم الصدق والعمل والدعاء .

---

(١) أهوال القبور لابن رجب الحنبلي ص٤٧ .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) فقه السيرة ص٣٩١ الغزالي .

وأما أثر العمل إذا وجد :ـ

١ ـ كانت النجاة من غضب الله ومقته ومن الوقوع تحت طائلة قوله سبحانه ﴿لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. وللحديث «يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أقتابه ويدور كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع عليه أهل النار ، فيقولون له ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[(١)] . فهو كالحمار لأنه لم يعِ ما كان يعمله من علم ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً . ودورانه دليل اعتياده لهذه الحالة من التناقض من مخالفة القول العمل . وخروج أمعائه في منظر بشع دليل حقيقة ما كان يبطنه من فساد وما كان يظهره من صلاح مصطنع، نسأل الله العافية.

٢ ـ كانت البركة في الكلمة والفعل وتولى الله عبده فهو ناصره سبحانه . وحدث أن العبيد جاءوا إلى الحسن البصري يقولون له إنّ رقّ العبودية قد آذاهم ونسألك أن تعظ الأغنياء وتحثهم على العتق ، فوعدهم خيراً . فمضت ثلاث جمع وفي الرابعة قام فتحدث في أمرهم فعظّم العتق ورغّب فيه فكان العتق فيهم كثيراً،فجاءوا إليه بعد ذلك شاكرين لحثه ومعاتبين لتأخره فقال لهم : الذي أخرني أني لم يكن عندي عبد ولم يكن عندي مال ، فانتظرت حتى منّ الله عليّ بالمال فاشتريت به عبداً فأعتقته ثم قمت خطيباً فبارك الله في كلمتي» وصدق الله العظيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[(٢)] .

وإذا فقد العمل كيف يكون الحال ؟

١ ـ إذا فقد العمل حلّ محله الكلام فلا ترى العبد إلا :

---

(١) متفق عليه .

(٢) إبراهيم : (٢٤) .

أ) محباً للمعرفة والعلم لأجل المعرفة لا ليعمل بعلمه وإنما ليقال أنه عالم مطلّع وللحديث «من طلب علماً مما يبتغي به وجه الله تعالىٰ ليصيب به عرضاً لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» (١) .

ب) الرغبة في الجدل فيحزن إذا غُلِبَ ويفرح إذا غَلَبَ لأن في الجدل متنفساً لعلمه المعطل رحم الله الإمام الشافعي إذ يقول «والله ما حججت أحداً إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه» .

جـ) متتبعاً لعيوب الآخرين : جاهلاً بنفسه ، فلا يفطن إلى ما في قلبه من الأمراض والأهواء لانشغاله وللحديث «إنَّ أحدكم ليرىٰ القذاة في عين أخيه ولا يرىٰ الجذع في عينه» .

د) منتقصاً للآخرين وهو لا يقدم شيئاً قال تعالىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) . نزلت في عبدالرحمن بن عوف وقد تصدق بأربعة آلاف درهم فقال المنافقون : ما أعطىٰ إلا رياءً وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فجاء بهما إلىٰ رسول الله فقال : أصبت صاعين من تمر صاع أقرضه لربي وصاع لعيالي فقال المنافقون «ألم يكن الله ورسوله غني عن صاعك هذا» (٣) وهذا شأن المنافق يسخر من العاملين وهو لا يقدم شيئاً من مال أو كلمة طيبة ، وإنما يظهر جهده ، ويقوىٰ عزمه إذا كان العمل الذي يقوم به هدماً لا بناءً ، تفريقاً لا جمعاً ، وزعزعة لا تثبيتاً ، وكم رأينا من هذه النماذج الوضيعة التي لا تراها عوناً لك في الخير . وأما في الشر فتراهم في عمل دؤوب لأنه يتناسب ونفوسهم المريضة ، وتلبية ما فيها من أحقاد وأضغان يلبسها لباس الإسلام والحرص على دينه .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٢) التوبة : (٧٩) .

(٣) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص١٥٨ .

وأما آفات العمل :ـ

١ ـ المنّة على الله سبحانه وتعالىٰ بالطاعة : والله يقول لحبيبه المصطفى ﷺ ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾[١] أي لا تؤدي إلينا القليل وتستكثره علينا . وعندما جاءت بنو أسد لرسول الله يقولون : قاتلتك العرب ولم نقاتلك فأنزل الله قوله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٢].

٢ ـ المنة على الناس وهي سبب لبطلان العمل قال تعالىٰ ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذىٰ ﴾[٣] . وللحديث «لا يدخل الجنة عاق ، ولا منّان ، ولا مدمن خمر»[٤] .

٣ ـ آفة الرياء وطلب السمعة والله يقول ﴿من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها﴾ قال العلماء : ولم يقل من عمل الحسنة من كل ما يبطلها ، أي على العبد أن يحفظ الحسنة من كل ما يبطلها من منة أو رياءٍ أو سمعة حتى يأتي بها إلى الله يوم القيامة محفوظة من كل ذلك فتكون الحسنة بعشر أمثالها» .

---

(١) المدثر : (٦) .

(٢) الحجرات : (١٧) .

(٣) البقرة : (٦٤) .

(٤) رواه ابن مردويه وأخرجه أحمد وابن ماجه .

اليســر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ (١)

نداء إلى المؤمنين أن يكون لإيمانهم أثر وعلامة ودليل في أنفسهم بالتعبد لله سبحانه ، وفي الناس بعمل الخير والمسارعة فيه ، وفي الواقع بالجهاد لإزالة الباطل ، وهم في ذلك كله يعملون على قدر طاقتهم ، فلا تشديد ولا مطالبتهم بما لا يطيقون .

فما السر ؟ ولماذا النهي عن التشدد ؟ وما هي صور التيسير في إسلامنا ؟ وما أثره في العبد ؟

☆ اليسر : إزالة العنت ورفع الحرج :

١ - والتيسير يحبه الله ورسوله قال تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ (٢) . ومن خُلُقِه عليه السلام أنه «ما خُيِّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً» (٣) .

٢ - والتيسير من سمات الإسلام للحديث «إنَّ الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا» (٤) .

٣ - والمسئول يكون مرحوماً إذا كان رحيماً بأمة محمد ﷺ للحديث : «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ، اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه» (٥) . فلا يكون سبباً في خوفهم أو

---

(١) الحج : ٧٧ .
(٢) البقرة : ١٨٥ .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه البخاري .
(٥) رواه مسلم .

إرهابهم أو التضييق عليهم من خلال قانون بشرى تافه أو نزوة عارمة .

☆ **وأما لماذا التيسير والنهي عن التشديد ؟ فلأن :ـ**

١ ـ الخوف من الانقطاع في الطريق وبعض العبادة للحديث «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادةَ الله فإن المنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» (١) . ولا يجوز أن تكون سبباً في تبغيض عبادة الله إلى الناس فهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه أطال الصلاة في الناس ، فقال له النبي ﷺ «أفتان أنت يا معاذ» ؟ وقال : إنَّ منكم منفرين فأيكم صلى بالناس فليتجوز (أي ليخفف) فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة» (٢) ويقول عمر رضي الله عنه «لا تبغضوا الله إلى عباده، يطول أحدكم في صلاته حتى يشق على من خلفه» (٣) .

٢ ـ الخوف من التقصير في الواجبات الأخرى كقيامه بحق أهله وولده . آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء ـ وهي مبتذلة ـ فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبوالدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء سلمان إلى أبي الدرداء فوضع له طعاماً وقال له : كل ، فقال أبو الدرداء : إني صائم . فقال سلمان : ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له سلمان، نم. فنام ثم ذهب ليقوم ، فقال له : نم ، فلما كان آخر الليل قال سلمان قم الآن. فصليا وقال له «إنَّ لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فذكر له ذلك . فقال : النبي ﷺ «صدق سلمان» (٤) .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه الجماعة .

(٣) فقه السنة مجلد١ ص١٩٢ .

(٤) حياة الصحابة مجلد٢ ص٦٩٠ .

٣ ـ الخوف عليه من الهلاك : ومن أسماء الله الغفور الرحيم قال تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [١] وهذا عمرو بن العاص حين بعثه رسول الله ﷺ في غزوة ذات السلاسل فاحتلم في ليلة شديدة البرودة ، وأشفق إن اغتسل أن يهلك فتيمم ثم صلى بمن معه صلاة الصبح ، وكأن أصحابه لم يقنعهم هذا العمل من عمرو ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فقال له الرسول : ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جُنُبٌ فقال عمرو ذكرت قول الله تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم رحيماً﴾ فتيممت ثم صليت ، فضحك رسول الله ﷺ [٢] وهذا دليل رضاه بل إعجابه بفقهه في هذه القضية .

☆ وأما صور التيسير في إسلامنا فهي كثيرة :

أ ـ في الطهارة والتي هي شرط لصحة الصلاة ـ رخص لمن يتعذر عليه استعمال الماء من مريض أو مسافر أن يترك الوضوء إلى التيم بالصعيد الطيب من رمل أو تراب أو حجر ، قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ» [٣] .

ب ـ وفي الصلاة رُخِّصَ للمريض أن يصلي قاعداً أو مضطجعاً على جنبه أو مستلقياً على ظهره حسب استطاعته ، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال : صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» [٤] .

وفي حال الجهاد تكون الصلاة الرباعية ركعة واحدة يقول ابن عباس :

---

(١) النساء: (٢٨)

(٢) رواه أحمد وأبوداود .

(٣) المائدة : (٦) .

(٤) رواه البخاري .

إنَّ الله فرض على لسـان نبيكم على المسـافر ركعتين وعلى المقيم أربعـاً ، والخـوف ركعـة «فـإذا التحم الجيشـان وكان وقت الصـلاة فصـل من غير ركوع ولا سجود ولا استقبال لقبلة لقوله تعـالىٰ ﴿ فـإن خفتم فرجـالاً أو ركباناً ﴾ [1] .

جـ - وفي الصيام ، رخص للمسافر الإفطار في حـال السفر والمرض عن أنس قال : كنا مع النبي ﷺ في السفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر قـال : فنزلنـا منزلاً في يوم حار ، أكثرنا ظلاً صـاحب الكسـاء ، فسقـط الصُّوَّم ، وقـام المفطرون فضربـوا الأفنيـة وسقـوا الركاب ، فقـال رسـول الله ، ذهب المفطرون اليوم بالأجر» [2] .

☆ وأما أثر التيسير في العبد :

١ - فعلى العبد أن يتدرج بنفسه في مدارج العبودية والطاعة والتقرب إلى الله سبحانه فيبدأ بالقليل ويداوم عليه للحديث «خير الأعمال إلى الله أدومهـا وإن قل» [3] . كأن يداوم على صلاة ركعتين في جوف الليل أو صيام يوم في الأسبـوع أو الشهر أو قراءة صفحـة من القرآن كل يـوم فـإذا تمكن من هـذا الأمر وأصبـح سهـلاً زاده ، رحم الله الإمـام حسن البنـا إذ يقـول (وينبغي أن يكون بين العبد وبين ربه سر فإذا تمكن هـذا السر زاده سراً آخر حتى تكون بينه وبين الله أسرار (أي من العمل الصالح) فـإذا وقع في ضيق سأل الله بتلك الأسرار حتى يفرج الله ما حلّ به) .

٢ - وإذا ألزمت نفسك بأمر فلا تحمل الناس عليه إن كان فيه سعة ولا تَعب عليهم ، فالنـاس يختلفون في طـاقـاتهم وقـدراتهم ، عن أبي سعيـد الخـدري رضي الله عنـه قـال : غزونـا مع رسـول الله ﷺ فكان منّـا الصـائم ومنّـا

---

(١) مختصر ابن كثير مجلد١ ، ص٢١٩ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم»[1] ، يجد أي يعيب .

٣ ـ وحبيب إلى الله أن يأخذ بما شرع من رخص كما يحب أن تأخذ بالعزائم للحديث «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[2].

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) رواه البزار بإسناد حسن .

الزاد

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (١)

الطريق إلى الله محفوف بالمزالق والعقبات،وحاجة السالك إلى الزاد عظيمة

فما الزاد ؟ ولماذا ؟ وما الذي ينبغي على العبد أن يتزود به ؟ وما الذي يعين العبد على التزود ؟

الزاد لغة : طعام المسافر .

اصطلاحاً : هو ما يتزود به العبد للصبر على تكاليف الطريق ، حتى يلقى الله تعالى وهو حافظ لإسلامه ودينه .

وينبغي أن تعلم :-

١ ـ أن لحفنة التراب غذاءها من طعام أو شراب وإذا حرم الجسد غذاءه أصابه الجوع والألم والقلق الذي يبلغ به حد الجنون، وللروح غذاؤها من ذكر وصلاة ، ودعاء، وجهاد، وإذا حرمت الروح غذاءها، أصابها الجوع والقلق والحيرة والجنون قال تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢) .

---

(١) البقرة : (١٩٧) .

(٢) الأنعام : (١٢٥) .

٢ ـ ذكر النووي باباً سماه (باب الحث على الازدياد من الخير في أوآخر العمر) في كتابه «رياض الصالحين» وأورد قول الله تعالى ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ قال ابن عباس : أو لم نعمركم (أي ستين سنة) للحديث «أعذر الله إلى امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة» [١] .

قال العلماء : أي فليس للعبد حجة أمام الله بعد أن أخر أجله هذه المدة «قال ابن عباس : وكان أهل المدينة إذا بلغ أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة ويقول : من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيرُه شرّه فليتجهز إلى النار» [٢] .

جاء في بعض الكتب المنزلة ﴿ يا أبناء الخمسين : زرع قد دنى حصاده ، ويا أبناء الستين ماذا قدمتم ، ويا أبناء السبعين هلموا إلى الحساب ﴾ .

٣ ـ واعلم بأن الله تعالى لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية للحديث القدسي «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيء ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيء ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسأل كل واحد مسألته فأعطيت كلٌ واحد مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما يغمس المخيط في البحر ثم انظر بما يرجع فيه يا عبادي إنما هي أعمالكم أوفيها إياكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» [٣] .

وأما لماذا ؟ لابدَّ من الزاد .

١ـ فلأن قيمة العبد لعمله:للحديث «بكت عائشة حتىسال دمعها، فسألهاالنبي ﷺ فقال : ذكرا الآخرة، هل يذكرون أهليهم يوم القيامة. قال: والذي

---

(١) البخاري .

(٢) نزهة المتقين ـ رياض الصالحين مجلد١ .

(٣) رواه مسلم .

نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه : إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل . وعند الصحف حتى ينظر بيمينه يأخذ كتابه أو بشماله ، وعند الصراط» [١] .

يقول أنس : يؤتي بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف ميزانه نادى بصوت يُسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار» [٢] .

٢ ـ حتى تتمرن النفس على تحمل المشاق : قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [٣] قال قتادة والحسن :«العمل به شاق لما فيه من الفرائض والحلال والحرام فمرّن نفسك على المشاق» وللحديث «ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ويحط به الخطايا . إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط» [٤] فمن كان عن هذا عاجزاً فما فوقه أعجز .

٣ ـ لأن الآجال مجهولة : قال تعالى ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ [٥] .

مشيناها خطاً كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطاً مشاها
ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

---

(١) أبو داود وإسناده صحيح .

(٢) إحياء علوم الدين مجلد٤ ص٥٢٠ .

(٣) المزمل : (١ ـ ٥) .

(٤) رواه مسلم .

(٥) لقمان : (٣٤) .

يقول الفضيل بن عياض : يا ابن آدم إنما أنت عدد فإذا ذهب يومك ذهب بعضك ، وأنفاسك محسوبة عليك قال تعالى ﴿ إنما نعدّ لهم عداً ﴾ يعني الأنفاس .

وكل واحد يبعث على الحال التي مات عليها ، إن كان في طاعة أو في معصية للحديث «يبعث كل عبد على ما مات عليه» [(١)] ، لذا كان حرص العبد على التزود والموت على هذه الحال دليل حب الله لعبده للحديث «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله . قيل : كيف يستعمله . قال : يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه» [(٢)] .

وأما الذي ينبغي للعبد أن يتزود به فهو :-

١ ـ لزوم ذكر الله تعالى : قال تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [(٣)]

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هما جنتان إحداهما في الدنيا والأخرى في الآخرة فأما جنة الدنيا فهو أنسُ العبد بذكره لربه سبحانه وأما جنة الآخرة فهي التي وعدنا الله إياها ، فمن لم يدخل جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة» . والوجود كله ذاكر لله مسبح لله قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[(٤)] .

في الجماد : قول النبي ﷺ هذا جمدات (اسم الجبل) سبق المفردون . قالوا :ما المفردون يارسول الله: قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[(٥)] .

وفي الحيوان : دخل النبي ﷺ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم:«اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) الرحمن : (٤٦) .

(٤) الاسراء : ٤٤

(٥) رواه مسلم

لأحاديثكم في الطرق والأسواق ، فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله منه»[١]

وفي الطير : قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾[٢] قال ابن كثير : أوبي : أي سبحي والتأويب الترجيع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها»[٣] .

٢ - وفي قيام الليل زاد : وقيام الليل :-

أ) شعار الصالحين : للحديث «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم» [٤] .

ب) وهو دليل معرفة العبد ربه ، وشوقه إلى الجنة: كان أحد السلف يفرش له فراشه بعد العشاء ، فيضع يده عليه ويقول: والله إنك للين ، ولكن فراش الجنة ألين منك . ثم يصلي حتى الفجر .

٣ - وفي صيام رمضان زاد : ومنكر الصيام كافر لأنه فريضة ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع،في الكتاب ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[٥] . وفي السنة : بني الإسلام على خمس «شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»[٦] والإجماع منعقد على فرضيته يقول الذهبي :«الذي يفطر في رمضان من غير عذر شر من الزاني ومدمن الخمر بل ويشك في إسلامه» وفي الصيام يتربى المسلم على الخلق الكريم واستشعار رقابة الله سبحانه فالصائم يحبس نفسه عن الحلال حياءً وطاعة لله واستشعاراً لرقابته . أيجرؤ على الحرام بعد ذلك للحديث «لا يزني الزاني حين

---

(١) رواه أحمد .
(٢) سبأ : (١٠) .
(٣) رواه الترمذي .
(٤) البقرة : (١٨٣) .
(٥) متفق عليه .
(٦) متفق عليه .

يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب حين يشربها وهو مؤمن»[١] .

وعذاب الله شديد لكل مفطر من غير عذر للحديث «بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي (ما تحت الإبط) فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا : اصعد : فقلت لا أطيقه فقالا : إنا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة ، قلت : ما هذه الأصوات ؟ قالا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلقا بي، فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققةً أشداقهم تسيل أشداقهم دماً، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : الذين يفطرون قبل تحلة صومهم» [٢] . والخاسر الخائب من أدركه رمضان فلم يستدرك فيه أمره ، ويصلح فيه ما بينه وبين ربه ، ويجدد العهد :«صعد النبي ﷺ المنبر ، فلما رقى عتبة قال آمين ، ولما رقى الثانية قال آمين فلما رقى الثالثة قال آمين ثم قال : أتاني جبريل وقال يا محمد بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له ، فقلت آمين ، ثم قال : بعد من أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فقلت آمين ثم قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين»[٣]

٤ ـ **وقراءة القرآن زاد** : والقرآن كلام الله المعجز المنزل على محمد بن عبدالله ﷺ.

أ ـ والأجر فيه عظيم للحديث «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، ولا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» [١] .

ب ـ وهو شافع لأصحابه للحديث «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي ربّ منعته الطعام في النهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن أي ربّ منعته النوم في الليل فشفعني فيه،قال:فيشفعان»[٤] .

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان .

(٢) ابن حبان .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح .

جـ - وحرص الأصحاب على تلاوته ليس له حدود: كان عبدالله بن عمرو بن العاص يقرأ القرآن كله كل ليلة ويصوم كل يوم يقول له النبي ﷺ : صم صوم نبي الله داود فإنه كان أعبد الناس،واقرأ القرآن في كل شهر فقال : يانبيالله إني أطيق فضل من ذلك . قال : فاقرأ في كل عشرين ، قال : إني أطيق أفضل من ذلك : قال فاقرأ في كل سبع ولا تزد على ذلك»[1] .

د - وفي الاعتكاف زاد : وهو لزوم المسجد والإقامة فيه بنية التقرب إلى الله تعالىٰ .

مسنون : اقتداءاً بالرسول ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان وفي العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين ليلة»[2]

ومستحب : وليس له وقت محدود يقول يعلي بن أمية : إني لأمكث في المسجد ساعة ما أمكث إلا لأعتكف .

وواجب : وهو ما يوجبه المرء على نفسه كالنذر مثلاً : قال عمر رضي الله عنه يارسول الله : إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال «أوف بنذرك»[3]وعرف بعض العارفين الاعتكاف فقالوا : هو قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق سبحانه : وقيل لأحدهم ألا تستوحش في خلوتك فقال : وكيف استوحش وهو يقول «أنا جليس من ذكرني» [4] .

وإذا وطن العبد نفسه على هذه الطاعات فعلت فعلها الحسن في النفس وفجرت فيها الخير والقوة والعزة والغيرة فلا يذل إلا لله ، ولا يطيع أحداً في معصية الله ، ولا يأنس إلى أحد إلا إلى الله .

وأما الذي يعين على التزود فهو :

١ - الصحبة الطيبة : إن وجدت وإلا فالعزلة أولى : وأقوال العلماء في الخلطة

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه البخاري .
(٤) البيهقي .

والعزلة ، تحتاج إلى بيان : ـ
أ) فقد أحب البعض العزلة للحديث «أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وأبك على خطيئتك» [١] .
ب) ومنهم من فَضَّلَ الخلطة للحديث «الذي أراد أن يعتزل في شعب يتعبد : فقال النبي : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من تعبده في بيته سبعين سنة ألا تحبون أن يغفر الله لكم» [٢] .
والصواب : أن كل إنسان بحسب حاله ، فمن كان استطاعته أن يصبر ويغير، يؤثر ولا يتأثر فعليه بالخلطة وهو مأجور مثاب للحديث «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[٣] . والذي يجد في نفسه الضعف عن إصلاح غيره وخاف وخشى على نفسه الفتنة فالعزلة فيه أولى يقول أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه .

وبالعزلة يسلم العبد من الغيبة والنميمة، والرياء، وقرين السوء وأذاه .

٢ ـ أن تجعل تعاملك مع الله سبحانه ابتغاء أجره ورضاه من غير انتظار إلى ثناء الناس أو مقابلة إحسانك بالإحسان فقد تبتلي بقوم لئام تحسن إليهم ويسئون إليك قال تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [٤] .

يقول الله تعالى في الحديث القدسي «يقول الله يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني . يقال يارب : وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده،أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم : استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما

(١) الترمذي .
(٢) الترمذي .
(٣) الترمذي وابن ماجه .
(٤) الإنسان : (٧ ـ ٩) .

علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يـا ابن آدم استسقيتـك فلم تسقني . قال : يارب كيف أُسقيك وأنت رب العالمين؟ قـال : استسقـاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما علمت أنه لو سقيته لوجدت ذلك عندي» [1] .

---

(١) رواه مسلم .

ثالثاً

خطوط عريضة في العمل الصالح

المسئولية

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[1].

المسئولية في إسلامنا تكليف لا تشريف ، ولا يتنافس عليها إلا الغافلون أو المغفلون الذين لا يدركون حال المسئول في الآخرة من حبس في الموقف ، وسؤال عسير ، فلا يجد من ينصره من بطانة السوء حيث لا يملك إلا الانقياد والذلة والخضوع لرب الأرض والسماء سبحانه .

فما المسئولية؟ ولماذا؟ وما أنواعها؟ وخيانة المسئولية كيف تكون؟

أما المسئولية : فهي التبعة والتكاليف .

واصطلاحا : هوالتكليف الذي يعقبه الحساب .

وينبغي أن تعلم :-

١ ـ أن المسئول مسئول أمام من هو فوقه إلا ربّ العزة سبحانه فليس فوق الله أحد قال تعالىٰ : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[2] .

٢ ـ كما أنه لا مسئولية إلا بتكليف قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[3] أي دون أمر أو نهي.

٣ ـ ولا تكليف إلا بإرادة واعية ، مدركه ، عاقلة فلا تكليف على نائم لفقدان الوعى ولا على صبى لفقدان الإدراك ولا تكليف على مجنون لفقدان العقل للحديث «رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ ،

(١) الصافات : (٢٤ ـ ٢٦) .

(٢) الأنبياء : (٢٣) .

(٣) القيامة : (٣٦) .

وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل»[1] .

٤ - والعبد لا يتحمل مسئولية فعله فى أحوال ثلاث :

أ - **النسيان** : للحديث «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا بذلك»[2] .

ب - **الإكراه** : وعند ما اشتد العذاب على عمار بن ياسر وقالوا : لا نتركك حتى تسب محمداً ﷺ ففعل فتركوه فأتى النبي ﷺ يبكى فسأله النبي ﷺ ثمّ قال له: كيف تجد قلبك ؟ قال عمار: أجده مطمئنا بالايمان. فقال له النبي: ياعمار إن عادوا فعد (أى إن عادوا إلى تعذيبك فعد إلىشتمى)وأنزل الله قوله «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ »[3] وللحديث «إنّ الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه»[4] .

د - الاضطرار : لقوله تعالى : ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[5]
قال ابن كثير : (غير باغ) أي غير مستحله ، (ولا عاد) أى ولا مجاوزة للحد .

٥) وليس للعبد حجة أمام الله تعالى فى أن يحتج بعلم الله المطلق على ما يأتيه من فعل كما قال بذلك القدرية والجبرية .

ورد الله تعالى تلك الفرية بقوله سبحانه ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) النحل : (١٠٦) .
(٤) ابن ماجه .
(٥) البقرة : (١٧٣) .

﴿ تَخْرُصُونَ ﴾[1] .

☆ وأما لماذا المسئولية ؟ فلا بدّ من المسئولية حتى :

لايلقى أحد على أحد مسئولية العمل المناط به ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] وقال تعالى :﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[3] ولذلك كان من الواضح في إسلامنا ألا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق ، فجعل رب العزة لطاعة الوالدين حداً ، قال تعالى : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[4]

وجعل لطاعة ولى الأمر حداً للحديث : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[5]

☆ وأما أنواع المسئولية :

أولا : مسئولية القدوة والمنصب : ومن كان في هذا الموضع لابد له من ضابطين :

أ) **الالتزام :** فلا مخالفة ولا انفصام في الشخصية قال تعالى :«وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ »[6] وعقوبة المخالفة في إسلامنا عظيمة للحديث: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه (أمعاؤه) فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[7].

---

(١) الأنعام : (١٤٨) .

(٢) الإسراء : (١٥) .

(٣) الزلزلة : (٦ ـ ٧) .

(٤) العنكبوت : (٨) .

(٥) رواه مسلم .

(٦) هود : ٨٨

(٧) البخاري ومسلم .

ب) **عدم الأخذ بالتقية :** يقول ابن تيمية رحمه الله «لا تقية لقدوة» . لذا كانت مواقف أولى العزم من الرسل واضحة ، وأهل السابقة من العلماء الأعلام من سلف الأمة فيها الأخذ بالعزائم لأنهم يعلمون أنهم فى موضع لا يقبل فيه التأويل فالقلوب والعيون معلقة بهم ، وفعلهم حجة يقتدي به من ورائهم لذا رفض الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن يقول ما قاله غيره فى القرآن مجاراة للتيار الذي غلب الأمة وتبناه السلطان ، وكان ـ رحمه الله ـ يقول لمن يطلبون منه أن يقول كما قال غيره : «ارفعوا الستارة وانظروا ، فإذا خلق قد حملوا القراطيس ينتظرون ما يقول أحمد ليسجل في عقيدة الأمة ودينها» .

ثانياً : مسئولية الكلمة : والكلمة أنواع :

أ) **المكتوبة :** وعلى المرء أن يستشعر لقاءه بالله يوم الحساب عند ما يكتب أو يخط بيده ولله درّ الشاعر إذ يقول :

وما من كاتب إلا ستبقي ... كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

ورحم الله شهيد الإسلام ، صاحب الظلال ، وقد طلب منه أن يكتب استرحاماً للطاغية فقال : «إن اصبع السبابة الذى يشهد لله بالوحدانية فى الصلاة يأبى أن ينحني فيخط كلمة يسترضي بها طاغية» .

ب) **المقولة :** وهى التي تنطق بها الألسن :

وللحديث : «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها سبعين خريفاً في جهنم»[1] .

---

(١) رواه الترمذي

جـ) **المسموعة :** فإذا أسرك أخوك بحديث وخصك به فلا يجوز نشره أبداً فذلك يقدح فى المروءة ويطعن فى الصحبة بما لا ينفع معه دواء .

ثالثاً : مسئولية العهد :ـ

بينك وبين الله : كالبيعة فهي عهد على الطاعة لولي الأمر ، ولكنها مع الله تكون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[1] .

ولا بد للبيعة من ضابطين :

أ) **الوضوح :** حتى تعلم ما أنت مقبل عليه ، فتتعامل مع الأحداث تعامل الرجال أما الشك والإحباط والانتكاس لأول حدث أو فتنة فتلك بيعة الصبيان ولحديث عبادة بن الصامت قال : دعانا النبي ﷺ فبايعنا ، فقال فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»[2] .

ب) **الوفاء :** فلا عذر فى مواطن الصدق، وعندما دعا موسى عليه السلام قومه الى الجهاد قالوا : «فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ»[3] فأى عذر أعظم من هذا العذر ، حيث الانتكاس والفرار والجبن فى وقت يراد فيه الثبات والتضحية والفداء ، ورحم الله ورضى عن (المقداد بن الأسود) فى وقفته وقولته التى سُرَّ لها النبي ﷺ سروراً عظيماً عندما قال: والله يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن نقول لك (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) .

---

(١) الفتح : ١٠

(٢) رواه البخاري .

(٣) المائدة (٢٤) .

وأما خيانة المسئولية كيف تكون ؟

١ - أن يشق عليهم بما فيه من تضييق وشدة وظلم للحديث : «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به»(١) .

٢ - أن يحتجب عنهم : بامتناعه عن النظر فى مصالحهم : للحديث «من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة»(٢) .

٣ - أن يستعمل على الناس غير الكفء الصالح للحديث : «من ولي مِنْ أمر المسلمين شيئاً، فأمَّر عليهم أحداً محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»(٣) .

٤ - أن يستثيرهم بما يكرهونه رغبة في الانتقام منهم وإيقاع الأذى بهم فذلك دليل خسة وطبع لئيم ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؟ فقلت : يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ قال لولا حدثان قومك بالكفر. وفي رواية : «لولا أن قومك حديثه عهد بجاهلية لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها الحِجْر»(٤).

تأمل معى كيف أن رسول الله ﷺ ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم وإدخال الحِجْر مراعاة لإيمان الناس وقرب عهدهم بالكفر ، فياليت من يتولى مسئولية أي عمل وخاصة العمل الإسلامي أن يكون رحيما بأمة محمد ﷺ وأن يكون فيهم كما وصف رسول الله نفسه إذ يقول «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»(٥) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبوداود .

(٣) رواه الحاكم وقاله صحيح الاسناد .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه ابوداود والنسائي .

أما استخـدام الأسـاليب الملتويـه ، واستثـاره الآخرين بمـا يكرهون . بالمعاملة الاستفزازية حتى إذا غضبوا وقالوا كلمةً دون قصـد قـامت الـدنيـا ولم تقعـد . نقـول ينبغي أن نتنزه عن هـذه الأسـاليب الرخيصـة التي لا نجدها إلا في الأراذل من البشر .

النقـــد

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[1] .

لن يبلغ العبد درجة التقوى حتى يأخذ نفسه بالنقـد والمحـاسبـة وفي الآيـة الكريمة دعوة من الله لعباده أن يعيدواالنظر فى أعمالهم قبل العرض .

فما النقد؟ ولماذا؟ وما أنواعه؟ وما أدب النقد فى الإسلام؟

النقد لغة : إظهار الجيد من الردىء.

اصطلاحاً : هو الكشف والتحليل للحدث فى أسبابه ونتـائجـه أو النفس فى علوها وهبوطها.

وينبغي أن تعلم :ـ

١ - أن من طبيعة الانسان أن يلقى بالتبعة والمسئوليـة واللوم على غيره ، فهو حريص أن ينقد غيره لا أن ينقد ذاته .

أ) بأن ينسب سبب ضلاله إلى الله سبحانه قـال تعـالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ ﴾[2]

أى هـل اطلعتم على علم الله تعـالى فرأيتم أنـه قـد كتب عليكم الضـلال فضللتم، ولكن الخيال والكذب وإلقاء التبعة على الله سبحانه ، والله تعالى يقول فى الحديث القدسي : «ياعبـادي إنمـا هى أعمـالكم أوفيهـا إيـاكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[3] .

---

(١) الحشر : (١٨) .

(٢) الانعام : (١٤٨)

(٣)رواه مسلم .

ب) أو أن يلقى بالتبعة على الشيطان بأنه كان وراء ضياعه ، وأنه لا يتحمل مسئولية فعله،ويوم القيامة يبرأ الشيطان من هذا الاتهام والنقد فى خطبته المشهورة فى وسط محبيه وأتباعه قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾[1] .

وأما لماذا النقد ؟

١ - فلابد من النقد لأنه دليل على وجود حياة فى الأمة: إسلامنا ليس أفيوناً ولامخدراً للأمة كما يدعي الجهلة والحاقدون. في إسلامنا دعوة إلى قولة كلمة الحق صريحة للظالم لحديث « سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله»[2] .

بل إن عمر رضى الله عنه كان يخشى ألا يكون فى الأمة من يرده إلى الحق إذا اعوج أو أخطأ ، وقف يوماً يخطب فى الناس فقال : أيها الناس من رأى فيَّ اعوجاجاً فليقومه» فأجابه رجل منهم «والله لو علمنا فيك اعوجاجا لقوَّمْنَاهُ بسيوفنا» فقال رضي الله عنه «الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يُقَوِّمَ اعوجاج عمر بسيفه» .

٢ - ولا بد من النقد حتى تنجو الأمة من الهلاك على يد المفسدين أو بعقوبة من الله سبحانه :

أ) على يد المفسدين للحديث :«مثل القائم في حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم فى أعلاها ، وبعضهم فى أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ،

---

(١) ابراهيم : (٢٢)

(٢) رواه الحاكم

فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[1] .

وإما بعقوبة من الله تعالى. ذكر ابن القيم رحمه الله رواية : أن الله تعالىٰ أمر مَلَكاً أن يخسف بقرية فقال : يارب إن فيها فلاناً العابد ، فأوحى الله عز وجل إليه : أنْ به فابدأ، فإنه لم يَتَمعر (أي يتغير ويغضب لرؤية منكر) وجهه لي مرة قط»[2]

٣ ـ ولابد من النقد حتى نعرف مواضع الخطأ فينا فنستدركها، ولا يرفض النقد إلا طاغية ، كحال فرعون قال تعالى حكاية عنه ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[3] بل يتهم موسىٰ بالإفساد وهو النبي الصالح المصلح قال تعالىٰ : ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾[4]. أو جاهل غلبه جهله فهو كاره لكل ناصح ناقد قال تعالىٰ حكاية عن جهلة الأقوام فى موقفهم من أنبيائهم : ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ بل إن عمر رضي الله عنه يجعل من بيان الخطأ هدية تُهدَىٰ لمن تحب يقول «رحم الله من أهدىٰ إليَّ عيوبى» .

وأما أنواع النقد :

١ ـ نقد الله لأنبيائه ارتقاءً وسمواً لعظيم قربهم من الله سبحانه :
فحسنات الأبرار سيئات المقربين ، فهذا يوسف عليه السلام لما أدخل السجن علم أن سجيناً سوف يخرج فطلب منه أن يذكره عند الملك قال تعالىٰ ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾[5] يقول الإمام الالوسي رحمه الله:

---

(١) رواه البخاري .
(٢) الجواب الكافي ص٤٥
(٣) النازعات : (٢٤) .
(٤) غافر : (٢٦) .
(٥) يوسف : (٤٢) .

فإن الائق بمقام الأنبياء عدم الاستعانة إلا بالله وجاء فى رواية عن أنس: أوحىٰ الله إلىٰ يوسف : من استنقذك من القتل إذ هَمّ إخوتك أن يقتلونك . قال : أنت يارب . قال : من استنقذك من الجب إذ أَلقوك فيه . قال : أنت يارب ، قال : من استنقذك من المرأة اذ همَّت بك . قال : أنت يارب ، فقال الله تعالىٰ : فَلِمَ سألت آدمياً وأنت فى السجن، قال يوسف: كلمة جرت على لساني: فقال تعالىٰ﴿وعزتى لألبثنك فى السجن بضع سنين﴾[1] .

ومواضع النقد لرسول الله ﷺ كثيرة منها قوله تعالىٰ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[3] وقوله تعالىٰ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4] .

٢ ـ **النقد الذاتي للفرد والجماعة** : للفرد قال تعالىٰ : ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[5] يقول الحسن البصرى «إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلمتى، ما أردت بأكلتى ، ماأردت بحديث نفسى وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه » وللحديث : الكيس (الفطن) من دان (أي حاسب واتهم) نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»[6] . ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يبالغون فى النقد إلى الإيذاء والإيلام والحرمان لأنفسهم حتى تستقيم على أمر الله فهذا عمررضى الله كان يضرب رجله بالدرة ويقول «ماذا قدمت اليوم» والأحنف بن قيس كان يضع أصبعه على النار ويقول : «حس

(١) الآلوسي مجلد١٢ ، ص٢٤٨

(٢) عبسى : (١ ـ ٢) .

(٣) التوبة : (٤٣) .

(٤) الأنفال : (٦٧) .

(٥) القيامة : (٢) .

(٦) الترمذي .

حس الم تفعل ذنب كذا فى يوم كذا». وينبغى على العبد أن ينقد ذاته ويحاسبها على الأوقات ورحيلها وما يدخل جوفه حلال أم حرام ، للحديث : «لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيا أفناه ، وعن بدنه فيا أبلاه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»(١) .

وللجماعة : يقول عمر رضى الله عنه :«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن» ويقص علينا القرآن قصة أخوة كان أبوهم قد خلف لهم جنةً وكان يسير فيها بأن يتصدق بالثلث ويدخر الثلث ويزرع الثلث فلما مات ورثه بنوه فقالوا : لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه للفقراء فلو منعناهم لتوفر علينا ، فعاقبهم الله لفساد قصدهم فأذهب المال بالكلية ، قال تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ (قال ابن عباس كالليل الأسود) .
فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ (أي يتناجون) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ (أى على غيظ وعزيمة) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ (اعتقدوا أنها ليست جنتهم) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ (جعلوا من أنفسهم مظلومين لا ظالمين) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ (تشكرون) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ » (٢) ولكنه نقد بعد فوات الأوان .

٣ ـ **نقد الصف المسلم** : فى غزوة أحد عندما انكسر المسلمون عجبوا كيف يكون هذا وهم أولياء الله وأنصاره قال تعالى : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾(٣) فأرشدهم الحق تعالى أن ينظروا في أنفسهم

---

(١) الترمذي .

(٢) القلم : (١٦ ـ ٣٢) .

(٣) آل عمران : (١٦٥) .

﴿ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ . وذكّرهم بأسباب الهزيمة قال تعالىٰ : حتى إذا فشلتم (جبنتم) وتنازعتم فى الأمر وعصيتم (بمخالفة الرماة أمر النبي ﷺ بالمكوث وعدم ترك الجبل «من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» ونزولوكم إلى جمع الغنائم والتنافس عليها».

نقول إن على الصف المسلم أن ينقد ذاته ، وأن يعزز وجود المنبر الحر والرأى الآخر وأن يتواضع الكبار في سماع آراء إخوانهم فلعّل أن يكون فيها الخير . رسول الله ﷺ على جلال قدره ، وهو النبي الموحىٰ إليه يستمع إلى رأي جندي فى معركة بدر هو (الحباب بن المنذر) ويشير على رسول الله ﷺ باختيار مكان أفضل من المكان الذي هو فيه . إن النقد الذاتي لا بدّ منه لسلامة الصف المسلم وينبغي ألا يفسر النقد باللحن المتكرر من تجريح وتشهير وشق لعصا الطاعة وحب للظهور ، ويجب أن تحترم العقول التى قدم أصحابها أرواحهم فداءً لهذا الدين ، وإلا فسوف يبقى الصف المسلم مُتَعَباً بدعاته ، والتآكل الذي يصيبه لابدّ أن يوقف .

٤ ـ **نقد المسلم لولي الأمر** : وينبغي أن تعلم أن الأمة هي التي تختار من يتولىٰ أمرها، فلها حق عزله لأن من يملك حق التعيين يملك حق العزل، والعزل لايكون تعسفياً بل لمبرر شرعي من عجز أو جنون أو انحراف عن منهج الله سبحانه .

لذا كان في أحكام الصلاة وهى الصورة المصغرة للمجتمع المسلم أن الإمام إذا أحدث فعلاً ليس من أفعال الصلاة لا يُتابع . وكم كان فرح السلف من ولاة أمور المسلمين بنقد الأمة لهم (فى اجتهادهم مثلاً) فقد همَّ عمر رضى الله عنه بتحديد قيمة الصداق ، فعارضته امرأة من الحاضرين وقالت : «إن الله عز وجل يعطينا بالقنطار ، وأنت تريد أن تحدد ذلك يا عمر». والمرأة تشير إلىٰ قوله تعالىٰ (﴿ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ ﴾[1] عندئذٍ يرجع عمر إلىٰ الحق ويقول «كلهم أعلم منك حتىٰ النساء

(١) النساء : (٢٠) .

يا عمر» . وفى محاسبتهم على تصريف أموال المسلمين : فقد وقف عمر رضي الله عنه يوماً يخطب فقال : «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا» فأجابه رجل : لا سمع لك اليوم ولا طاعة ياابن الخطاب. فقال عمر: ولم؟ قال الرجل: لأنك أعطيت كلَّ رجلٍ منا ثوباً ونرى عليك ثوبين ، فقال عمر : يجيبك عن ذلك عبدالله بن عمر: فقام ابن عمر وقال : إن الثوب الثاني هو ثوبي وقد أعطيته أبي ليكمل به ثوبه ، حيث كان ثوب أبي قصيراً» قال الرجل : أما الآن فقل نسمع ونطيع .

لم يضق صدر عمر بهذا النقد ، ولم يبطش بالناقد لأنه يعلم أن الرجل يمارس حقه فى التوجيه وإرادة الخير لأمة محمد ﷺ . وينبغي لمن يتولىٰ أمراً أن يتخذ لنفسه من يعينه على الخير : «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله»[1] .

أما أدب النقد فى إسلامنا :

١ - **ينبغي أن يكون النقد بناءً لا هدَّاماً :** والنقد البناء هو الذي يكون باعثه الغيرة والحرص والرغبة فى الوصول إلى الأحسن وبالأسلوب الأكرم قال تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2] والنقد الهدام هوالذي يراد به مجرد الإساءة والتنقيص والتشفى وعندما قال رجل من المنافقين : مأرىٰ قراءنا إلا أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يارسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال:﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ وإن رجليه لتسعفان الحجارة

---

(١) رواه البخاري .

(٢) النحل (١٢٥) .

وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ»(١) .

٢ - **النقد للأفكار والمبادىء والمواقف لا الشخوص** : الذي يريد الإصلاح حقيقة لا تعنيه الشخوص ، فالشخوص إلى زوال ، ولكن الذي يخشى منه هى الأفكار ، وأن يتأثر بها أحد بعد ذلك، لذا كان من هديه عليه الصلاة والسلام إذا رأى عيباً أو سلوكاً منحرفاً صعد المنبر وقال : «مابال أقوام يقولون كذا ، ومابال أقوام يفعلون كذا» من غير تصريح بأسمائهم وفى أضيق نطاق يكون ، يقول أحد السلف : من نصحك فى ملأ فرد عليه نصيحته فإنه قد ابتغى فضيحتك ولم يبتغ نصيحتك» .

٣ - **والنقد يكون فى حال الرضى والغضب سواء** : الذي تحكمه عاطفته يكون أخرس عن مصارحة المحبوب بعيوبه وعند الغضب يفضح المستور وكما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكنّ عين السخط تبدى المساويا

أما الذي يريد بنقده وجه الله فإن ما يقوله فى الغضب يقوله فى الرضا من غير التفات الى حظ النفس وللحديث : «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة»(٢) .

٤ - ولما كان الخطأ وارداً ، فالإصرار على الخطأ مع وضوحه وبيان عواره دليل داء في القلب والعقل معاً . فى القلب حيث عشعش الشيطان فيعتقد أن تقويم العوج دليل نقص لا كمال ، وذلة لا عزة لجهله ، وداء في العقل حيث ضيق الأفق في إلقاء الصف المسلم في التهلكة ، وتجرع مرارة المخالفة ، ومقاساة آلام الانحراف ، كل هذا حتى لا يقال أنه قد أخطأ ، فياخيبة القطيع براعيه .

---

(١) مختصر ابن كثير مجلد ٢ ص١٥٣ .

(٢) اخرجه البخاري في الأدب المفرد .

السريّة

﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[1] .

من أسماء الله الحسنى «العليم» ومن علمه سبحانه أنه أحاط بكل شيء فلا تغيب عليه غائبة فى الأرض والسماء بل إنه يعلم السر وما هو أخفى .

فما السر؟ ولماذا؟ وما أنواعه؟ ولماذا إفشاء السر؟ وما موقف المسلم منه؟

السر لغة : هو الذي تكتمه وتخفيه يقال له سِرّ .

اصطلاحاً : هو كل ما تكتمه وتخفيه في نفسك ولا تطلع عليه أحداً لدفع ضرر أو لجلب مصلحة ، أو تخص به من تثق به دون سواه .

وينبغي أن تعلم :-

١ - إن الوصية بالإمساك عن فضول الكلام ثابتة فى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح قال تعالى ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[2] .

ومن السنة «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»[3] .

ومن فعل السلف أن الربيع ابن خيثم كان إذا أصبح أعدّ قلماً ودواة وقرطاساً وكل ما يتكلم به يكتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء.

---

(١) طه : ٧ - ٨ .

(٢) النساء : (١١٤) .

(٣) الترمذي .

٢ - إن كتمان السر لا ينافي التوكل على الله سبحانه :

فالتوكل على الله معناه أن يأخذ العبد بالأسباب من غير أنْ يعلق القلب بها وهذا حال المصطفى ﷺ فى يوم هجرته ، فقد خطط للهجرة وكتم الأمر حتى وصل الغار، واجتمع أهل الكفر على فم الغار وخشى الصديق من وصولهم إلى النبي قال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] فكان نظر الرسول معلقاً بمعية الله لا على مباشرة الأسباب .

٣ - وستر العيوب وحفظ الأسرار أمانة للحديث : «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه مايكره»[2] .

وأما لماذا السر ؟ فلا بد من السر لضمان أمن الفرد والجماعة :

١ - أما الفرد لقوله تعالى : «وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ»[3]. يقص علينا رب العزة خبر الذي يكتم إيمانه وهو يعيش في جو كله كفر وعداء لله ودعوته دون إنكار ، فدلّ على جواز كتم الإيمان عند الضرورة إذا كان في الإظهار تعرض للتنكيل والقتل .

٢ - ولأمن الجماعة فالذين أسلموا من أهل المدينة واعدوا النبي ﷺ المجيء إلى العقبة فى مِنى خارج مكة يقول كعب بن مالك: وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ثم يقول : فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى مضى ثلث الليل تسللنا تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون وامرأتان ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاء ومعه العباس»[4] .

٢ - وحتى لا يفسد أعداء الله خطة أو تحركاً للمسلمين : فقد جاء في

---

(١) التوبة : (٤٠) .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) غافر : (٢٨) .

(٤) السيرة النبوية ج٤ ، ص٤٩ .

السيرة النبوية أنه ﷺ من هديه إذا غزا ورى بغيرها ، وكان ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر إنه يريد غير الوجه الذي يقصد له إلا ما كان في غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة»[1] .

٣ - فى السر والكتمان نجاة من الحسد المذموم : قال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[2] .

قال ابن كثير : ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر للحديث «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، فإن كلّ ذي نعمة محسود»[3] فإذا ظهرت النعمة وتم الأمر فحدّث به حتى يأتيك من يحتاج إليك لقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾[4] .

وأما أنواع السر :

١ - سر العبد فى نفسه :

أ) فأعظمها ما يكون بين الله وعبده ، من كرامة يمن الله بها على من يشاء كإجابة لدعائه .

والعارفون بالله يحرصون على ألا يعلم بالأمر أحد ، تحرزاً من الوقوع ذى آفات العُجب ، ورؤية النفس واحتقار الخلق .

يذكر ابن المبارك رحمه الله أنه كان فى المدينة قحطٌ فكان الناس يخرجون يستسقون ، يقول ابن المبارك فخرجت يوماً وكان بجانبي رجل أسود رفع يديه وقال : أقسمت عليك يارب أن تسقينا ، فما أتم دعاءه حتى تلبدت السماء بالغيوم ونزل المطر ، يقول ابن المبارك : فسرت وراءه حتى رأيته يدخل سوق النخاسة (الذي يباع فيه العبيد) فاشتريته ، وفي

(١) تهذيب السيرة ص٣٢٥ .
(٢) يوسف : (٥) .
(٣) مختصر ابن كثير مجلد٢ ، ص٢٤٠.
(٤) الضحى : (١١) .

الطريق أعلمته مارأيت منه وسألته عما بلّغه هذه المنزلة ، ففزع واستأذن أن يصلي ركعتين فصلى ثم رفع يده وقال : اللهم إن السر الذي بينى وبينك قد انكشف ، فاقبضني إليك ، يقول فمات فى لحظته رحمه الله .

ب) كتمان العمل الصالح مخافة الوقوع فى شباك الرياء والمنة وطلب الثناء والسمعة، والله تعالى يقول: «من جاء في الحسنة فله عشر أمثالها» وللحديث: «في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1] .

يقول أحد الأئمة : وينبغي أن يكون بين الله والعبد سر من عمل صالح فإذا تمكن هذا السر زاده سراً آخر فإذا تمكن زاده سراً آخر حتى تكون بينه وبين الله أسرار فإذا وقع فى ضيق سأل الله بتلك الأسرار .

جـ) أن يكتم العبد العمل السيء والرؤيا المزعجة : أماالعمل السيء فلا ينبغي أن يتحدث المؤمن عن ذنوبه متفاخراً إلا إذا ذكرها على سبيل أخذ العبرة مع الندم والاستغفار بنية النصيحة لمن يسلك سبيل الضياع للحديث : «كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح يكشف ستر الله عنه»[2] .

وأما الرؤيا المزعجة فمن السنة ألا يتحدث بها للحديث :«إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به ، وإذا رأى ما يكره فليتحول إلىٰ جنبه الآخر ، وليتفل على يساره ثلاثاً ويستعذ بالله من شرها ، ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره»[3] .

٢ **السر الذي بين المعلم وأخيه:** وما يكون بين المسلم وأخيه، واطلاعك على ما يكتمه عن الناس ينبغي المحافظة عليه للحديث :«إذا حدثك أخوك

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري .

(٣) مختصر ابن كثير مجلد٢ ، ص٢٤٠ .

فالتفت فهى أمانة»[1] .

والالتفات يراد به لفت الرأس حتى يخصك بحديثه ، أو يراد بها المفارقة وفى كلا الحالتين تجب المحافظة ، وعلى المسلم أن يكون ساتراً لإخوانه رجاء أن يستره الله يوم القيامة للحديث : «ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة»[2] .

٣ ـ **السر في الأسرة المسلمة:** فالبيوت أسرار ولا ينبغي للمسلم أن يكشف أسرار بيته ، إلا لمن يثق بدينه وورعه وعلمه وحكمته فى معالجة الأمور وإصلاحها.

فشر الزوجين من ينشر سر صاحبه ، للحديث :«إن من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها»[3] .

ويروي عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأته فقيل له : ما الذي يريبك فيها ، فقال : العاقل لا يهتك ستر امرأته ، فلما طلقها ، قيل له لِمَ طلقتها؟ فقال : هي أجنبية والحديث عنها غيبة ، والغيبة حرام .

ووصف الله سبحانه الصالحات من النساء فقال : «فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ (أي مطيعات لأزواجهن)حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ»[4] أى حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين ، فلا يطلع أحد على ما هو خاص بالزوجة / فالعاقلة هى المحافظة لأسرار وعيوب وخصوصيات الزوج ، والحمقاء التي ابتليت بشهوة الكلام هى التي تهتك سرّها بنفسها وتجعل من نفسها حديثاً يدار فى مجالس الفارغين .

٤ ـ **حفظ لأسرار الجماعة أو الدولة المسلمة:** ويلزم لهذا الحفظ أمور :

أ) عدم اشاعة الخبر السيء فالقلوب ليست سواء في التحمل. فى غزوة

---

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) النساء : (٣٤) .

الخندق ، وقد أحاطت الأحزاب بالمدينة ، وكان بين الرسول ﷺ وقريظة عهد .

وصل إلى سمع النبي ﷺ أن بني قريظة قد نقضوا العهد، فبعث سعد ابن معاذ، وسعد بن عبادة وهما سيدا الأوس والخزرج وقال لهما: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً ، فالحنوا إليَّ لحناً أعرفه (التعريض والإشارة من غير تصريح) ولا تفتوا في عَضُد الناس (أي لاتضعفوا وتوهنوا فى عزائم الناس) وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به بين الناس»[1] .

ب) عدم إفشاء السر بتسريب معلومة إلى أعداء الله : وعند فتح مكة دعا النبي ﷺ فقال / اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ، فتجهّز الناس ، فكتب حاطب ابن أبي بلتعة : إلى قريش كتاباً يعلمهم بمسير الرسول الله إليهم وأعطاه امرأة . فأطلع الله رسوله فأرسل من يأتي بالكتاب من المرأة وقد عقدته فى شعرها ، واعتذر حاطب بأنه لصيق فى قريش وليس من أهلها ، وعنده أهله وعشيرته وولده فى قريش فأراد أن يسدي معروفاً إلى قريش حتى لا يمسوا قرابته بشيء . فقال عمر : دعني يارسول الله أضرب عنقه ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك يا عمر لعلّ الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فذرقت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم . يقول ابن القيم رحمه الله :«إن الكبيرة العظيمة فيما دون الشرك، تكفر بالحسنة العظيمة» وفى حاشية الفوائد أن العلة فى ترك قتله كونه قد شهد بدراً، ولولا ذلك لكان مستحقاً للقتل ، وهي من أدلة من يقول أن الجاسوس يقتل ولو كان من المسلمين»[2] .

---

(١) تهذيب السيرة ص٢١٥ .

(٢) الفوائد ص١٥ .

وليس من السر المحمود :

١ - أن تكتم اسم من يمشي بالسوء ، ويسعى بالإفساد ، فأمثال هؤلاء لابد أن يكشفوا ويفضحوا لقوله تعالى :﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[1] ومن التبيين معرفة القائل والقول معاً. كما يقول بعضهم / سمعت عنك كذا ، ويقال كذا / وهو كذب فإذا طالبته باسم قائله قال «لاأدري ولا يجوزذكر اسمه»،فهذا من الجبن واللؤم بمكان .

٢ - أن تكتم علما تعلمه ، أو معرفة للحديث : «من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[2] .

فإذا علمت شيئا من أمور الدين والدنيا فينبغي أن تبلغه لغيرك .

٣ - أن يكتم نعمة أنعمها الله عليه، فلا تراه إلا شاكياً، أو صامتاً، أو معتذراً عن مساعدة أو نصرة أو إقراض أحد بحجة أنه لا يملك شئياً، وهو مالك له ، قادر عليه فأمثال هؤلاء لابد أن يصاروا إلى ما كانوا عليه قبل النعمة للحديث «ماعظمت نعمة على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون عَرّضَ تلك النعم للزوال»[3] .

وأما لماذا إفشاء السر ؟ فإن أحوال إفشاء السر ثلاث :

١ - **ضعف** السر أمانة لا يقوىٰ على حملها المهازيل ، فالسر بالنسبة للضعيف حمل ثقيل لا يستريح إلا إذا أذاعه وأباح به وعند ذاك فقط يستريح قلبه ، ويسكن خاطره ، وأمثال هؤلاء لا ينبغي أن تناط بهم مسئوليات ومهام ، ولا ينبغي أن يطلعوا على ما فيه ضرر لو شاع وانتشر ، وكذا من كان سريع التأثر طيب النفس إلى درجة لا يقوىٰ معها علىٰ حفظ السر كحال أبي‌لبابة عندما بعثه رسول الله إلى بني قريظة استجابة

---

(١) الحجرات : (٦) .
(٢) رواه مسلم .
(٣) ابن حبان .

لطلبهم فى أن يستشيروه فى أمرهم، وكان عليه الصلاة والسلام قد عزم على قتل الرجال للخيانة العظمى بنقض العهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ وتعاونهم مع الأحزاب لضرب المدينة ، فلما وصل إليهم أبو لبابة قام إليه الرجال من بنى قريظة ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فَرَقّ لهم وقالوا له ياأبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح ثم استيقظ أبو لبابة وأحس أنه قد خان الله ورسوله بإفشاء (السر) سر رسول الله ، فعمد إلى عمود فى المسجد فربط به نفسه وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليَّ ثم تاب الله عليه ، وحلّ رسول الله وثاقه وهو ذاهب لصلاة الصبح»[1] .

٢ - **خبث** : ونفس هابطة، وتربية سقيمة، وهمة تعيش وتعلو فى الأجواءالعفنة، والتي تصلح ا.ن تكون نعلا لكل طاغية، وذيلاً لكل صاحب نفوذ.

عبيد الدرهم والدينار الذين يبحثون عن الأسرار، ويتلذذون بكشف الأستار.

يقول الغزالي رحمه الله : إفشاء السر حرام إذا كان فيه ضرر ، ولؤم إذا لم يكن فيه ضرر ، وأمثال هؤلاءمحرومونمن الجنة إلا أن يتوبوا ، للحديث : «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك (أي الرصاص المذاب) يوم القيامة»[2] .

وهم معرضون لأنتهتك أستارهم ويفضحون للحديث : «يامعشر من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عورات المسلمين فضحه الله فى عقر (قعر) بيته»[3] .

٣ - **سذاجة** : والناس أصناف ، ومنهم الساذج الأحمق الذي لا يعرف عاقبة الكلمة والسر حتى قيل : إن قلب الأحمق في فيه (أي فمه) ولسان العاقل

---

(١) تهذيب السيرة ص٢٢٥ .

(٢) البخاري .

(٣) أخرجه أبو داود .

فى قلبه) أى لا يستطيع الأحمق إخفاء مـا فى نفســه فيبـديـه من حيث لا يدري وصحبة أمثـال هؤلاء بلاء عظيم، لـذا قيل لا تصحب الأحمق فـإنـه إن أراد أن ينفعك ضرك .

رابعاً

نحو مفاهيم موحّدة

العالمية

الحلقة الأولى :

العالمية من الثوابت التي فطر الله النفوس على معرفتها كالعدل والصدق. والجدل حول مصداقيتها وواقعيتها أمر يثير دهشة البسطاء قبل العقلاء ولسان حالهم يقول كما قالت عجوز نيسابور عندما سألت عن سبب تجمعهم فقال الناس :«إنه الإمام الزمخشري ويعلم ألف دليل على وجود الله فقالت : وهل الله يحتاج إلى دليل، والله لو لم يكن في قلبه ألف شك لما أحتاج إلى ألف دليل».

العالمية ووحدة العمل الإسلامي أمر ثابت فى الكتاب والسنة والإجماع والقياس والواقع والمنطق وأقوال العارفين .

١ ـ **الكتاب** : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١]. ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوٓا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴾[٢].

٢ ـ **السنة** : قوله ﷺ : «اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه»[٣]، وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه قال : «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلين لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فنزل قوله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[٤].

---

(١) آل عمران : (١٠٥)

(٢) الانفال : (٤٦)

(٣) البخاري .

(٤) رواه مسلم .

في شرح الحديث : فوقع فى نفس رسول الله ما شاء الله أن يقع «أي من طرد المسلمين لما علم من ثبات إيمانهم وطمعاً في إسلام أئمة الشرك وإسلام قومهم نظير مجالستهم في يوم خاص بهم»[1] تأمل في النهي عن إعطائهم يوماً خاصاً بهم لا يكون فيه الضعفاء جلساء معهم فكيف بما هو أعظم من التولية وغيرها ، ودار الأرقم خير شاهد فى احتضانها لأبي بكر القرشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي في مجلس واحد كريم يضمهم على عالمية الدعوة .

٣ - **الإجماع** : يقول صاحب العقيدة الطحاوية : ونرى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً.

٤ - **القياس** : قول العلماء : «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» والكيد الذي يتعرض له الإسلام وأهله كيد عالمي يستلزم دعوة عالمية كي تقوى على الوقوف فضلاً عن المواجهة والمدافعة ، قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2] وأول القوة وحدة القلوب والعمل .

٥ - **الواقع** : فأعداء الله يتحركون من خلال عالمية دعوتهم ووحدة مكرهم حتى أنهم ليضعون أيديهم بأيدي من يخالفونهم لوحدة الهدف وصدق الله العظيم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[3]

٦ - **المنطق** : فالعالمية فيها اختصار لعامل الزمن وحفظ للطاقات من الشتات وإلا فإن محصلة العمل سوف تكون صفراً لتصادم الجهود ببعضها مما يثمر إطالة لعمر الباطل ، وبعد عن ساحات العمل الكريم إلى المهاترات والجدل العقيم .

---

(١) نزهة المتقين ص٢٧٣ .

(٢) الانفال : (٦٠) .

(٣) الانفال : (٧٣) .

٧ - **من أقوال العارفين :** قول ابن مسعود رضى الله عنه :«يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون فى الفرقة» [١] وفي رسالة دعوتنا فى طور جديد - يقول الإمام حسن البنا رحمه الله : «أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية .. وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس فى حكمها إخوة أصلهم واحد وأبوهم واحد ونسبهم واحد لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خيرٍ سابغ وفضل شامل فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية ولا نشجع عصبية الأجناس ، والألوان ولكن ندعوا إلى الأخوة العادلة الرحيمة بين بنى الإنسان»[٢].

هذه الدلائل وغيرها كثير حجة على من يرى غير ذلك أمام الله ورسوله والمؤمنين ويكون قد سن سنة سيئة يتحمل وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة كما جاء في الحديث الذي يرويه مسلم :«من سنّ في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء،ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٣] .

٨ - وفي العالمية إغاظة للباطل الذي لا يفرحه إلا شتاتنا وفرقتنا ، لأنه يعلم جيداً أن وحدة أمه محمد ﷺ فيها دماره وهلاكه لذا عندما مرّ شاس بن قيس على الأوس والخزرج ورأى ما بينهم من المحبة والمودة ساءه ذلك فذكرهم بأيام (بُعاث) وهى أيام حرب بينهم كانت في الجاهلية ، حتى ثارت القلوب . وغلت الدماء وقال قائلهم :«والله لو شئتم لعدنا لمثلها» سمع بهم النبي ﷺ فجاء مسرعاً يجر ثوبه ويقول: «الله.الله. أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم » فعلموا أنها مكيدة يهودية فأخذ بعضهم يعتذر إلى بعض ويستغفروا ربهم .

---

(١) حياة الصحابة جزء٤ .

(٢) مجموعة الرسائل ص٧٤ .

(٣) رواه مسلم .

نقول إنه لا يرضى ولا يقرّ الفرقة والشتات لأمة محمد ﷺ إلا من كان يهوديا أو يحمل من صفات يهود أو أن يكون ذيلاً لهم في تنفيذ مخططاتهم ، وأمثال هؤلاء لابد أن يكشفوا قال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1].

٩ - وفى العالمية تعميق لمشاعر الإخوة الإسلامية ، وادعى الى القيام بحقوقها محققين لقول النبي ﷺ «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

وأما في الإقليمية فتعلو روح العصبية البغيضة ، والاستعلاء الآثم ، ومحاربة كل من لا ينتمى الى نفس الفصيلة أو القطيع فى رزقه أو فى جرح مشاعره وإشعاره بالغربة بين أدعياء الأخوة ، نعم ، إنها إخوة ولكن ليست إسلامية بل هي أخوة القطيع الواحد ، الذي يأبى أن يرعى معه غيره فى مرعاه ، فأي هبوط جاهلي نهبط إليه بفقد العالمية .

١٠ - وفى العالمية الوفاء للعهد الأول ، وتجديد لصورة المجتمع المسلم بكل ما فيه، وشعور الجميع بالانتماء إلى هذا الدين ، وأنهم كلهم سواء، لهم ما لغيرهم، وعليهم ما على غيرهم، وأما في الإقليمية فزرع البغضاء في القلوب ، والعداوة في المعاملة ، وإشغال للصف المسلم بنفسه ، وكفى بها ضربة له من داخله فيا لشماتة الأعداء !

مزاعم وردها

ويطيب للبعض أن يستشهد للإقليمية والجنسية بدلائل هي حجة عليه لا له منها :

١ - الإستدلال بتعدد الرايات في تجمعات إقليمية فى فتح مكة ويقول ﷺ يا عباس : احبس أبا سفيان بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها ، قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي

---

(١) الرعد : (١٧) .

(٢) متفق عليه .

حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه ومرت القبائل في رآياتها وكلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه ؟ فأقول سليم فيقول: مالى ولسليم؟ثم تمر به قبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء فأقول مزينة ، فيقول: مالى ولمزينة؟حتى نفدت القبائل ، فما تمر به قبيلة إلا سألني عنها حتى مر به رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى عليهم إلا الحلق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقلت : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار .

وللرد ننقل قول ابن القيم من كتابه القيم زاد المعاد قوله : «وفيها جواز بل استحباب كثرة المسلمين وقوتهم وشوكتهم وهيئتهم لرسل العدو وإذا جاءوا إلى الإمام كا يفعل ملوك الإسلام..كا أمر النبي ﷺ بإيقاد النيران ليلة الدخول إلى مكة، وأمر العباس أن يحبس أبا سفيان عند خطم الجبل وهو ما تضايق منه حتى عرضت عليه عساكر الإسلام ، وعصابة التوحيد وجند الله وعرضت عليه خاصة رسول الله (الجند الخاص) وهم في السلاح لا يرى عليهم إلا الحلق ثم أرسله فأخبر قريشاً بما رأى»[1] .

إذن الغاية هي بث الرعب في قلوب المشركين وإن الذين أسلموا إنما هم قبائل بكل ثقلها وأتباعها فليسوا شذاذاً ولا أوزاعاً من الناس والأمر كا ترى ليست له صفة الاستمرارية والدوام، إنما هو توجيه خاص في وضع خاص ينتهي بإنتهاء قضاء الغاية منه .

٢ ـ الاستدلال بتعدد الرايات في بعض المعارك جرى في معركة حنين ، عن العباس بن عبد المطلب قال :«إني لمع رسول الله ﷺ وكنت إمرءاً جسيماً شديد الصوت ورسول الله ﷺ يقول حينما رأى من الناس ما رأى: أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء فقال ؛ يا عباس أصرخ :«يا معشر الأنصار ثم خلصت أجزأيا للخزرج وكان جرَّاء عند الحرب وقوله تمايزوا حتى نعلم من أين نؤتى»

والمعنى واضح في هديه ﷺ في بث الحماسة في قلوب المسلمين وتذكيرهم بما عليهم من بيعة مع الله ورسوله فلا ينقضونها بالهرب فيلحقهم خزي ما بعده خزي وهو أيضا توجيه خاص في وضع خاص لا يفيد الدوام والاستمرارية .

٣ - ومن حججهم فعله ﷺ عند ما أسلم باذان نائب كسرى على صنعاء اليمن أمّره النبي ﷺ على ذلك وولاه عليها حتى مات بعد حجة الوداع فولى ابنه شهر بن باذان بعده ، واستعمل الشعبي على بني تغلب وعبس وهم قومه ، والحارث بن بلال الطائي على بنى طي وغيرهم كثير ، فهذا دليل على إمرار ﷺ أن يتولى القوم رجل منهم فالوحدة والتآلف مقصد شرعي هام ولا يتم ذلك إلا بتأمير أحدهم !! ولتوضيح الأمر ينبغي أن نعلم جملة أمور :

أ - الرسول ﷺ لم يساوم فيا يمس العقيدة أو ولاية المسلمين بعده ولذلك رفض ما عرضه عليه عامر بن الطفيل :ففىصحيح البخاري أن عامر ابن الطفيل أتى النبي ﷺ فقال :«أخيرك بين ثلاث فقال : يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر ، أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك بغطفان»(١).

ب - من ولاهم الرسول على قومهم كان برضى رسول ﷺ ولعلمه ﷺ بصلاح من يوليه على قومه وأنه أهل لتحمل مسئولية الولاية فليس في الأمر مساومة أو خيانة . يقول ابن القيم رحمه الله في بيان فقه قصة قدوم وفد صداء في سنة ثمان : «وفيها جواز تأمير الإمام وتوليته لمن سأله ذلك إذا رآه كفئا ولا يكون سؤاله مانعاً من توليته ولايناقض هذا قوله في الحديث الآخر «إنا لا نولي على عملنا من أراده» فإن الصدائي إنما سأله أن يؤمره على قومه خاصة وكان مطاعاً فيهم ، محبباً إليهم وكان مقصوده إصلاحهم ودعوتهم إلى

---

(١) زاد المعاد الجزء الثالث ص٦٠٤

الإسلام فرأى النبي ﷺ مصلحة قومه في توليته فأجابه إليها ورأى أن ذلك السائل إنما سأله الولاية لحظ نفسه ومصلحته هو فمنعه منها . فولى للمصلحة ومنع للمصلحة فكانت توليته لله ومنعه لله»[1].

جـ - والمؤلفة قلوبهم عُنِيَ بهم الإسلام فجعل لهم نصيباً من الزكاة في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2] بل ويقسم الرسول ﷺ النصيب الأدنى من الغنائم يتألفهم به ، عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله قال له : «كيف ترى جعيلا ؟ قلت مسكيناً كشكله من الناس ، قال كيف ترى فلاناً ؟ قلت : سيداً من سادات الناس ، قال : فجعيل خير من مثل هذا ملء الأرض قلت: يارسول الله! ففلان. هكذا وأنت تصنع به ما تصنع . قال إنه رأس قومه فأنا أتألفهم»[3] وابن القيم رحمه الله يعلل الحكمة في إعطائهم بقوله « فما ظنك بعطاءٍ قوى الإسلام وأهله وأذلّ الكفر وحزبه واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم وإذا رضوا رضوا لرضاهم فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم»[4].

كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته ويعطى العاقل ما يناسبه .

أقول : تأليف القلوب لا يعني التولية ولا الإرتقاء بهم في مدارج المسئولية حيث تكون لهم الكلمة أو التأثير في سير الحركة أو التدخل في فرض

---

(١) زاد المعاد جزء ٢ ص٦٦٨

(٢) التوبة (٦٠)

(٣) حياة الصحابة ج٢ ص٤٢٨

(٤) زاد المعاد ج٣ ص٤٨٥

أقوالهم وأهوائهم بما يخالف المنهج والأصول فذلك من أعظم الخيانة لله ورسوله والمؤمنين وليس للأمر سابقة ولا يستسيغه عاقل أن تكون التولية تأليفاً للقلوب بما تجره من المفاسد حيث الشرعية في التحدث بما يكون فيه هدم للبناء وتفتيت للوحدة واعتداء فاضح على الحركة .

د - وفي تولية من لا ينبغي أن يولى مصادمة لنصوص كثيرة وردت ، من ذلك :

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :«من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»(١).

٢ - عن يزيد بن أبى سفيان قال : قال لي أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - حين بعثنى إلى الشام ، :«يا يزيد إنّ لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ «من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فأمّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»(٢).

هـ - وليعلم الجميع أن البيعة المبنية على المنفعة باطلة ، البيعة مقابل الإمرة باطلة وقد رفضها الرسول ﷺ من قبل :

«جاء في تهذيب سيرة ابن هشام : وأنه (أي الرسول ﷺ) أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عزوجل وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له : «بحيرة بن فراس» والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ! ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟لا

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

حاجة لنا بأمرك ! فأبوا عليه»[1].

ومــا ينتظر هــؤلاء من أمراء المنفعــة فى الآخرة من العــذاب والخزي ما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ بقوله : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم : رجل على فضل مـاء بـالفلاة يمنعـه من ابن السبيل ، ورجل بـايع رجـلاً سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكـذا وكـذا فصـدقـه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فـإن أعطـاه منهـا وفى إن لم يعطه منها لم يف»[2].

وأن اختيـار الأمير كان يتم بمـوافقـة الخليفـة ، جـاء في كتــاب «العصبية القبلية» :

و ـ «الإسلام لم يعدّ إختيار سيد القبيلة منوطاً بالقبيلة نفسهـا فحسب بل بالدولة أيضا فلابـد من موافقـة الخليفـة أو الوالي على الشخص الـذي تختاره القبيلة سيداً لها وفى أحيان كثيرة كانت الدولـة هي التي تتولى اختيار رؤساء القبائل الذين أصبحوا أشبه بموظفين في خدمتها»[3]

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص (١٠٥ ـ ١٠٦)

(٢) متفق عليه رياض الصالحين ج٢ ص١٨٢٧

(٣) العصبية القبلية ص١٨٢

الجهـاد

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

القتال فريضة كفريضة الصلاة والصيام ، ومن أعداءالله من لا يفقهون إلا لغة القتل والقتال وقد شرع الله تعالى الجهاد إعلاءً واستعلاءً إعلاءً لكلمة الله سبحانه ، واستعلاءً للمؤمن على ركام الأرض .

فما الجهاد ؟ ولماذا تركت أمتنا الجهاد ؟ وما سمات المجاهدين ؟ وما الذي نحذره في جهادنا ؟

أما الجهاد : لغة : بذل الإنسان جهده وطاقته.

اصطلاحاً : هو الإعلاء لكلمة الله تعالى والتمكين لدينه في الأرض .

١ ـ الجهاد أفضل عمل يتقرب به العبد لربه لحديث ابى ذر قال قلت : يا رسول الله : أي العمل أفضل ؟ قال :«الإيمان بالله والجهاد في سبيله»[2].

٢ ـ والرهبنة والاعتزال وترك الكفر يجول ويصول أمر لا يقره إسلامنا للحديث : «مرّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله فقال :«لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة»[3]. والفواق : هو ما بين

---

(١) البقرة : (٢١٦) .

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

الحلبتين .

٣ ـ البعيد من الجهاد قريب من النفاق للحديث : «من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»[(١)].

٤ ـ باب الجهاد باب مفتوح الى الجنة للحديث : «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[(٢)].

«وكتب ابن المبارك رضى الله عنه الى الفضيل بن عياض رضى الله عنه من ساحات الجهاد بطرسوس والفضيل في رحاب البيت الحرام مقيم يقول له في سنة سبعين ومائة:

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا	لعلمت أنكّ بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في	أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

فما زاد الفضيل إلا أن بكى وقال : صدق ابو عبدالرحمن و نصحني»[(٣)]

وأما لماذا الجهاد ؟ ـ فلا بد من الجهاد :

١ ـ لأن إسلامنا إعلان لتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، والمسلم مأمور بتبليغ دعوة الله الى الناس كل الناس ، وأي قوة تقف عقبة دون وصول هذا النور يجب أن تزال بالجهاد قال تعالى : «وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) مختصر ابن كثير مجلد ١ ص٣٥٣ .

تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ»[1]

٢ ـ لأن الجهاد هو المحك الذي يتميز من خلاله الصادق من الكاذب ، ومن جاء لآخرة ومن جاء لدنيا ، وهذا الذي جعل الصف المسلم على عهد رسول الله ﷺ متميزاً واضحاً ، لاغبش فيه ، فلا يرقى الأدعياء ولا صنّاع الكلام إلى درجة التوجيه والمسئولية قال تعالى : ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2] قال ابن كثير عن قتادة :«أي يختبرون بالغزو في السنة مرة أومرتين»[3] وفقدان الجهاد ، وبُعْد الصف المسلم عنه ، أفقد الصف المسلم صفاءه ، ووضوحه ، وتميزه ، وأصبح فيه من ليس أهلاً بل هو سبة على الإسلام وأهله ، وارتقاء الجبناء بعث للجبن والخور ، ولكن كل هذا يحاط بالمبررات الشرعية ، ومصلحة الإسلام ، والحكمة التى لا يعلمها أحد سواهم.

وأما لماذا تركت أمتنا الجهاد ؟

١ ـ فإن منزلة الجهاد لا يرقى إليها إلا من عظمت الآخرة في قلوبهم وهانت الدنيا في أعينهم أما والحال قد انقلب ، فعظمت الدنيا وهانت الآخرة في القلوب ، وأصبح الحرص على الحياة أي حياة مهما كانت . وذلك هو الوهن وهو حب الحياة وكراهية الموت ، الداء الذي انتشر فى الأمة فأفقدها رجولتها ، وغيرتها ، ورغبتها إلى معالي الأمور وفي الحديث : «اذا تبايعتم بالعينة (اشتغلتم بالبيع والشراء وقيل نوع من البيوع المنهي عنها) وأخذتم اذناب البقر (أي اشتغلتم بالرعي والحرث والأعمال التجارية) ورضيتم بالزرع ، وتركتم جهادكم ، سلط الله عليكم ذلاً (ضعفاً وامتهاناً)

---

(١) البقرة : (١٩٣) .

(٢) التوبة : (١٢٦) .

(٣) مختصر ابن كثير مجلد ٢ ص١٨٠ .

لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[1] وهذا الذي حذر منه عمرو بن العاص في قوله عند ما سأله رجل : من المرتد على عقبه فقال :«رجل أسلم فحسن إسلامه وهاجر فحسنت هجرته ، وجاهد فحسن جهاده ثم مضى إلى أرض يزرعها وترك جهاده فذلك هوالمرتد على عقبه» .

وكثيرون هم الذين لا يفهمون أن الجهاد والصبر على تكاليف الطريق لا يعرف عمراً ولا حالاً .

٢ ـ ميوعة الصف المسلم وانطفاء جذوة الجهاد فيه ، حيث أصبح الكثيرون يخضعون منهج الله لأهوائهم ، فيأخذ كلٌ منه ما يناسب هواه ويدع ما لايناسبه كأَنْ يأخذ الصلاة وقراءة القرآن ويدع الجهاد والإنفاق والدعوة إلى الله . وصدق الله العظيم . ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

٣ ـ لأن أعداء الله استطاعوا أن يفقدوا الانسان المسلم في واقعنا الاحساس بأنه إنسان له كرامة وحقوق ، وينبغي أن يحافظ عليها . لقد أصبح المسلم فى واقعنا يتمنى أن يحظى بالاهتمام الذي كان يحظى به الحيوان في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اذ يقول:«والله لو عثرت بغلة فى أرض العراق لخشيت أن يسأل الله عنها ابن الخطاب لِمَ لَمْ يُعَبّد لها الطريق؟».

والشاعر يقول :

مرّ القطيع بأرض طاب منهلها ... وعشبها فاستقي من مائها ورعى

فصاح راعيه هيا يا قطيع بنا ننجو ... من الذئب إن الذئب قد طلعا

قال القطيع له:ما الفرق بينكما ... كلاكما يبتغى من لحمنا شبعا

---

(١) رواه أبوداود .

(٢) البقرة : (٨٥) .

وأما سمات المجاهدين :

١ - أنهم يحتسبون جهادهم لله تعالى ، فليسوا طلاب دنيا ولا يحرصون على منصب ، لذا كان الرسول ﷺ اذا مرّ (بآل ياسر) وهم يعذبون فلا يعدهم بجاه ولا انتصار وإنما يقول لهم :«صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» تعليق القلوب بالجنة أمانٌ لها من الملل واليأس والقلق والانتكاس والردة فيما إذا تعلقت بغاية قريبة وهدف عاجل قد يطول الوقت لتحققه ، وهذا توجيه الله لرسوله ﷺ في قوله :« وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ»(١).

٢ - والمجاهدون الصادقون ليسوا هواة تغيير من باطل إلى باطل ، ومن ضياع إلى ضياع ومن طاغوت يهودي إلى طاغوت عربي ، وإنما هم آخذون بقول الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾(٢).

٣ - والمجاهدون الصادقون لا يتنازعون على المناصب ، ويتنافسون على الرئاسات لأنهم يعلمون أن الأمر تكليف لا تشريف ، فالبناء واحد ، والغاية واحدة فلم النزاع ؟ ولم الدسائس لإزاحة أخوانك والساحة تتسع للجميع؟ وما أمامنا من عمل يحتاج إلى أضعاف، أضعاف، أضعاف ما عندنا من إمكانيات ، فكيف والموجود متمزق ، تحكمه الفرقة والشتات ، أين هذا العبث واللعب من الدور العظيم الذي ينبغي أن نتحسس ثقله وتبعاته ومسؤلياته مما يستلزم ضم كل الطاقات والجهود تحت شعار العالمية وإحياء دار الأرقم من جديد، فلا صلاح لنا إلا بما صلح به أولنا، وإلا فهو الاستبدال ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾(٣)، وكم كان موقف أبو عبيدة من عمرو بن العاص في غزوة (ذات السلاسل) كريماً ومثلاً يقتدي به ،«حيث بعث رسول الله

---

(١) الرعد (٤٠)

(٢) البقرة ، (١٩١)

(٣) محمد : (٣٨)

ﷺ أبا عبيدة مدداً (لعمرو) ولنجدته وقال له (لاتختلفا) فلما وصل أبوعبيدة قال له عمرو: إنما جئتَ مدداً لي فأنا أميرك فقال له أبوعبيدة: ياعمرو أن رسول الله ﷺ قال لي لا تختلفا وأنك إن عصيتني أطعتك»[1] بهذا الفهم الكريم انتصر سلفنا ، ولا نصر إلا بمثل هذا الفهم الكريم وإلا فهي المهزلة وشماتة أعداء الله بنا .

وأما الذي نحذره في جهادنا ؟

١ ـ نحذر أن نكون أداة تنفيذية للعبة يهودية أو نصرانية ، والدخول ضمن دائرة السياسات الدولية ، والمعادلات الصعبة ، والمسرحيات التى يراد بها تلميع وجوه منكرة ، وطمس وجوه أخرى احترقت أوراقها قول النبي ﷺ (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى أنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن غيرهم»[2].

٢ ـ نحذر أن يكون ثمرة جهادنا لقمة سائغة ، سهلة لأعداء الله ، يجنون ثمار جهادنا بعد أن يركبوا الموجة فى آخرها وتأمل معي ، من الذي أخرج المستعمر من ديارنا ، (الاستعمار الانجليزي والفرنسي والإيطالي) أليست هي حركات إسلامية القائمون عليها هم من الشيوخ والعلماء كعمر المختار ، وعبد القادر الجزائرى غيرهما. ثم كانت ثمرة الجهاد لأعداء الله، حيث البديل والوكيل عن المستعمر ممن خلفوا المستعمر في استعمار بلادنا ولعلّ هذا الدرس مازالت الأمة تجد الصعوبة البالغة في فهمه والاحتياط له وفي حديث حذيفة بن اليمان وهو يسأل رسول الله ﷺ (وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» قال صفهم لنا يارسول الله : قال «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»[3].

---

(١) فقه السيرة ص٤٠٢ للغزالى

(٢) متفق عليه

(٣) رواه أحمد في مسنده

الطــاعة

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]

إن لله سنناً في الأمم والأفراد فيما يتصل بهلاكهم أو عافيتهم ، فمن شاء أن يُرحم سواء كان أمة أو فرداً فعليه بطاعة الله ورسوله .

فما الطاعة ؟ ولمن تكون ؟ وما أنواعها ؟ وما موقف المسلم منها ؟

أما الطاعة : فهي ضد المعصية ومعناها الانقياد والاستسلام والخضوع .

وأما لمن تكون ؟

١ ـ فالأصل أن تكون الطاعة لله وللرسول قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[2].

٢ ـ وطاعة الرسول هي طاعة الله تعالى قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3] ذلك لأن القرآن وحي الله إلى رسوله لفظاً ومعنى ، والحديث : «هو وحي الله إلى رسوله معنى واللفظ لرسول الله وصدق الله العظيم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[4].

٣ ـ طاعة الله والرسول فيها الخير والبركة والسداد والنصر ، عندما ارتدت القبائل عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ، وقد عقد اللواء لأسامة بن زيد أن يتوجه إلى الشام قبل وفاته ... وقف الصحابة معارضين إصرار (أبي بكر) على بعث جيش (أسامة) خوفاً على المدينة أن تستباح من قبل

(١) آل عمران : (١٣٢)

(٢) الأحزاب : (٣٦)

(٣) آل عمران : (٣١)

(٤) النجم : (٣ ـ ٤)

المرتـدين إذا خرج الجيش فقــال أبـو بكر رضى الله عنــه :«والله لـو جرت الكلاب بأقدام أمهات المؤمنين مـا حللت لواءً عقـده رسول الله ﷺ» الله اكبر كلمـات تكتب بمـاء الذهب!! ولا يعلم أجرهــا إلا الله ، وألقى الله الرعب في قلـوب المرتـدين حيث قـالـوا :«ماكان ليبعث جيش (أسـامـة) لأطراف الشـام إلا ولـه في المـدينـة من يـدافـع عنهـا» قسْ هـذا الـوفــاء السامق، والاتباع المطلق ، من يتحذلق بما هو تافـه إذا مـا قيس بـالوضع الأمنى الذي كانت تعيشه المدينة في ذلك الوقت فيجدون لأنفسهم الحق في الخروج على أمر الله ورسـولـه بـإحـداث صـور من الإنحراف تحت ستــار المصلحة ، والقياس الفاسد .

٤ ـ ومعصية الله والرسول فيهـا الانكسـار والهزيمـة والخـذلان ، وعندما أمر رسول الله الرمـاة في غزوة أُحُـد أن يحفظـوا ويلـزمـوا أمـاكنهم ولـو رأوا الطير تتخطف المسلمين . وينتصر المسلمون في أول المعركة ويتنادى الرمـاة (الغنـائم الغنـائم) فيتركوا موقعهم ، وبحركـة التفـاف يقـوم بهـا خـالـد بن الـوليــد وكان كافراً ، فينفرط عقــد المسلمين وكان درســاً عمليــاً صعبــاً يتنـاسب مـع عظم الحقيقـة التى أراد الله لأُمـة الحـق أن تتربىٰ عليهــا أن الطاعة لله والرسول فيها النصر ، وأن المعصيـة لله والرسول فيهـا الهزيمـة ، ولو انتصر المسلمون على مـا فعلوه ،لمـا كانت لهم بعـد ذلـك طـاعـة حيث يقولون : عصينا فانتصرنا وصدق الله العظيم (إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ) (١).

وأما أنواعها ؟ فينبغي أن نعلم أن للطاعة مفهومان :

أ ـ **مفهوم جاهلي** : لا نعرفه في إسلامنا وهي الطاعـة العميـاء ، بلا ضوابط ولا أصـول نعـود إليهـا من كتـاب وسنـة وإجمـاع وقيـاس ، وهـذا المفهـوم للطاعة مرفوض .

---

(١) محمد : (٧)

ب ـ **مفهوم إسلامي** : وهى الطاعة المبصرة ، الواعية ، المدركة ، التي تحكمها الضوابط الشرعية لا الأهواء ، والأصول لا آراء الرجال وصدق الله العظيم (قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى)[1].

١ ـ طاعة ولى الأمر : ولها ضوابط في إسلامنا :

أ- أن يكون حريصاً على أمر الله وإقامة منهجه، ولا عبرة للون أو الجنسية للحديث «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله»[2].

ب ـ الطاعة في المعصية لا تجوز : بعث رسول الله سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار ، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا لي حطباً ،ثم دعا بنار فأضرمها فيه ثم قال : عزمت عليكم لتدخلنها فقال لهم شاب منهم : إنما فررتم إلى رسول الله من النار . فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، فرجعوا إلى رسول الله فأخبروه فقال لهم (لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعة في المعروف)[3].

جـ ـ الأمة تقوم بواجب التقويم لاعوجاج ولي الأمر : ورحم الله أبابكر الصديق رضى الله في أول خطبة له بعد توليه خلافة المسلمين فهو يقول: «إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني» ويقوم إعرابي يقول لعمر رضى الله عنه «والله لو رأينا فيك إعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا» فليس إسلامنا أفيوناً للشعوب ، ولاجماً لها عن قولة الحق ، وفينا رسول الله يقول «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[4] .

---

(١) يوسف : (١٠٨)

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه أحمد

(٤) رواه أبوداود والترمذي

عدل : أي حق ، جائر : أي ظالم .

٢ ـ طاعة المرأة زوجها : ولها ضوابط في إسلامنا :

أ ـ **أن الطاعة في المعروف** : وينبغي على المرأة المسلمة أن تعلم إن الزوج المسلم بابها إلى الجنة للحديث «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»[١] فلا تمتنع عنه إذا دعاها إلى الفراش للحديث : «اذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[٢]. لما في الإمتناع من فتح لأبواب الغواية ووساوس الشيطان . ولا تخرج إلا بأذنه للحديث « إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع» [٣] ولاتصوم تطوعا إلا بإذنه للحديث : «لايحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد (أي حاضر) إلا بإذنه ولا تأذن في بيته (بدخول أحد أو بتصدق أو بيع شيء وهكذا) إلا بإذنه»[٤].

ب ـ **أما الطاعة في المعصية فلا تجوز** : فإذا ابتليت المرأة المسلمة بزوج خليع بأمرها بخلع الحجاب أو ترك الصلاة أوحضور المجالس المختلطة أو عدم الذهاب لأداء فريضة الحج فطاعة الزوج معصية لله تعالى . وفي كتب الفقه (يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها في الخروج إلى الحج الفرض ، فإن أذن لها خرجت وإن لم يأذن لها خرجت بغير إذنه ، لأنه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة لأنها عبادة وجبت عليها ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، كما لها أن تصلي أول الوقت ،وليس له منعها وأما حج التطوع أو صيام التطوع فله منعها منه لأن حقه مقدم

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن

(٢) متفق عليه

(٣) رواه الطبراني فى الأوسط

(٤) رواه البخاري

على التطوع والنافلة)[1]

ومن التربية المعوجة التى أثمرتها أمهات لاهيات وآباءً منشغلون بكل شيء إلا تربية أبنائهم ، أثمرت لنا جيلاً من النساء لا يصلحن أن يكنّ زوجات فضلاً على أن يكنّ أمهات -إلا مارحم ربي- ، فالبنت تتعلم كل شيء إلا شيئاً واحداً وهو تعظيم حق الزوج ، وانقلبت الموازين وأصبح الرجل هو الذي ينبغي أن يحرص على رضى الزوجة وتلبية طلبها ، وأصبحت البنت لا تفكر بأن تخدم زوجها وأن تقوم على رعايته بل تفكر أو يفكر أهلها في فرض الشروط من وجود الخادمة والمربية ، يضاف إلى ذلك فساد في الدين أثمرت القسوة وانعدمت الإنوثة والأمومة فلا تكاد تحس بلمسة حنان أو كلمة استحسان حتى أصبحت نسبة الطلاق تصل إلى ٤٠٪ ولا تتجاوز الحياة الزوجية غالباً الخمس سنين وأصبحت البيوتات جحيماً لا يطاق .

عندما جاء وفد النساء إلى النبي ﷺ يطلبن الجهاد والإذن في دخول ساحات المعارك لنيل الأجر العظيم الذي أعده الله للمجاهدين : قال لهم النبي ﷺ «طاعة المرأة زوجها يعدل ذلك وقليلٌ منكن فاعله»[2].

٣ ـ طاعة الوالدين : ولها ضوابط :

أ ـ بأن تكون مقيدة بطاعة الله ورسوله ، سعد بن أبي وقاص كان من أبرِّ الناس بأمه ، أسلم فأقسمت أمه ألا تذوق طعاماً ولا شراباً ولا تستظل بظل حتى يرجع فذهب سعد إلى رسول الله ﷺ وذكر له قسم أمه وبره بها فأنزل الله تعالى قوله ﴿إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ فذهب سعد إلى أمه وقال : يا أماه لو كانت لك مائة روح تخرج الواحدة بعد الاخرى ما رجعت عن ديني فلما رأت عزمه رجعت عن قسمها»

ب ـ وطاعة الوالدين مقدمة على طاعة الزوجة : للحديث : «عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقاً على

(١) فقه السنة ج١ ص٥٣٦ بزيادة وتوضيح
(٢) رواه البزار

المرأة؟ قال: زوجها : قلت : فأي الناس أعظم حقاً على الرجل قال: أمه»[(١)].

جـ- ومن علامات الساعة أغضاب الوالدين لأجل زوجة أو صديق للحديث : «اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء، وذكر: وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وأدنى صديقه واجفى أباه»

وأما موقف المسلم من الطاعة :

١ - أن نعلم إن الأصحاب تربوا على مبدأ التلقي للتنفيذ يقول ابن مسعود : «ماكنا نحفظ الا الخمس والعشر كآيات لا نتجاوزها حتى نعمل بها»

٢ - طاعتنا مطلقة مهما تغيرت الأهوال وتبدلت الظروف وعلى ذلك بايع الأصحاب رسول الله ﷺ يقول عبادة بن الصامت :«بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرةٍ علينا»[(٢)]، وللحديث «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره»[(٣)]

٣ - والطاعة في إسلامنا مبصرة وليست عمياء وعند الفتن أسقط الأشخاص وارجع إلى الأصول يقول عمر رضى الله عنه : تعرف إلى الرجال بالحق ولا تتعرف إلى الحق بالرجال».

---

(١) رواه البزار والحاكم وإسناد البزار حسن .

(٢) رواه البخاري

(٣) أخرجه مسلم .

الحضارة

قال الله تعالى ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1] . مقالة هود عليه السلام لقومه عاد وهو يدعوهم إلى طاعة الله سبحانه وينهاهم أن يتكبروا بسبب حضارتهم في البناء المحكم وقوتهم .

فما الحضارة؟ وهل للغرب حضارة ؟ وما السبيل إلى الحضارة الإسلامية ؟

١ ـ الحضارة بمفهومنا الإسلامي: هو أن تكون الحاكمية في المجتمع لله تعالى رب العالمين ، إله واحد يتوجه الجميع إليه ، ومنهج واحد يحكم الجميع هو الإسلام.

٢ ـ وأما التقدم الصناعي أو العمراني فلا يسمى في الإسلام حضارة وقد أخبر الله تعالى عن مجتمعات جاهلية كانت على مستوى رفيع في البناء والتصنيع فقال سبحانه «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ»[2] فقبيلة عاد لم يخلق مثل بلدتهم في زمنهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم .

٣ ـ والتقدم المادي تيسير للإنسان في عمله وحركته ولا يشفع لصانعه إذا كان كافراً : سأل رسول الله ﷺ عن ابن جدعان كان يطعم ويصل الرحم فهل ذلك نافعه ؟ فقال لا ينفعه إنه لم يقل يوماً ربي أغفر لي خطيئتي يوم الدين ، وقوله ﷺ لابنة حاتم الطائى :«لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه»[3].

---

(١) الشعراء : (١٢٨ ـ ١٣١)

(٢) الفجر :(٦ ـ ٨)

(٣) البداية والنهاية ج٢ ص٥٧

أما هل للغرب حضارة : نقول إن الغرب ليس له حضارة بمفهومنا الإسلامي لأسباب أهمها :-

أ - يحتكم إلى غير منهج الله عز وجل :«من رأسمالية أو شيوعية». والله يقول ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ المائدة (٥٠) .

فالرأسمالية تسحق المجموع لأجل الفرد والشيوعية تسحق الفرد لأجل المجموع وكلاهما مصادم للفطرة .

ب -لأن الغرب لا خلق له ولا دين يقيد حركته ويوجهها توجيهاً في الحق وسلام الإنسان : والشبه بينهم وبين قبيلة عاد كبير ، فقد أخبر الرسول ﷺ :«كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم ».أخرجه ابن أبي حاتم مرفوعاً . والغرب أيضاً في تفجيره للقنبله الذرية وقذفها على هيروشيما ونكازاكي وما زالت آثارها المدمرة شاهد حي على حيوانية الغرب وهمجيته.

جـ - لأن تجمعه تجمع قطيعي على أساس من اللون أو الجنس أو الأرض وهكذا البهائم في تمايزها لا تجتمع إلا مع بنى جنسها ، أما إسلامنا فليس فيه فضل لصاحب لونّ على لون للحديث «اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي ما أقام فيكم كتاب الله»[1] ولا فضل لصاحب جنسية على غيره لأن أول لبنة بناها رسول الله ﷺ كانت تتكون من أبيبكر القرشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي جنسيات متعددة جمعتهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

د - ولأنه مجتمع لا يعترف بالأسرة قاعدة للمجتمع وإنما يقوم على العلاقات الجنسية المحرمة والنسل الغير الشرعي : ففي أمريكا يولد ربع مليون طفل غير شرعي سنويا ، وقد كتب تقرير عن نسبة الطلاق هناك أنه كلما دار عقرب الساعة ثانية هوى بيت أمريكي وفي كل يوم كان القضاء يمنع ألف حكم بالطلاق. أما في إسلامنا فأساس العلاقة بين الرجل وزوجته الرحمة والمودة ، قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

(١) البخاري

﴿ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] مودة في بداية الزواج حيث الشهوة والرغبة ورحمة إذا كثر العيال وبردت الشهوة وكبراً في السن كانت الرحمة بها من أن يتركها .

«جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه يقول : أريد أن أطلق زوجتي ، قال : لم . قال : لا أحبها فقال له : وهل تبني البيوت إلا على الحب فأين الرعاية وأين التذمم (أي الرعاية لهم والرحمة) بهم وأين الغيرة من أن يضيعوا بعدك وقد لعن رسول الله ﷺ كل ذواق مطلاق»[2] من يتزوج مرات لا تعنيه الا شهوته ولا يفكر في ابتناء أسرة أو تربية ولد .

وأما السبيل إلى الحضارة الإسلامية :

١ - أن نعود إلى إسلامنا فلا عزة لنا إلا به ، قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[3] أى إذا أردتم أن يكون لكم ذكر بين الأمم فالزموا كتاب الله تعالى واعملوا به يقول عمر رضي الله عنه :«أيها العرب لقد أعزكم الله بالإسلام فمها تطلبوا العزة في غيره يذلكم الله» .

ويقول العلامة ابن خلدون رحمه الله : العرب أمة همجية ولا يسوسها ولا يهذبها إلا الدين ، ومن اليوم الذي تحطمت فيه الخلافة العثمانية الإسلامية على أيدي أعداء الله وعلى أيدي المسلمين من المخدوعين بوعود اليهود والنصارى المتكالبين على الدنيا سنة ١٩٢٣هـ إلى وقتنا هذا وأمتنا تعيش الهوان بعد الهوان. من تسلط الشطار والمغامرين على مقاعد التوجيه والعبث بهذه الأمة المنكوبة وقتل خيارها وتقريب العاهرين وإغداق الأموال على كل باب عهر ودعارة وخنا ، حتى يقول أحدهم : «العرب صراصير متى شئنا دسناهم بأقدامنا».

٢ - أن نستقل بشخصيتنا الإسلامية فلا تقليد ولا تبعية في المظهر والمخبر والاقتصاد والسياسة قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن

---

(١) الروم : (٢١)

(٢) فقه السنة ج٢ ص٢٠٧

(٣) الزخرف : (٤٤)

دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[1] .

٣ - أن نحيي فريضة الجهاد الغائبة عن واقعنا حتى يعلم أعداء الله أننا امتداد لذلك السلف الذين أذلوا الكفر وأهله،ولم يرفع يهودي ولا نصراني رأسه متجبراً طوال حكمهم ، إلا في عصرنا الأسود الذليل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) آل عمران : (١١٨)

الجاهلية

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(١).

لا أحد أحسن من الله حكماً ومنهجاً، لأن المنهج يأخذ صفة واضعه، ومن صفات الله تعالى العلم المطلق .

فما الجاهلية ؟ وأيها أشد؟جاهليتنا أم الجاهلية التي عاصرها المصطفى ﷺ ؟ وكيف ينبغي أن تواجه ؟

أما الجاهلية لغة : فهي مأخوذة من الجهل وهو ضد العلم .

واصطلاحا : هو أنْ تكون الحاكمية لغير منهج الله عز وجل .

وينبغي أن تعلم :-

١ - أن الفرد إذا إنحرف عن منهج الله سبحانه فهو فرد جاهلي ، وأن المجتمع إذا إنحرف عن منهج الله سبحانه فهو مجتمع جاهلي .

٢ - والجاهلية على نوعين :

(١) جاهلية الاعتقاد

(٢) وجاهلية السلوك

أ - **وجاهلية الاعتقاد معناها :** الكفر كإنكار العبد أو المجتمع ما هو معلوم من الدين بالضرورة كوجود الله ، أو الملائكة أو الرسل ، أو اليوم الآخر وما فيه من حشر وحساب وجنة ونار . أو أن يستحِلّ ما حرَّم الله من خمر وربا وزنا ، أو أن يحرِّم ما أَحلَّ الله وفرضه كالجهاد والدعوة والحجاب .

---

(١) المائدة : (٥٠)

ب ـ **وجاهلية السلوك** : معناها أن يصدر من العبد سلوك مخالف لمنهج الله سبحانه وتعالى، مشابه لمسلك أهل الكفر من غير استباحة للفعل، وعندما سبّ أبوذر الغفاري بلالاً الحبشي وعيرّه بأمه وقال : يا ابن السوداء سمع بذلك رسول الله ﷺ فقال : «يا أباذر ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل وإنك امرؤ فيك جاهلية »(1) فالجاهلية هنا جاهلية سلوك لا تخرج العبد من الملة إلا إذا استحل الفعل وأنكر التحريم وسخر بأمر الله فعند ذلك يتحول العبد من جاهلية السلوك الى جاهلية الاعتقاد والعياذ بالله .

٣ ـ والمجتمع المسلم له سمات ثلاث لابدّ منها لتحقيق وصف الإسلام فيه وهي :ـ

أ ـ عبودية لله وحده ، فلا يكون الفرد أو المجتمع مسلماً حتى يعتقد وحدانية الله سبحانه قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾(2).

ب ـ إفراد الله وحده بالشعائر التعبدية قال تعالى :﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾(3).

جـ ـ التلقي عن الله وحده الشرائع القانونية بالمنهج الذي بلغنا عن رسول الله ﷺ قال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾(4)

٤ ـ وعلى هذا فتسمية مجتمعاتنا المعاصرة ، بالمجتمعات الجاهلية لسببين :

الأول ـ لانها فقدت سمة التلقي عن الله وحده في الشرائع القانونية ، ونعني بها أن تكون الحاكمية لله وحده ، فأمتنا محكومة بمناهج بشربة ، وفي ذلك فقدان لسمة عظيمة للمجتمع المسلم.

الثاني ـ لأنها تسلك مسلك الجاهلية في الكثير من مجالات التفكير والسلوك

---

(1) رواه أحمد

(2) النحل : (٥١)

(3) الانعام : (١٦٢)

(4) الحشر : (٧)

والتعامل وعدم الالتزام بمنهج الله سبحانه ، مما يجعل مجتمعاتنا مثلاً سيئا لمن يربط بين الإسلام والمسلمين . والواقع أن الإسلام شيء والمسلمون شيء آخر ، والإسلام ليس مسئولاً عن الصورة القائمة الموجودة وإنما هى مسئولية الذين لم يأخذوا منهج الله بالجدية ، والتطبيق العملي ، والواقعية،ولكن مازال فى الأمة خير كثير ، حيث توحيد الله تعالى ، وإفراده بالشعائر التعبدية ، وبوادر صحوة ورجعة إلى الله . نسأل الله حفظها من كيد الكائدين .

وأما أيها أشد جاهليتنا المعاصرة أم الجاهلية التي عاصرها المصطفى ﷺ ؟

فنقول : إن جاهليتنا المعاصرة أشد من خلال استقرائنا للأحداث ونظرنا في الكتاب والسنة في شتى المجالات وجوانب الحياة .

١ ـ ففي الجانب الفكري : ترى أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يواجهون جاهلية ساذجة فلم تكن العقبة إلا تلك الأصنام والحجارة ، وكانت مهمة المصطفى ﷺ وأصحابه بيان أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر إنما النافع الضار هو الله تعالى وحده ، لا شريك له قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

أما في جاهلية القرن العشرين فقد لبس الكفر فيها ثوب العلم ، وأتى على صور نظريات ودراسات ومناهج بَدَلَ الأصنام والحجارة ، أغرت الكثير من أبنائنا وأمتنا بالكفر عندما دسوا السم في العسل ، فأصبحت أمة الحق في الكثير من أبنائها لا تجد تعظيماً وتصديقاً لقال الله ، وقال رسول الله ، ولكنها تجد التعظيم كل التعظيم ، والتسليم المطلق بلا حدود لأي كلمة جاهلية كاذبة مدمرة قالها يهودي أو نصراني من الشرق أو الغرب .

٢ ـ وفى الجانب الأخلاقي : فالمتأمل في كتاب الله تعالى يقرأ قول الله سبحانه

(١) الأنعام : (١٧) .

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] وإذا عدت إلى كتب التفسير لترى التبرج والتعري المنهي عنه رايت قول مجاهد في بيانه للتبرج الجاهلي فيقول : التبرج «أن تسير المرأة بين الرجال» وقال مقاتل : تبرج الجاهلية الأولى هو (أن تضع المرأة الخمار على رأسها ولا تشده» [2]

وفي جاهليتنا أصبح للعري خبراء ومتخصصون ومجلات ودعوة إلى نبذ الحجاب ، بل يصدر قانون وفي بلد إسلامي يمنع المرأة المتحجبة من دخول الجامعة ، وفي بلدٍ آخر يمنع المرأة المنقبة من دخول الجامعة .

ثم تأمل قول الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد وهو يصف نخوة الجاهلي وعفته فيقول :

أغض الطرف إن بدت لي جارتي　　حتى يواري جارتي مأواها

عنترة الجاهلي يعفّ عن النظر إلى جارته إن هي بدت حتى تتوارى في بيتها. وفى أمتنا بلغ استهتار جيل المستقبل المظلم - حداً من الجرأة بل الوضاعة أن يعيش ليله ونهاره بحثاً عن النظرة الحرام، واللمسة الحرام، والمتعة الحرام، ثم تأمل أيضاً في بيعة الرسول ﷺ للنساء بعد فتح مكة ، وكان مما بايع الرسول النساء (على ألا يسرقن ولا يزنين) فقالت هند بنت عتبة وقد غطت وجهها حياءً :«أوتزنى الحرة يا رسول الله» امرأة تنتقل من الجاهلية إلى الاسلام ، وتستغرب أن يبايعها الرسول ﷺ على أمر لا تفعله الحرة أبداً .

بل بلغ من حرص العرب في الجاهلية وفي بعض قبائلها أنهم يعمدون إلى قتل البنات وهنّ أحياء مخافة العار ، العار من أن تقع أسيرة بيد الأعداء فينالون من شرفها . وفي جاهليتنا المعاصرة تجد العجب العجاب فنذكر أمرين فقط .

أ مادة في القانون المعمول به في ديار الإسلام فيها البيان للوسيلة الناجحة للزنا لمن أرادت بأن تكون بالغة وأن تكون راضية ، وعند

---

(١) الأحزاب : (٣٣) .

(٢) مختصر ابن كثير مجلد٣ ، ص٩٤ .

ذلـك لا تعـاقب المرأة إذا زنت ولا الزاني . بل في قـوانينـا مـادة أن المرأة المتزوجـة إذا زنت ولم يرفع الزوج بـذلـك دعوى ، وتنـازل عن حقـه ، لم توقع على الزوجة عقوبة ، (مواد أُتِيَّ بها من بلاد العهر فرنسا) .

والله لـو كان ـ أبـو جهـل ـ حيـاً لاستنكف ، واحتقر واستهجن هـذا الكلام !

ب ـ ثم الأمر الثاني وهو الزنـا بـالمحـارم ، أمر لم تفعلـه الجـاهليـة ، بل لم يخطر على بـالهـا أن تفعلـه وفى واقعنـا من الأحـداث التي يشيب من معرفتهـا الوليد لو عقل ، قبل أيام نشرت احدى الجرائـد عن أب يضـاجع ابنتـه ، وقبل ذلك خال يضاجع ابنـة أختـه ، وفي كتـاب من غريب مـا سـألونى للمرحوم عبد الله النوري ـ عن زوجة أب شـابـة تراود ولـد زوجهـا عن نفسه حتى تغريه بالمضاجعة والمعاشرة، وابن يفعل بأمـه الفـاحشـة ، ولكن صدق قول المصطفى ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعـاً بـذراعٍ حتى أنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قـالوا اليهود والنصـارى ؟ قـال فمن غيرهم »[1]

وفى روايـة «حتى لـو كان فيهم من أتى أمـه لكان في أمتى من يفعـل ذلك»[2]

٣ ـ وفي الجانب الاجتماعي : وما يكون في الناس من رحمة ، وإحسـان ونصرة للضعيف وعونٍ للمظلوم .

وتأمل معى ما كان عليه الناس في الجاهليـة الأولى : قبـائل من قريش تداعت فتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلومـاً من أهلهـا أو من غيرهم من سائر النـاس إلا قـاموا معـه ، وكانوا على من ظلمـه حتى ترد مظلمتـه فسمت قريش ذلك الحلف ، حلف الفضول ، فشهده رسول الله وقال حين أرسله الله تعالى :«لقد شهدت مع عمومتى حلفا في دار عبدالله بن جدعـان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»[3]

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) فقه السيرة ص٧٥ .

وفي الجاهلية التى نعاصرها صار للظلم سلطان وجاه ونفوذ ، يحال بين المرء وزوجه ، وتقطع أرزاق العباد ، ويحمل الإنسان ما لا يطيق ، فلا تستطيع أن ترد عن نفسك شيئاً أبداً والمتأمل في قولة عمر رضي الله عنه: «والله لو عثرت بغلة فى أرض العراق لخشيت أن يسأل الله عنها ابن الخطاب لِمَ لَمْ يعبّد لها الطريق؟» عمر رضى الله عنه يستشعر مسئوليته تجاه الحيوان فى أمة محمد ﷺ ، ونحن نتمنى أن يكون لنا من الاهتمام ما كان للحيوان زمن عمر رضي الله عنه ، ولكن الخير لا ينقطع فى أمة محمد ﷺ ، ولو خلت لانقلبت كما يقال ، فجزي الله بالخير كل من كان سبباً في قضاء حاجة مسلم ، ونصرة مظلوم ، وعون ضعيف

٤ ـ جاهليتنا أشد لأن الكيد الذي تعرض له الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه سواء كان كيداً فردياً أوجماعياً لا يبلغ أبداً ما وصل إليه كيد أعداء الله في جاهليتنا، حيث توضع الدراسات من علماء في فن الإجرام والرذيلة لإبعاد الإسلام وإقصائه بل تدميره بإبادة دعاته وحملته، حيث أبشع أنواع التعذيب والإذلال لأفاضل الأمة وأكرمها وأطهرها، وليس لهم من جُرْم إلا إنهم قالوا ربنا الله، وإعلامنا صامت كالحجارة عن أخبارهم .

٥ ـ جاهليتنا أشد فتأمل معي ، عندما اشتد الأذى بالمؤمنين أشار عليهم النبي ﷺ أنْ يذهبوا إلى أرض الحبشة وقال لهم معللاً :«فإنَّ فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد» وملك الحبشة هو النجاشي وكان نصرانياً ولكنه كان عادلاً ، ومن كان عادلاً فلن يضيق بالإسلام ودعاته . فلماذا يضيق من يتولى أمور المسلمين فى واقعنا بكل ما له صلة بالإسلام ، وهم ممن يتسمون باسمه ، ويحملون شهادة ميلاد تثبت أن ديانتهم هي الإسلام؟ فأي إسلام هذا ؟ وتأمل معى في النجاشي وقد بعثت إليه قريش من يأتي بالمسلمين كي يعذبونهم فوشوا إليه أن هؤلاء (أي المسلمون) يقولون في عيسى قولاً عظيماً . فلما سمع لمقالة المسلمين من جعفر بن أبى طالب وقرأ عليه سورة (مريم) قال النجاشي للمسلمين :«أذهبوا فأنتم آمنون في أرضي» وقال لوفد قريش :«لو أعطيتموني جبلاً من ذهب ، ما أسلمتهم

إليكما ، ثم أمر فردت عليهما الهدايا . ورجعا مقبوحين»[1] وفي واقعنا تجد أن أمتنا لاتجمع على أمر أبداً ، وهم في اختلاف دائم إلا في أمر واحد ، الكل مجمع عليه، ألا وهو التعاون على ضرب الإسلام ودعاته ورصدهم ، فهو المجال الوحيد الذي يجدون أنفسهم فيه أقوياء لأنهم يتعاملون مع العزل من الأبرياء أما في مواطن الشرف ، أما في ساحات الرجولة (هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً» ؟.

وأما موقف المسلم وكيف يواجه الجاهلية :

١ ـ فالجاهلية لابد لها من عقيدة حية صادقة فيها البساطة وفيها العمق ، عقيدتنا لا غموض فيها ولا طلاسم ولا تعقيد وعلماء الكلام الذين صاغوا عقيدة التوحيد في قوالب فلسفية قذفتها وثنية اليونان فزرعت الشك بدل اليقين والموت بدل الحياة ، فغذت العقل وحرّمت الروح. جاء رجل يسأل أحمد بن حنبل عن فتنة خلق القرآن وحجج كلا الفريقين في هذه المسألة فسأله أحمد بن حنبل :«أتعرف الدعاء الذي تقوله عند دخولك المسجد؟ قال: لا . قال: أذهب فتعلمه فهو خير لك مما جئت تسأل عنه».

تربى أصحاب المصطفى ثلاث عشرة سنة على تلقي العقيدة من خلال مقاييس تحدد وجودها أو عدم وجودها فاليقينية والعملية والواقعية سمات حية للعقيدة الحية .

٢ ـ والجاهلية لابد لها من قوى تواجه بها، فكم من صاحب علم وتأمل وخواطر لم يستطع الصبر على مخالفة هواه لضعف تقواه ، لجفاف علم الخشية من القلب، فالفتن لاتواجه بذربة اللسان ، فالكلام صنعة يتقنها الصادق كما يتقنها الكاذب .

وما يوصى به المبتديء في هذا الطريق يوصى به المتقادم فيه من تقوى الله ومخافته . فالشيطان محكوم بقانون الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ»[2] «مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ

(١) زاد المعاد ج٣ ، ص٢٩ .
(٢) الأعراف : (٢٠١) .

ٱلْخَنَّاسِ»[1] أي أن الشيطـان يبتعـد عنـد ذكره سبحانه، للحـديث :«إنَّ الشيطـان واضع خطمـه على قلب ابن آدم فـإذا ذكر الله خنس وإذا غفل التقم قلبه»[2] فالغافل مهما بلغ علمه فهو الغافل، الـذي قـد شرعت أبواب قلبه أمام وساوس الشيطان وكيده .

٣ - والجاهلية لابدَّ لها من أخوة لا تعرف الملل، ولا وغر الصدور، ولا داء الأنانية بل هي ذلة لله وفي الله كما قـال تعـالىٰ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾»[3] فهي ذلـة فيها الاستعلاء، حيث الباعث لها رضىٰ الله ، وما أطال طريق الـدعـاة إلا اختـلاف قلـوبهم ، فـاختـلاف الأقـوال وارد وهـذه سنـة الله في خلقـه لاختـلاف مستـويـاتهم وإدراكاتهم ونظراتهم ولكن العـارفين هم الآخـذون بالقاعدة الذهبية التي وضعها الإمـام الشهيـد حسن البنـا رحمـه الله (نعمل فيما إتفقنا عليه ويعذر بعضنـا بعضـاً فيما اختلفنـا فيـه) فتعـدد الصواب ، وجواز أمامـة المفضول مع وجود الفـاضل ، ووجوب إزالـة المنكر الأكبر ، وتقديم الفريضة على النـافلـة ، واستشعـار خطر العـدو المشترك ، والجهود الموزعة محصلتها صفر، كل هـذا وغيره إشـارات حمراء لا يجوز تجاوزهـا في حس الصادقين الواعين لواقعهم .

٤ - ولابد من التعريف بالجاهليـة وبيـان حقيقتهـا حتى لا ينخـدع بزخرفهـا ومظاهرها الخدّاعة أحد ، وهـذا مـا كان يخشـاه عمر رضي الله عنـه حيث يقـول : «إنَّ أخشىٰ مـا أخشـاه هـو أن يـولـد في الإسـلام من لم يعرف الجـاهليـة»، والسبب كما ذكره ابن القيم رحمـه الله عنـدمـا ذكر - أن الأصحاب رضوان الله عليهم كانوا أشد إلتزاماً بـالإسلام وحرصـاً عليـه ممن جاء بعدهم ، ومن جـاء بعـدهم كان أحرص على الإسلام ممن جـاء بعـدهم ، وهكذاذلك لأن الأصحاب رضوان الله عليهم احترقوا بنار الجـاهليـة وجربوا ضياعها فعندما جاء الإسلام ورأوا ما فيه من الخير حرصوا على التمسك به

---

(١) الناس : (٤) .

(٢) أخرجه الحافظ الموصلي .

(٣) المائدة : (٥٤) .

والتزامَ هديه ، وقلّ الإلتزام بعد ذلك لمن وُلِدَ في الإسلام ولم يعرف بشاعة الجاهلية ، فيحنُّ إليها ، أو يغتر بزينتها ، أو من باب حب الاستطلاع والتجربة فينحرف إليها ، فلابدّ من البيان .

الفوز والخسران

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[1] .

الخسران كل الخسران أن تكون صلة العبد بربه هزيلة يثبت إذا وجد نفعاً ، وينحرف إذا تعرض إلى اختبار ومحنة .

فما الفوز ؟ وما موازين الخسران ؟ والفوز عند المؤمن ؟ وما الطريق حتى يحفظ العبد نفسه من الخسران ؟

أما الفوز : فهو نيل العبد مراده ومبتغاه .

١ ـ والمؤمن ينظر للأمور بهدي الله ونوره وقد سمّى الله نفسه نوراً ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[2] وجعل النور لمن سلك طريقه فقال ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [3] فهو ينظر بنور الله قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[4] قال ابن كثير :«أي يجعل لكم نوراً يقذفه في قلوب أوليائه فيعرفوا الحق من الباطل والحلال من الحرام»

٢ ـ وللنور علامات ذكرها المصطفى ﷺ فقال :«إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح، قالوا يارسول الله وماعلاقة ذلك؟ قال : «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله»[5].

---

(١) الحج : (١١)

(٢) النور : (٣٥)

(٣) الانعام : (١٢٢)

(٤) الانفال : (٢٩)

(٥) أخرجه ابن ابي الدنيا والحاكم

وأما موازين الفوز في كتاب الله تعالى :

١ ـ النجاة من عذاب الله قال سبحانه : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[١] وأي فوز أعظم من أن ينجو العبد من عذاب جهنم العظيم الذي يُنسي المتنعم كل نعيم مرّ عليه من أول غمسة فيها للحديث : «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ صبغة (فيغمس غمسة) في النار ثم يقال: له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مرّ بك نعيم قط. فيقول: لا والله يارب»[٢] عذاب يصف رسول الله ﷺ أخفه وأهونه فيقول : «إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه»[٣] وهو الذي يناله أبو طالب سأل العباس رسول الله ﷺ :«هل نفعت أباطالب بشيء فإنه كان يحوطك (أي يحفظك من المشركين ويدفع عنك فقال رسول الله ﷺ : «نعم إنه في ضحضاح من النار من حرارته يغلى دماغه ولولا أنا لكان في أسفل سافلين»[٤] .

٢ ـ أن ينخلع العبد من نفسه وماله لربه قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[٥] فهذا صحابي ضربه المشركون فصرخ «فزت ورب الكعبة» وأبو الدحداح يسمع قول الله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾ فقال:«يا رسول الله إن لي بستان فيه مائة نخلة ولا أملك غيرها وإنى أقرضتها ربي عزوجل ثم يذهب إلى أهله ويقول : يا أم الدحداح اخرجي وأخرجي بنيك فإنى أقرضت البستان ربي عز وجل فتقول

(١) آل عمران : (١٨٥) .
(٢) رواه مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) رواه البخاري .
(٥) التوبة : ٢٠ .

زوجته : ربح البيع ياأبا الدحداح»[1] قال سبحانه : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ (أى الجنة) حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[2] .

وأما الخسران في ميزان الله تعالى :

١ - أن يدين العبد بغير الإسلام لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] وللحديث «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا حرّم الله عليه الجنة»[4] وينبغي أن يكون إسلامنا إسلاماً شاملاً لحركتنا كلها، في تعبدنا وتعاملنا وإلا كان التناقض ، قيل لرسول الله : فلانة (امرأة) تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذي جيرانها ، فقال هي في النار»[5].

٢ - ومن الخسران أن يعبد العبد ربه إذا كان في التعبد منفعة قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[6]

قال ابن كثير رحمه الله :«كان الرجل يؤم المدينة فيُسلِم فإذا عاد وكان العام عام خير ونتجت خيله وولدت امرأته غلاماً قال هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقال هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة وإنْ فسدت عليه دنياه انقلب فلا يقيم على العبادة»[7] والمسلم الحق يحمد الله على السراء ويصبر على الضراء لأن في الضراء مغفرة للذنوب للحديث «ما يصيب المسلم من نصب (أى تعب) ولا وصب (أى مرض) ولا هم ولا حزن

---

(١) مختصر ابن كثير مجلد ١ ص٢٢٢ .
(٢) آل عمران : (٩٢) .
(٣) آل عمران : (٨٥)
(٤) رواه أحمد ومسلم
(٥) أخرجه أحمد والحاكم
(٦) الحج : (١١)
(٧) مختصر ابن كثير ج٢ ص٥٣٢

ولا أذىً ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[1].

وأما الطريق حتى يحفظ العبد إيمانه :

١ ـ أن يكيف العبد نفسه لدين الله ولا يكيف دين الله لنفسه قال تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[2] فلا يأخذ من الإسلام ما يوافق هواه من صلاة وصيام ولكنه لا يأخذ الزكاة ولا الإنفاق ولا الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه لأنها تخالف هواه .

٢ ـ وأن يزن الأمور بميزان الله في كل شأنه وأمره في الغاية من الوجود «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»[3] وفي نظرته إلى الناس «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ»[4] وفي نظرته إلى المال والإنفاق «ما نقص مال من صدقة»[5] (أنفق يا ابن آدم أنفق عليك)[6] «أنفق يا بلال ولا تخشى من ذي العرش إقلالا» «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) كلها نصوص من حديث المصطفى ﷺ في بيان عظم الإنفاق ، والأنصار عندما فتحت لهم الجزيرةودانت، أحبوا الركون إلى أرضهم وإنماء أموالهم فأنزل الله تعالى قوله ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ . البقرة (١٩٥).

٣ ـ وأن تكون غيرتنا لديننا أعظم من غيرتنا على بطوننا وفرجنا تقول عائشة رضي الله عنها «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله بها» .

---

(١) متفق عليه

(٢) البقرة : (٨٥)

(٣) الذاريات : (٥٦)

(٤) الحجرات : (١٣) .

(٥) رواه مسلم

(٦) متفق عليه

التغيير

قال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[1] .

يضرب الله مثلاً للدنيا في نشأتها وتفاهتها إذا قيست بـالآخرة ، نزول المطر من السماء ، خروج النبات من الأرض ، ثم لا يلبث هذا النبـات إلا أن يصبح هشيماً تعبث به الرياح والله القادر المقتدر على تغيير الأحوال وتبديلها .

فما التغيير ؟ ومـا صوره ؟ ومـا الذي أحـدثـه الإسلام من تغيير ؟ ولماذا ؟ وما السبيل إليه ؟

التغيير : هو التبديل .

ونريد ونعني به الإنقلابية التي أحـدثهـا الإسلام في الصـادقين من السـالكين فرداً أو أمة . وبغير الصدق في الإقبال لن يكون هنـاك تغيير قـال تعـالى : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾[2] .

وينبغي أن تعلم :

١ - أن الوجود ملك الله وحده قال تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] .

٢ - والله هو المتصرف وحـده في هـذا الوجود : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4] .

---

(١) الكهف (٤٥)
(٢) هود : (٢٨)
(٣) الملك : (١)
(٤) آل عمران : (٢٦)

٣ - وإن ما يجريه الله من تغيير له صلة بإيمان الناس ، فإذا غير الناس في إيمانهم غير الله أحوالهم فأبدلهم بدل الأمن خوفاً وبدل الرزق جوعاً ، قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1]. وللأمر صلة بالذنوب ، حدث زلزال على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة فقال : «أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا على شيء أحدثتموه والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبدا»[2] .

٤ - وأن أمر العبد لا يستقيم على حال واحدة فقال تعالى : ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾[3] أي حالاً بعد حالٍ، شدة بعد عافية، عافية بعد شدة وصحة بعد مرض ومرض بعد صحة ، وغنى بعد فقر وفقر بعد غنى، وينبغي على العبد أن يظن بربه الخير ، والخير في أمره كله وصدق الله العظيم : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4] . يقول عمر رضي الله عنه :«والله لا أبالي على خير أصبحت أم على شر لأني لا أعلم ما هو الخير ولا ما هو الشر لي» .

٥- وكذا حال القلب لا يستقيم فهو دائم التغير والتقلب من إيمان إلىٰ كفر ومن كفر إلى إيمان حتى قال العلماء :«ما سمي القلب قلباً إلا من تقلبه» فاحذر على القلب من قلب وتحويل ، فلابد من الدعاء ولقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، قلنا يارسول الله : آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال : نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»[5]. والمسلم

---

(١) الأنفال : (٥٣) .
(٢) الجواب الكافي ص٤٦
(٣) الانشقاق : (١٩)
(٤) البقرة : (٢١٦)
(٥) رواه احمد

يسأل الله حسن الخاتمة للحديث :«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[1]

٦ - ومن صور التغيير ما يجريه الله على الأرض والسماء يوم القيامة لقوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2]. وللحديث «يحشر الخلائق على أرض بيضاء لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة»[3].

وأما ما أحدثه الإسلام من تغيير :

١ - **في مصدر التوجيه والتلقي:** جاء الإسلام والناس يحتكمون إلى أعرافهم، إلى أهوائهم، إلى ما ورثود عن آبائهم، عن كبرائهم، فردهم إلى مصدر واحد هو الله ورسوله، وأجرى رب العزة على الأصحاب اختباراً صعباً لتعميق هذا المفهوم الخطير، عندما دخل النبي ﷺ المدينة توجه إلى المسجد الأقصى قبلةً له وترك البيت الحرام بأمر من الله تعالى، واستمر الحال ستة عشر شهراً، وقيل سبعة عشر شهراً ثم عاد إلى البيت الحرام متوجهاً إليها بأمر الله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[4]. وأما لماذا التحول إلى الأقصى ؟ قال تعالى : «وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه» الكعبة التى رفع إبراهيم الخليل قواعدها والعرب كلها تتوجه إليها بل كل موحد ومشرك، يأتي الأمر من الله إلى الجماعة المسلمة ان تخالف الدنيا بأجمعها في أمر قد ألفته

---

(١) متفق عليه .

(٢) ابراهيم : ٤٨ .

(٣) رواه الحافظ ابوبكر البزار

(٤) البقرة : (١٤٤)

واعتادته عشرات السنين حتى تتميز الجماعة المسلمة فى إستسلامها وتلقيها بأن يكون من الله وحده لا شريك له، فأعظم به من درس صعب كريم! قال العلماء : ومن ذلك إعلام أن بقاع الأرض لا تشرف بذواتها وإنما بتشريف الله لها . فإذا أراد الله أن يحول شرف البيت الحرام إلى الأقصى فهذا شأنه سبحانه ولايملك أحد أن يشرّف بقعة لم يأذن بتشريفها الله وحده .

٢ - **وفي الصلات والعلائق:** جاء الإسلام والناس تجمعهم وشيجة العصبية والقبلية فأحل الإسلام الأخوة (إخوة العقيدة) بدل تلك العصبيات وأحل (الولاء لله والرسول) بدل الولاء للعشيرة مثلا . وتأمل كيف زوج النبي - ﷺ - زيد بن حارثة من ابنة عمته زينب بنت جحش ، وزيد لا يعدو أن يكون عبداً ، بل تقول عائشة رضي الله عنها «مابعث رسول الله ﷺ سرية فيها زيد بن حارثة إلا ولاه عليهم ولو عاش بعده لأستخلفه» ولا دواء لما تعانيه البشرية من التمزق الطبقي بسبب الانتماءات إلى اللون أو الطين أو الدم إلا بالاخوة الإسلامية . فهذان هما الأوس والخزرج كانت بينهم صراعات وحروب استمرت أكثر من أربعين عاماً . فلما دخل الإسلام المدينة وآخى الرسول بينهم يُنزّل رب العزة قوله : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١).

٣ - **وفي السمو العقلي والشعوري:** «كان عمر رضي الله عنه جالساً يوماً بين أصحابه فبكى ثم ضحك ثم قال: تذكرت أمرين من أمور الجاهلية ، الذي أبكاني : أنى حملت ابنتي يوماً إلى الصحراء حتى أئدها كما كانت تفعل العرب ، فكان التراب يتساقط على لحيتي فتزيحه عنها بأناملها فلما انتهيت قلت لها انظري إلى أسفل الحفرة فلما نظرت دفعتها وأهلت عليها التراب ، وأما الذي أضحكني : فقد كنت في سفر وصنعت لي آلهةً أعبدها من دون الله من التمر فلما بلغ بي الجوع مبلغه قمت إلى

---

(١) الانفال : (٦٣)

آلهتى فأكلتها» هذا عمر في الجاهلية، أما في الإسلام فقد وافقه الوحي في ثلاثة عشر موضعاً فأي سمو عقلي بلغه؟ «ومرّ يوماً فسمع قارئاً يقرأ قوله تعالى :﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ فبكى حتى مرض وعاده الأصحاب»[1] فأي سمو في الشعور أصابه .

٤ - **في الأحاسيس والمشاعر:** فهذه الخنساء عند ما قتل أخوها صخر في الجاهلية بكت بكاء مراً بل أصبح الحزن والرثاء سمة لشعرها . وتمنى الانتحار فهي تقول :

فلهفي عليك ولهف أمي أتصبح في الضريح وفيه تمسى
ولولا كثرت الباكين حولي على قتلاهم لقتلت نفسى

هي المرأة نفسها قدمت أبناءها الأربعة في معركة واحدة كلهم شهداء فلم تزد على قولها : «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأسال الله أن يلقني بهأن يلحقني بهم» .

٥ - **في الخُلُق** : تأمل كيف أن غضب قريش حملهم على أن خرجوا على كل عرف وخلق متعارف عندهم في حربهم مع رسول الله ﷺ - فالعرب هم الذين حبسوا رسول الله في شعب بني طالب ثلاثة سنين لا يواكلوهم ولا يشاربوهم ولا يناكحوهم فأين كرمهم ؟ والعرب هم الذين قاموا في شخص زعيمهم أبي جهل بطعن سمية بنت الخياط فيموضع عفتها فأين شهامتهم؟ والعرب هم الذين أحاطوا برسول الله في يوم هجرته وجاءوا من كل قبيلة برجل حتى يضربوا رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد فيضيع دمه في القبائل فأين كانت نخوتهم ؟ وتأمل في الإسلام وما أحدثه ، فهذا علي رضي الله عنه كان يقاتل أحد المشركين فانكسر سيف المشرك فهَمَّ عليٌّ بقتله فبصق الكافر في وجهه وإذا بعلي يُعرض عنه فلما سئل قال : كنت أقاتله لله فلما بصق خشيت أن أقاتله لنفسى فأنتهيت عنه .

---

(١) الجواب الكافي ص٣٩.

وأما لماذا ؟ فلابد من التغيير :

١ ـ لأن المعول عليه هي القلوب للحديث : «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١].

٢ـ حتى نكون دلائل هداية وإلا وبغير التغيير نكون دلائل ضلال وضياع وسوء ، يقول عبد القادر الجيلاني : «إذا كنت أعمى فكيف تخلص غيرك إنما يقود الناس البصير إنما يهدي الناس إلى الله من عرفه لا من جهله» . يقول ابن القيم رحمه الله : «علماء السوء وقفوا على أبواب الجنة يدعون الناس بأقوالهم ، وأفعالهم تقول للناس لا تسمعوا لهم ، فلو كان مايدعون إليه حقاً لكانوا أولى بالإتباع فهم في الصورة أولياء وفي الحقيقة قطاع طرق» .

٣ ـ حتى لا تجري علينا سنة التغيير: يستبدل ربنا قوماً آخرين، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾[٢] وهذا موسى وقد دعا قومه إلى الجهاد فنكصوا وقالوا : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون قال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[٣] قال العلماء: أربعون سنة هو عمر جيل ، اراد الله أن يبدل هذا الجيل الخانع الناكص عن الجهاد في أرض التيه وما الضياع والتيه الذي تعيشه أمة الحق والإستئصال الذي ينالها من كل جانب إلا لنكوصها وتركها فريضة الله الغائبة (الجهاد) .

وأما السبيل إلى التغيير :

١ ـ فلابد من التربية بالمواقف : قال مشايخنا اقرأ ألف كتاب في العقيدة لن تكون صاحب عقيدة سليمة إلا أن تتعرض إلى موقف يحتاج منك التسليم

---

(١) رواه مسلم

(٢) محمد : (٣٨)

(٣) المائدة : (٢٦) .

والإطمئنان إلى حكمة الله فيما قدر وقضى فتعلم أنك صاحب عقيدة سليمة أم لا ، واقرأ ألف كتاب في الصدق لن تكون صادقاً إلا أن تتعرض إلى موقف يحتاج منك الصدق فتعرف قدر الصدق في نفسك وهكذا .

٢ ـ ولمن أراد التغيير يجب أن يكون دائم السؤال عن أمر دينه ، فهذا حال الأصحاب . قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[١] ، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾[٢] ، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾[٣] ، و ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ... ﴾[٤] ، فيما خص وعم من أحوالهم حتى يعرفوا حكم الله ورسوله فيه ، وتأمل كيف أن الأصحاب أمسكوا عن السعي بين الصفا والمروة حتى يروا حكم الله فيه ، وهو مما ورثوه عن الخليل ، يقول عاصم بن سليمان : سألت عن الصفا والمروة ، فقال : كنا نرى أنها أمر الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنها فأنزل الله : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ »[٥] حتى يقول الأصحاب :«بمن نبدأ؟ فيقول: «أبدوا بما بدأ الله به» الصفا ثم المروة.

---

(١) البقرة : (٢٢٢)

(٢) البقرة : (٢١٩)

(٣) البقرة : (٢١٧)

(٤) البقرة : (١٨٩)

(٥) البقرة : (١٥٨) .

الغربة

قال تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] جرت سنة الله أن يكون أتباع الحق هم القليلون غالباً ، ودعاة الضلالة هم الكثيرون ، والحق تبارك وتعالى يحذرنا من أن نغتر بكثرة الهالكين أو نستوحش لقلة السالكين .

فما الغربة ؟ ولماذ ؟ وما أنواعها ؟ وما واجب المسلم في الغربة ؟

الغربة : هي الإنفراد بوصف يخرج العبد عن أبناء جنسه فيكون بينهم غريباً .

١ - وكثير من الأنبياء ومن سار على دربهم عاشوا الغربة في دعوتهم يقول ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[2] وقد سمى إبراهيم أمة لأنه كان وحده مسلماً وكل من الأرض كفار ، يقول ابن عباس رضي الله عنه : «لكيلا يستوحش السالكون حين يجدوا أنفسهم فرادى فيتخذوا من إبراهيم قدوة».

٢ - وكثير من الأنبياء ومن سار على دربهم عاشوا الغربة على أرضهم فهذا شعيب عليه السلام يحرص قومه على إخراجه وهو الطاهر بينهم ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾[3] وفي رسول الله ﷺ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[4].

---

(١) المائدة : (١٠٠)
(٢) النحل : (١٢٠)
(٣) الأعراف : (٨٨)
(٤) الأنفال : (٣٠)

٣ـ وحتى الإسلام نفسه يعيش تلك الغربة التي بدأ بها للحديث : «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» . قالوا وما الغرباء يارسول الله ؟ قال : «الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي»(١).

وأما لماذا الغربة :

١ ـ حتى يتميز الصف فما من دعوة إلا وينضوى تحت لوائها الصادق والكاذب، والمخلص وغير المخلص ، ومن جاء لدنيا ومن يريد الآخرة ، والغربة لا تستبقي إلا من صدق الله في إقباله ـ للحديث : «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح المرء فيها مؤمنا ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع أحدكم دينه بعرض قليل من الدنيا»(٢).

٢ ـ وعظم الأجر مع عظم البلاء للحديث «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام فإن ورائك أياماً شداداً الصابر فيهن كالقابض على الجمر، للعامل منهم أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم، قالوا: يارسول الله منا أم منهم ؟ قال : بل أجر خمسين منكم»(٣) وإذا كان إيماننا فيه العجب الكريم فكيف ثباتنا عليه؟ للحديث :«أى الناس أعجب إيمانا ؟ قالوا: أنت يارسول الله ، فقال : وما لى لا أؤمن والوحي يتنزل علي . قالوا : فنحن يا رسول الله قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا بين ظهرانيكم ، قالوا : فمن يارسول الله ، قال : قوم يأتون بعدكم فلا يرون إلا صحفا فيؤمنون بها فأولئك أعجب الناس إيمانا»(٤)

وأما أنواع الغربة :

١ ـ **غربة الدين** : قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ورأيت الناس

---

(١) رواه الترمذي

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي

(٣) رواه الترمذي

(٤) رواه أبو يعلى والبزار .

يدخلون في دين الله أفواجا﴾ فقال : وسيخرجون أفواجا كما دخلوا[1].

أ) ومن غربة الدين غربة الفهم الشامل للإسلام فالكثير أصبح الإسلام في نظره هي الصلاة والصيام والحج فقط ، ولا بأس عليه بعد ذلك أن تكون معاملاته مبنية على الحرام والمظالم أو لا بأس عليه أن يعتنق فكرة هدامة جاهلية فيجمع بين الإسلام والجاهلية في آن واحد . أو يأخذ من الإسلام ما يناسب هوى نفسه ويدع ما يزعجها من دعوة وجهاد وبذل لله عزوجل . إن الإسلام منهج متكامل ينظم حركة العبد من يوم مولده إلى أن يلقي الله فيا يتعلق فيا بينه وبين ربه أونفسه أو الناس وفي كافة شئون الحياة . خذوا الإسلام جملة أو دعوه . جاء بشير بن الخصاصية يسأل عن الإسلام حتى يبايع عليه ، فقال له الرسول ﷺ : «الإسلام شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والجهاد ، فقال : يارسول الله كلها أطيق إلا الصدقة والجهاد فقبض رسول الله ﷺ عن البيعة وقال: يا بشير لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة ؟ فقال : يارسول الله مد يدك أبايعك عليهن فمد رسول الله يده»[2].

ب) ومن غربة الدين أن يتنازل عنه العبد لأجل أى متاع حقير للحديث : «لا تذهب الليالي والأيام حتي يقوم القائم فيقول : من يبيع دينه بكف من الدراهم» .

جـ) ومن غربة الدين ذهاب الصالحين حتى لا يذكر اسم الله للحديث: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»[3] وللحديث : «يذهب الصالحون الأول فالأول فلا تبقي إلا حثالة كحثالة الشعير والتمر لا يبالهم الله باله»[4].

د) ومن غربة الدين أن يكرم المفسدون ويهان المصلحون .

---

(١) أخرجه أحمد .

(٢) حياة الصحابة ج١ ص٢٢٠ والحديث أخرجه أحمد .

(٣) رواه أحمد والترمذي .

(٤) رواه أحمد والبخاري .

٢ ـ **غربة الخلق** : هنـاك قيم بثهـا الله في نفوس خلقـه من يوم خلق السموات والأرض ـ أن الصدق والكرم والوفاء والحياء فضائل وأن الغـدر والكـذب والظلم رذائل ولكن من علامات الساعة .

أ) أن تختل تلك القيم للحـديث : «يـأتى على النـاس سنوات خـدّاعـات يصدق فيه الكاذب ويكذب فيه الصادق ويؤتمن فيـه الخـائن ويخون فيـه الأمين»(١) أن هنـــاك من الأخـــلاقيـــات التي كان يتعـــامـــل بهـــا الجـاهلون قبل الإسلام مالا يجده اليوم إلا في النـادر من المسلمين ، يقـول عنترة وهو شاعر جاهلي :

أغض طرفي إن بـــدت لى جـــارتي حتى يـــواري جـــارتي مـــأواهـــا

«ويذكر لنـا من يسبقنـا عمرا وقبـل ثـلاثين سنـة جرت حـادثـة في أحـدى البـلاد أن زعيا للصـوص تسلقـوا جـداراً لـدار حتى دخلـوهـا كى يسرقوها ، فنظر زعيمهم في الدار وكأنه قد عرفها فقال لإتباعـه : اخرجوا ولا تأخذوا منها شيئا فاستغربوا كلامه فقـال : هـذا بيت أكلت فيـه قبل سنتين ويحرم علَيَّ أن أسرقه» لقد أصبحنا في وقت لا تأمن فيه من ولـدك من أن يقابل إحسانك بالنكران فضلا عن الصـديق إلا من رحم ربي ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ب) ومن غربة الخلق ندرة أهله للحديث :«يصبح النـاس يتبـايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال في بنى فلان رجل أمين»(٢)

جـ) ومن غربة الخُلُق إشاعة الزنا حتى تكون عرفا للحـديث :«لاتقوم السـاعـة حتى تسـافـدوا في الطريـق تسـافـد الحمير»(٣) وإذا كان الأمر جـاريـاً فى أعلامنا بلا إنكار بل هو الفن، فان تكرار النظر والسماح للمعصية يُـذْهِـبَ مـا فيهـا من البشـاعـة والقبح حتى تصبح أمراً مـألوفـاً لا تنكره النفوس لخستها.

(١) رواه أحمد والحاكم .

(٢) متفق عليه

(٣) الطبرانى

وأما واجب المسلم عند الغربة :

١ - فعلى المسلم الحق أن يعتز بغربته فانها محمودة ، يشابه فيها الانبياء ، فالزم جماعة المسلمين للحديث :«فألزم جماعة المسلمين وإمامهم» لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»[١].

٢ - ألا تنخدع بكل مظهر أو فعل جاهلي ، فانما هى دنيا ، وللحديث : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكفار»[٢] «مالي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٣].

٣ - أن يكون تعاملك مع الله وحده (خرج موسى هارباً من قوم فرعون وهو يناجي ربه «يارب وحيد، مريض، غريب» فأوحى الله إليه : يا موسى : الوحيد من ليس له مثلي أنيس ، والمريض من ليس له مثلي طبيب ، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة» .

٤ - للحديث«سيظهر شرار أمتي على خيارها حتى يتخفي المؤمن كما يتخفي المنافق فينا اليوم»[٤] ولله در الشاعر إذ يقول :

قل لمن بصروف الدهر عيرنى ... هل حارب الدهر إلا من به خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه ... جيف وتستقر بأقصى قعره الدرر
وكم على الأرض أشجاراً مورقة ... وليس يرجم إلا من به ثمر

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن

(٤) الجواب الكافي ص٥٠ وقال ذكره الأوزاعي عن حسان بن عطية

خامساً:

منعطفات

الاقليمية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(1) نداء من رب العباد إلى العباد أنَّ مبدأ الخلق واحد ، وأن ميزان التفاضل فيما بينهم هو التقوى ولا يكون العبد مسلماً حقاً حتى يستمد موازينه ومنهجه من عند الله وحده ، غير متأثر بعرف فاسد أو جاهلية عمياء ، أو كثرة ضالة .

فما الإقليمية ؟ وما آثار وجودها ؟ وما أسبابها ؟ وماموقف المسلم منها ؟

أما الأقليمية : عصبية الانتساب إلى الطين ، إلى اللون ، وإلى العشيرة ، إلى الأرض والإعتزاز بهذا الإنتساب ، والشعور بالأفضلية والخيرية على من سواه .

وفي إسلامنا نعلم :ـ

١ ـ أن اختلاف الألسن والألوان له دلالتان :

أ) دلالة على قدرة الله سبحانه ، وآية من آياته قال تعالى :﴿ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾(2).

ب) دلالة على حكمة الله سبحانه وذلك بأن يتم التعارف فيما بين الناس ، فلوكان الناس على لون واحد ، وسمت واحد ،واسم واحد ، لما تمَّ التعارف فيما بينهم . فاختلاف الألوان والسمات والأسماء لإتمام التعارف قال تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ . ولم يقل ربّ العزة لتفاضلوا ، فالخلق سواء بين يدي

---

(١) الحجرات : (١٣)

(٢) الروم : (٢٢)

الله ولا يفضل أحدٌ على أحداً إلا بالتقوى للحديث :«يا بني آدم جعلتم نسباً وجعلت نسباً جعلتم نسباً فقلتم فلان ابن فلان وجعلت نسباً فقلت : إن أكرمكم عند الله أتقاكم فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي»[١]

٢ - فليس في إسلامنا فضل لصاحب لون على لون وفى الحديث :«أن أباذر عَيَّرَ بلالاً بأمه وقال يا ابن السوداء ! فقال النبي ﷺ : انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أنْ تفضله بالتقوى»[٢].

٣ - وليس في إسلامنا فضل لصاحب نسب على نسب :قال تعالى : فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون» وزوج النبي ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش لمن ؟ لزيد بن حارثة (عبدٌ يُبَاع ويُشْتَرى) اشتراه النبي ﷺ فاعتقه ، بل تقول عائشة رضي الله عنها :ما بعث رسول الله ﷺ سرية فيها زيد إلا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه» .

٤ - وليس في إسلامنا فضل لغني على فقير : جاء في حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر . فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء ، لايجترؤن علينا ، وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما ، فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه»[٣]وفي شرح الحديث : «فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع أي من طرد المسلمين لما علم من ثبات إيمانهم وطمعاً في إسلام أئمة الشرك وإسلام قومهم نظير مجالستهم في يوم خاص بهم» فتأمل في النهي عن إعطائهم مايشتهون من أن يجلسوا مجلساً لا يضم إلا أصحاب الفصيلة الواحدة من جنسية أو طبقة ، فالإسلام أعظم وأعزَّ ، وعلى العباد أن يذلوا وينصاعوا لأمر الله تعالى : لا أن يجعلوا من الإسلام إسلاماً يناسب

---

(١) رسائل الامام حسن البنا ص١٤٨

(٢) رواه احمد

(٣) رواه مسلم

أهوائهم ، مُلَّبياً لشهواتهم .

وأما آثار الإقليمية ووجودها :

١ ـ تمزيق وإضعاف لأمة محمد ﷺ : يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1] أي قوتكم ، ومن كان سبباً في فرقة أمة محمد ﷺ فعقوبته القتل للحديث :«من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فأضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان»[2].

٢ ـ إشاعة لروح الحزبية الضيقة : والمسلم الحق يريد الخير لكل الناس ، ويسعى لإسعاد البشر برسالة الإسلام فلا يتعصب لجنس أو لون ولا جماعة وإنما هو روح جديد يسري في جسم هذه الأمة فيحيه بالحق والنور ، ولكن الإقليمية تدفع أتباعها إلى تأصيل روح الحزبية الضيقة حيث لا انفتاح ولا اهتمام إلا لمن يسيرون في نفس الطريقة من التفكير المعوق .

٣ ـ إفساد للفهم الإسلامي الكريم : ليس من الإسلام أبداً أن ينظر المسلم إلى أخيه نظرة عداوة وبغضاء والله يقول ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] وإنما أداة حصر أي لايكون المؤمنون إلا إخوة فان لم يكونوا إخوة فليسوا بمؤمنين ، وأي جرم عظيم يرتكب عندما نجعل من الصف المسلم الذي هو مظنة الإطمئنان والسعادة، مصدر قلق وشقاء ونكد . وليعلم دعاة الإقليمية أنهم آثمون إثماً عظيماً للحديث «من سنّ في الإسلام سُنَة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سنّ في الإسلام سنة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[4].

---

(١) الانفال : (٤٦)

(٢) رواه مسلم

(٣) الحجرات : (١٠)

(٤) رواه مسلم

٤ - إشغال عن الغاية والهدف : وهدف كل مسلم أن تعلو راية الإسلام خفاقةً على الدنيا كلها ، وشاء الله تعالى أن هذا الأمر يتحقق من خلال جهد المسلمين أنفسهم وسعيهم ، والله يتولاهم بمعيته وتأييده ، ولكن الإقليمية فيها إشغال للمسلمين بأنفسهم عن مهمتهم وعن أعداء الله ، وقد سبّ رجلٌ أحدَ الصالحين ، فقال له الرجل الصالح: هل نالت الروم منك، (أى هل أصاب الروم منك سوء قط في جهاد أو غيره) قال الرجل : لا . فقال الرجل الصالح : هل نالت الفرس منك سوء قط ؟ قال الرجل : لا . فقال الرجل الصالح :(أما وجدت أحدّ تجاهد الله فيه غيري) . وأي ضحالة في التفكير ، وفساد في القلوب عند ما يظن المسلم ، يعتقد أنه بإيذائه لإخوانه وسعيه في محاربتهم وقطع أرزاقهم وتشويه سمعتهم أنه يتقرب إلى الله بطاعات .

متى يكمل البنيان يوماً تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
ولو ألف بانٍ خلفهم هادم كفى   فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم

وأما أسبابها :

١ - **الهوى** : قال تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾[1]

يقول صاحب الظلال رحمه الله : وإنها لطريقان لا ثالث لها إما إخلاص للحق وخلوص من الهوى وعندئذٍ لابد من الإيمان والتسليم وإما مماراة في الحق واتباع للهوى فهو التكذيب والشقاق» وللحديث : «ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع»[2] .

---

(١) القصص : (٥٠) .

(٢) الطبري .

٢ ـ **حب الذات :** وهي آفة الآفات في البارزين وقد قيل : حب الظهور كم قصم الظهور فهو يذكر ذاته ، وينسى ربه مع إعلانه المنكر بأن الغاية هو الله ، وأن رضوانه هو المنتهى وقديماً قال الله حكاية عن إبليس :« أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ »[1] فهو داء الأنا القديم يسري في النفوس على قدر خلوها من خشية الله ، واستشعار وقفة الحساب بين يدي الله تعالى ، واتباع الشهوات والبعد عن مجاهدة النفس الأمارة بالسوء وللحديث «إن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالصوم»[2].

٣ ـ **الاجتهاد الفاسد :** وهو أن يجتهد المسلم في موضع النص والله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] أي لاتقدموا آرائكم وأهواءكم واقتراحاتكم وتنظيراتكم على قول الله ورسوله فذلك من سوء الأدب يقول أحد السلف :«ويحك كم تتأول وتترخص لماذا لا تركب العزيمة وتتعلق بالإجماع» .

٤ ـ **غفلة عن الواقع :** حيث تجتمع طاقات الكفر مع اختلاف أصحابها في الأصول والفروع فضلا عن الجنسيات ،فاليهودية العالمية ، والنصرانية العالمية ، والشيوعية الأممية وكثيراً ما تلتقي مع ما بينها من خلافات لتحقيق أهداف مشتركة ، والله تعالى يدعونا أن نتشبه بأعدائنا في موالاة بعضهم لبعض قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[4] والصف المسلم فى واقعنا تتنازعه الأهواء ، والإقليميات وهو لم يبدأ أول الطريق ، فأي مهزلة لو استطاع أن يفوز بعضه ببعض التمكين كيف يكون الحال ، وهو يحمل هذا الصديد من العداوة ، والقيح من البغضاء لأقرب الناس له .

وأما موقف المسلم منها :

١ ـ فلابدّ أولاً من الرفض الكامل لها لأنها مصادمة للأصول :

---

(١) الأعراف : (١٢) .

(٢) متفق عليه .

(٣) الحجرات : (١) .

(٤) الأنفال : (٧٣) .

أ) **الكتاب** : قال تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1].

ب) **السنة** : للحديث :«اسمعوا وأطيعوا وإن تأمَّر عليكم عبد حبشيٌّ كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله»[2].

جـ) **الإجماع** : يقول صاحب العقيدة الطحاوية : ونرى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً .

د) **عمل الأصحاب** : فلقد كان دار الارقم بن أبي الأرقم المخزومي فيه أبوبكر القرشي وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشى في مجلس واحد يضمهم ، وذلك لأن جنسية المسلم عقيدته ، فكل من قال لا إلٰه إلاَّ الله محمداً رسول الله فهو أخ لك ، وعليك أن تؤدي حق الإخوة معه وأنَّ الإقليمية ابتداع في الدين للحديث : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[3] أي مردود على صاحبه كائناً من كان .

٢ ـ وأن نُفرِّقَ بين الإحترام وبين الإلتزام فالإحترام خلق إسلامي كريم لمن كان أكبر منك عمراً أو أكثر علماً أو جهاداً ، أما الإلتزام فهو أمر يتعلق بدينك بآخرتك بمصيرك إلى جنة أم إلى نار ، فإذا وُجد من نكن له الإحترام لسابقته في علم أو جهاد قد إنحرف فلا تجب طاعته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والغبي من ضيع آخرته لدنيا غيره .

٣ ـ وأن نتربى تربية الأحرار لا العبيد : والذين لا يحسنون إلا خفض الأعناق وإبداء الموافقة على الخطأ خوفاً على مناصبهم أو منافعهم أولئك في إيمانهم دخنٌ وفي قلوبهم مرض لأنهم أساؤا الظن بربهم والله يقول ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4]. وفي الحديث :«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن

---

(١) آل عمران : (١٠٣) .

(٢) البخاري .

(٣) متفق عليه .

(٤) الأنعام : (١٧) .

ينفعوك بشيء لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1]

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

الفتنة

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(١) .

الطريق إلى الله تعالى مليٌّ بالأشواك . مليٌّ بالفتن ، سنة ماضيه ، علمها من علمها فاستعدّ لها بتقوى الله تعالى والصبر على تكاليف الطريق وأداء واجب الجندية في هذا الطريق من غير التفات إلى المتطفلين والأدعياء فحفظ لنفسه إيمانها ، وجهلها من جهلها فانشغل بلقلقة اللسان ، وتتبع العورات ، وجمع الزلات فضاق ذرعاً بالإسلام وأهله وأصابه الإحباط فانتكس ، فخسر نفسه وحرمها شرف المصابرة .

فما الفتنة ؟ ولماذا ؟ وما آثارها وما أنواعها ؟ وما موقف المسلم منها ؟

أما الفتنة : لغة فهو عرض الذهب على النار حتى تزول منه الشوائب، فيزداد نقاءً وصفاءً

واصطلاحاً : فهو ما يجريه ربّ العزة سبحانه على عباده وأوليائه من أنواع البلايا والمحن والشدائد والمواقف اختباراً لإيمانهم وصدق قلوبهم .

وينبغي أن تعلم :ـ

١ ـ أنه لا ينبغي للمسلم أن يسأل الله البلايا لأنها فتنة مجهولة فلا يدري العبد أيصبر عليها أم لا ؟ للحديث :«لاتتمنوا لقاء العدو فإنكم لا

(١) البقرة : ٢١٤ .

تدرون لعلكم تبتلون بهم ولكن قولوا اللهم اكفناهم ، واكفف بأسهم»[1]

٢ ـ كما أنه لا ينبغي أن يُعَرِّض نفسه لما لا يطيقه للحديث :«لاينبغي المؤمن أن يذل نفسه ، قالوا وكيف يذل نفسه يارسول الله ؟ قال : يتحمل من البلايا ما لا يطيق ، كما روى عن أحدهم أنه قال : يارب امتحني بما شئت فأنا راضٍ بقدرك صابر على ابتلائك ، فابتلاه الله باحتباس البول . فأخذ يصيح ويولول ويطوف على الأولاد ويقول لهم : ارموا عمكم الكذاب بالحجارة فانه سأل الله من البلايا ما لايطيق»[2].

٣ ـ وأعلمنا رسول الله ﷺ أن فتناً كالليل مظلمة ستكون فيقول: يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا»[3].

٤ ـ ويكون للمال دوره وللمصالح والمنافع الدور الأكبر في تحديد الإنتماء حيث ضعاف النفوس كثيرون ، وشراؤهم بالجملة يكون. قال تعالى : ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[4] . وللحديث :«لا تذهب الليالي والأيام حتي يقوم القائم فيقول من يبيع دينه بكف من الدراهم»[5].

٥ ـ وخطأ الكبير كبير ، للأثر الكبير الذي يحدثه ،لأنه فى موضع قدوة ويُظَنُّ به الخير والصواب ، ومصائب الصف المسلم إنما هي ممن يتربعون على مقاعد التوجيه والتربية والتقعيد والتنظير ، ومن كان في هذا الموضع يجب عليه أن يجمع بين أمرين لا غنىٰ لأحدهما عن الآخر هما (العلم والتقوى) فالعلم من غير تقوى الله فجور وجرأة وتكبر على الحق لغلبة الهوى وحب الذات ومعاندة الأقران وخشية الشماتة ، ومن قبل قيل:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ص٣٣ .
(٢) أصول الدعوة ص٣٤٠ .
(٣) أخرجه الترمذي قال حديث صحيح
(٤) يوسف : (١٠٣) .
(٥) رواه أحمد .

لـو كان للعلم من دون التقـوى شرف لكان أشرف خلـق الله إبليس

«وقد ذكر أن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنـه رأى طفلاً يلعب بـالطين، فقـال للطفل : إيـاك والسقـوط في الطين ، فقـال الغـلام الصغير لـلإمـام الكبير : وإياك أنت من السقوط لأن سقوط العالِم سقوط العـالَم» حكمـة أجرهـا الله على لسـان الطفل تـذكيراً وموعظـة للإمـام أبي حنيفـة فـاهتز أبوحنيفة لهذه المقولة فكان لايخرج الفتوى إلا بعـد مـدارستهـا شهراً كاملاً مع تلامذته»[1] وماضاعت الأندلس من قبل إلا لتعـدد الرايـات ، وإثارة الإقليميات ، مما جعل ولاة كل مدينـة شغلـه الشـاغل إذلال ابن أخيـه في المدينـة الثـانيـة ، ولو كان بطلب المـدد من النصـارى حتى سقطت مـدن الأندلس واحدة تلو الأخرى ، وضـاعت الأنـدلس على أيـدي المسلمين ممـا جعلنـا نقطـع بـأن ألـدّ أعـداء الإسـلام هم المسلمـون أنفسهم إذا أساؤا الفهم وأساؤا التطبيق .

وأما لماذا الفتنة ؟ فلابدّ من الفتنة فإن فيها :

١ ـ التمحيص للصف المسلم : ذلك أنه ما من دعوة إلى الحق أو إلى البـاطل إلا وينضوي تحت لوائها الصادق والكاذب والمتجرد والنفعي ، ولماكان طريق الله ودعـوتـه الســالكـون هم الأنبيـاء كإبراهيم ومـوسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، نماذج راقية أعطت هذا الطريق حقـه من دموع ودمـاء وأمـوال وأوقــات ، يــأبى الله أن يرتضي فيــه المهــازيـل والممثلـون دور الأصفيـاء ولاصفاء، والمتقمصـون شخصيـة الـداعيـة الأمين وبينهم وبين الخيانة والوضاعـة نسبـاً ، الـذي يعـاشرك سنين ويشـاركـك في مطعمـك ومجلسـك وحديثك ورأيك وفرحك وحزنك ثم يظهر بعـد ذلـك كلـه إنمـا كان يـؤدي دوراً كُلِّفَ أن يقـوم بـه أو رغب أن يقـوم بـه تطـوعـاً حتى يفــاجئــك بــالطعنــة النجـلاء، والإحصــاء الآثم لكل كلمــة أو

(١) منهج التربية الإسلامية للطفل / محمد نور سويد ص٣٢١ .

ضحكة أو مزحة ويحملها ما لا تحتمل من التفسيرات وكل هذا باسم الاسلام ومصلحة الدعوة ، فأيّ نماذج حقيرة ابتلى بها هذا الدين وللحديث : «لاتكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين» .

٢ - وحتى تتكشف حقائق النفوس : فالتربية من خلال المواقف تكون ، واقرأ ألف كتاب في الوفاء لن تكون وفياً إلا أن تتعرض إلى موقف يحتاج منك الوفاء فتعرف قدر الوفاء في نفسك .

ومن خلال الفتن تعرف من معك ومن عليك وقديماً قيل :

جزى الله المصائب كل خير ... عرفت بها عدوي من صديقي

ومن يتخلى عنك في الموقف السهل ، ويترك في الأمر الهين ، ولا يراجعك أو يلتمس لك عذراً ، أو يجعل خيطاً من المودة أو الصلة فأمثال هؤلاء فقدهم خير من وجودهم ، ومن أراد الله به شراً جعلهم له أصحاب وقديماً قيل :

وفي الناس إبدال وفي الترك راحة ... وفي القلب ودّ للحبيب وإن نأى

والنفعي الذي يرصد مصلحته ومنفعته ولا يعنيه حق ولا باطل ، عبد الدرهم والدينار ، وأمثال هؤلاء لا يكونون أصحاب مبادىء ، وحملة أمانات وإن كانت جاهلية ، بل حتى في الدعوات الجاهلية يكونون منبوذين ، معروفة أقدارهم .

٣ - وفي الفتنة يتم إعداد الرجال ، وبناء الهمم العالية، واستدراك جوانب الضعف والنقص التي لا يمكن استدراكها واستكمالها إلا في هذه الأجواء فتزداد صلابة ، وفهما كريماً وتجربة سامقة تُعده لأداء دور أكبر ومهمة أجل وأكرم . وصدق الله العظيم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١) فقاصر النظر يضيق، وبعيد النظر ينظر إلى الأحداث بنور الله تعالى

(١) البقرة : ٢١٦

ويستقبل الأمر بكل الرضى ، والاطمئنان الى حكمة الله وعلمه المطلق يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه :«لئن أضع جمرة في فمي حتى تنطفيء أحبّ إليّ من أقول الأمر قضاه الله ليت الأمر لم يكن كذلك» .

٤ ـ وفي الفتنة تَعْرف أقدار الأنبياء وعظم صبرهم ، وكريم تحملهم ، ثم تعرف أقدار الرجال ، فالرجال مواقف ، والفتنة هي الميزان ، رحم الله سيد قطب إذ يقول :«كنا نظن أناساً يثبتون فلم يثبتوا ، وكنا نظن أناساً لن يثبتوا فثبتوا» .

وأما أنواعها :

١ ـ التعلق بالأشخاص فتنة : وهو الداء الذي أصبح سمة من سمات واقعنا ، ومن مظاهره إن يعطل العبد عقله وسمعه وبصره ، فيفكر بعقل غيره ، ويسمع بأذنه، ويرى ببصره ماقاله فلان هو الحق، وما عداه فهو باطل، وقديماً قيل :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة   وعين السخط تبدي المساويا

وما الفرقة والشتات والشلل التي نراها إلا ثمرة مرة لهذا الداء العضال ، مما جعل من الصف المسلم سادة يعبثون ، وعبيداً منفذين ، وتلك تربية العبيد لا الأحرار التي ربي عليها المصطفى ﷺ أصحابه حيث المشورة الحقيقة لا الكاذبة التي توحي بالشورى وباطنها الإلزام بما يراه فلان وإلا فهو الإبعاد والإقصاء وقتله معنوياً بالإنتقاص والتبكيت تربية الأحرار التي عاشها المجتمع المسلم حتى تقف إمرأة ترد على عمر رضي الله عنه قوله في تحديد المهر أو تخفيفه فتقول :«يعطينا الله وتمنعنا»، ألم تسمع قول الله تعالى ﴿وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا﴾ فقال الفاروق وهو على المنبر : أصابت امرأة واخطأ عمر.

٢ ـ اختلال الموازين فتنة : إن في إسلامنا ثوابت فطر الله الناس عليها كالعدل والصدق من أنها فضائل ، والظلم والكذب من أنها رذائل ، فمن

الفتن أن تختل الموازين ، فيرى الناس الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، كما جاء في الأثر (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف) كما جاء في الحديث «يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم الذئاب يقول الله «أبي يفترون أم عليّ يجترؤن فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيران»[1] ومن اختلال الموازين في واقعنا أنْ يرى المسلم أن وحدة الدعاة إلى الله ، وعالمية الدعوة ووجوب وحدة العمل الإسلامي جهلاً ومجانبة للصواب ، وأن الفرقة والشتات والإقليمية والعصبية إلى الإقليم أو حتى المدينة التي ينتمي إليها أساس وأصل عظيم في الدعوة إلى الله ، ومثل هذا العبث إلى زوال بإذن الله لقوله تعالى « فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ »[2] ولا نصر ولا صلاح إلا بالعودة إلى الأصول من ربانية وعالمية وشمولية وجهاد حيث لا ينصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

(١) رواه الترمذي .

(٢) الرعد : (١٧) .

هزال الروح

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(1).

استبطيء رب العزة صحوة قلوب الأصحاب وأعلمهم أن العبادة إذا لم يصحبها ذلة من الروح لله سبحانه وخضوع وكانت العبادة عادة وحركات جوفاء فإن ثمرتها قسوة في القلب وفسوق عن أمر الله سبحانه :

فما هزال الروح ؟ ولماذا ؟ وما أعراضه ؟ وما العلاج ؟

أما هزال الروح : فهو ذبول وعطش وجوع يصيب الروح لبعدها عن الله وذكره وطاعته .

وينبغي أن تعلم :

١ ـ أن العبد وهو متجرد عن الإيمان لا تراه إلا فزعاً هلعاً جزعاً ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾(2).

٢ ـ ثم إن تكاليف الدعوة إلى الله تعالى لا يقوى عليها إلا من تربى وعاش حلاوة القيام وقراءة القرآن والإعتكاف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾(3)

---

(1) الحديد : ١٦

(2) المعارج : ١٩ ـ ٢٢

(3) المزمل : ١ ـ ٩

فذكر حال الداعية في وقت العافية والمهادنة كيف يكون . وفي حال المواجهة يكون أحوج ، فالقول ثقيل لا يطيق حمله ، إلا أرباب القلوب المخبته الخاشعة الذليلة لله وحده .

وأما لماذا الهزال :

١ - فإن لحفنة الطين غذاءها للحديث : «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كانت لابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»(١).
يقول ابن القيم رحمه الله :«إن في القلب شعث لايلمه إلا الإقبال على الله .. فإذا حرمت الروح غذاءها أصابها التمزق والقلق والجنون».

٢ - ثم الذنوب التي تفسد على العبد حياته ، وتنغص عليه لذاته سأل ابن القيم رحمه الله شيخه ابن تيمية رحمه الله عن سر قول الخارج من الحمام (غفرانك) فقال :«أن منزلة الذنوب من الروح بمنزلة البول والغائط من الجسد إذا إحتبس فيه فلما عافاك الله من أذى الجسد فاسأل الله عافية الروح . فما يحدثه إحتباس البول والغائط في الجسد من الألم والتنغيص وفقدان العبد رشده كذا أثر الذنوب في الروح فلا إطمئنان ولا سكينة ولا رشد ولا توفيق» .

وأما أعراضه :

١ - قسوة في القلب حتى ليحس أن قلبه قد إنقلب إلى حجر فلا يتأثر بترغيب إلى الجنة ولا بترهيب من النار ولا تزيده آيات الله إلا قسوة . ومن قسوة القلب أنّ صاحبه لا يرحم ضعيفا لضعفه ولا يتألم ليتيم ، وذكر رب العزة سمة للكافر فقال ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾(٢) فذكر الواقع العملي لفساد عقيدة الكافر وقسوة قلبه

(١) رواه الترمذي .
(٢) الماعون : ١ - ٣ .

فإذا ما اتصف مسلم بتلك الصفة دل الأثر على هزال في الروح كبير.

٢ ـ ظلمة في القلب وضيق في الصدر كأن على الصدر ثقل عظيم، فتراه يتأفف من غير مؤفف ويتضجر من غير مضجر، لو إجتمعت له لذات الدنيا لما ذهب عنه ذلك الضيق. يحترق بنار حسده إذا رآى غيره أكثر منه، وتأكل الحسرة قلبه إذا فاته شيء للحديث: «لو أن لابن آدم وادياً من الذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب»[1] فهو ضيق كتبه رب العزة على كل قلب مبتعد عنه« وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ »[2] لذا تجد كل بعيد عن الله يلتمس كل وسيلة حتى يُنسي نفسه تمزق روحه فليجأ إلى حبوب الهلوسة والمخدرات والخمور والمتعة الحرام ولكنها لحظات شرود سرعان ما يعاوده الضيق وصراخ الروح وطلبها لغذائها الذي قد حرمها الفاجر منه. من تعبد لله وذكر وإخبات وخشوع.

٣ ـ ضيق بالطاعة وأنس بالمعصية: يقول الإمام مالك: «مثل المؤمن في المسجد كمثل السمكة في الماء ومثل المنافق في المسجد كمثل العصفور في قفص».

إذا فتح كتاب الله ليقرأ جال في قلبه أن في قراءة القرآن مضيعة للوقت و أن هناك أمور أهم ينبغي التعجيل في قضائها ولكن أن يجلس الساعات الطوال في ديوانية لاهية أو أمام تلفاز وتمضي الساعات ولا يجد لذلك الأمر مضيعة بل المتعة والعقل، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[3]

٤ ـ لا يمد يده بالدعاء والسؤال إلى الله وإذا سأل سرعان ما يقبضها:

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

---

(١) متفق عليه.

(٢) الانعام: ١٢٥

(٣) الزمر: ٤٥

﴿عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] وفي الدعاء إقرار بأنك عبد وأن لك رب هو الله وأنك مفتقر ضعيف إلى مولاك سبحانه .

ومن هزال الروح أن يلتفت القلب إلى غير الله ويسأله ، بل ويسيء الظن بربه بأنه القادر المقتدر سبحانه ﴿أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني﴾[2].

٥ ـ الفرقة والشتات في الصف المسلم الذي كان يفترض فيه أن يكون مثلاً في الوحدة والتألف ولكنه هزال للروح ، والجيف التي علت القلوب لفقدانها المربي البصير العارف بالله الذي يضع أصبعه على موضع الداء . ويحسن فن أعطاء الدواء ، والا فهو الإخبار الصادق «إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا في القلوب، وتقاطعوا الأرحام، فعند ذلك لعنهم الله عزوجل فأصمهم وأعمى ابصارهم»[3].

وأما العلاج :

١ ـ **الدعاء** : وفي هديه ﷺ أن يسأل الله العون فيقول دبر كل صلاة «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[4].

٢ ـ **التدرج** : فكما أن أرواحنا اعتادت المعصية شيئا فشيئا فلنعودها الطاعات شيئا فشيئا وهذا سر قوله ﷺ : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[5].

الفضيل بن عياض رؤى في المنام فقيل له ماذا فعل الله بك؟ قال : غفر لي ذنبي قالوا بماذا ؟ قال : «والله لم تنفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في جوف الليل أخلصنا النية فيها لله عزوجل فرحمنا الله بها» .

---

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) مراسيل الحسن (الجواب الكافي ص٤٤)

(٤) ابوداود والنسائي

(٥) متفق عليه

٣ ـ **ولابد من زيارة للقبور :** للحديث : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة»(١) فتعلم أن الموت لا يعرف عمراً معيناً يـأتي فيه بل هو يـأتي الرضيع كما يـأتي الشـاب القوي كما يـأتي الشيخ الفـاني ثم هذه الأجساد التي تفنى وتبيد فكم أنفق لراحتها ولذتهـا أليست الروح لهـا نصيب وهى المعول عليها :

يـا خـادم الجسم كما تسعى لخـدمتـه ... أتطلب الربـح فيما فيـــه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فـأنت بـالروح لا بـالجسم إنســان

---

(١) رواه أحمد ومسلم

الانحراف

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[1] .

طريقان لا ثالث لهما: طريق الله حيث التوبة من الآثام والتنزه عن المحرمات وفي ذلك الاستعلاء والطهر والاطمئنان ، وطريق الشيطان حيث الهبوط والعيش في مستنقع المعصية الآسن وفي ذلك الإنحراف والسقوط .

فما الإنحراف ؟ ولماذا ؟ وما أسبابه ؟ وما ثماره المرة ؟ وما العلاج ؟

الإنحراف : لغة : هو الميل .

ونريد به هو ميل العبد من العبودية لله تعالى إلى العبودية لغير الله ، وتحوله من ظل الطاعة إلى نار المعصية ، ومن الهداية إلى الضلالة .

وينبغي أن نعلم :

أن الله أقام الحجة على عباده قال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[2] قال مجاهد : (يعني دون أن يؤمر أوينهى) فكان من تمام رحمة الله وكمال حكمته وجلال عدله أن :

١ ـ أنزل الكتب قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[3]

٢ ـ وأرسل الرسل قال تعالى : ﴿وإن من قرية إلا خلا فيها نذير﴾[4] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5] .

٣ ـ وجعل لك واعظاً من نفسك وهي الفطرة التي فطرها رب العزة على

---

(١) النساء : ٢٧ .

(٢) القيامة : ٣٦ .

(٣) الإسراء : ٩

(٤) فاطر : ٢٤ .

(٥) الأنبياء : ١٠٧ .

الإسلام قال تعالى : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وللحديث : «ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2] قال ابن كثير : (فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره) .

٤ ـ وأكرمك بالعقل الذي تدرك به حقائق الأمور ، وتتعرف به إلى خالقك لو إستعملته قال تعالىٰ حكاية عن أهل النار ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3] قال ابن كثير : (أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله)[4] وقال الآلوسي:(ونفيهم السماع والعقل لتنزيلهم ما عندهم منها انتفاعهم به منزلة العدم)[5] .

٥ ـ وجعل من البلاء والموت واعظاً ومذكراً قال تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[6])

قال الآلوسي : (فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غير الله تعالى في تلك الحال من الشدة). ولما كان فتح مكة فرَّ عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً . فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص (أي إفراد الله وحده بالدعاء) ما ينجيني في البر غيره اللهم إن لك عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى

---

(١) الروم : ٣٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) الملك : ١٠ .

(٤) مختصر ابن كثير مجلد ٣ ص٥٢٩ .

(٥) روح المعاني مجلد ٢٩ ص١٢ .

(٦) يونس : ٢٢ .

أضع يدي في يده و لأجدنه عفواً كريماً ثم رجع فأسلم)[1] .

وأما لماذا الإنحراف :ـ

١ ـ **الاستعلاء الآثم** : الأصل أن يكون استعلاء المؤمن بإيمانه على أعداء الله ومناهجهم وأفكارهم ، والاستعلاء الآثم هو أن يستعلي العبد على حكم الله ورسوله ملبياً لنوازع الشيطان ووسوسته أنَّ في الإنصياع والطاعة لله والرسول جرحاً لكرامته ، وإهداراً لعزته . وينسى الغبي أن الكرامة والعزة في الذل الكامل لأمر الله ورسوله .

فهذا جَبَلَة بن الأيهم ملك من ملوك الغساسنة يطوف بالكعبة بعد أن أسلم ، وإذا بأعرابي يدوس خطأً على إزاره ، فالتفت إليه جَبَلة بن الأيهم ولطمه على خده ، فقال الإعرابي : «لأشكونك إلى عمر أمير المؤمنين» . استدعى عمر جبلة وخيره بين أمرين : إما أن يعتذر له ويترضاه ، وإما أن يلطم الإعرابي جبلة بن الأيهم ، فدهش جبلة الملك الغساني من حكم عمر (وهو حكم الإسلام) وقال : «كيف تسوي بني وبينه ، إنما أنا ملك وهو سوقة» . فقال عمر :«إن الإسلام سوى بينكما فدعك من هذا».

فقال جبلة : أجِّلني حتى أختار ، فلما كان الليل هرب مع حاشيته إلى بلاد الروم وتنصر مرتداً عن الإسلام [2] .

وكم في الصف المسلم من نماذج تحمل نفس جبلة في استعلائها الآثم على حكم الله ورسوله ولكنها تحتال للأمر بالمبررات الشرعية لتأصيل مفاهيم جاهلية حيث خلا لها الجو في عصر نفتقد فيه حزم الفاروق وغيرته واستقامته .

٢ ـ **التعلق بالأشخاص** : حيث الحب الأعمى الأصم ، الذي يجعل المحب ينظر إلى محبوبه وكأنه قد ملك الجنة والنار ، فرضاه من رضى الله ،

(١) روح المعاني مجلد ١١ ص٩٧ رواه أبوداود والنسائي .

(٢) قبسات من حياة الرسول ص٢١٧ .

وسخطه من سخط الله ، وأمثال هؤلاء مثلهم كمثل السراب تظنه ماءً زلالاً فإذا جئته لم تجده شيئاً ، تراهم تبعاً وكماً وعدداً لا يفرح العاقل بوجودهم في الصف، أو يحزن لفراقهم، بل إن وجودهم بعث للخلخلة وكشف للأستار، يتخلون عنك عندالأزمات ، ويشمتون بك فيالمصائب. والقبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله ﷺ ، كان سبب إرتدادهم أنهم علقوا وجودهم بشخص رسول الله فمنهم من أسلم خوفاً من سيف رسول الله ، ومنهم من أسلم طمعاً في مغنم رسول الله ومنهم من أسلم تأثراً بشخص رسول الله ، فلما ماتت الشخصية التي علقوا إيمانهم بها مات إيمانهم وانقطع بهم الطريق، لذا كانت قولة الصديق رضي الله عنه (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) إرجاع للأمور إلى نصابها وضبط لقضية الثبات والإنحراف .

٣ ـ **الحنين الفاجر** : إذا كان إقبال العبد صادقاً ، تقطعت حبائل المودة التي كانت بينه وبين الجاهلية فاستقبحها واستغفر منها ، وإذا كان الإقبال كاذباً والباعث فيه عرضي لا أصيل إذا بالعبد يعود إلى جاهليته لأن حبائل المودة قائمة .

فهذا عبيدالله بن جحش رجل كان قد قرأ كتب النصرانية في مكة فلما بعث الرسول ﷺ أسلم هو وزوجه (أم حبيبة) ثم هاجر من مكة إلى الحبشة وفي يوم يقول لزوجه أم حبيبة : إني نظرت في الدين فلم أر خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد . ثم رجع إلى النصرانية وأكب على الخمر حتى مات» [(١)] .

٤ ـ **الفتنة الفاضحة** : والأصل أن صلة العبد بربه لا تعرف حالاً معينة ، بل هو الثبات أقبلت الدنيا أم أدبرت ، صفت الدنيا أم أغبرت ، الكل سواء وإلا فإن لقلقة اللسان تصدع بكلمة الإيمان في العافية ، وتجهر بالكفر في الشدة والفتنة والبلاء وصدق الله العظيم ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ

---

(١) حياة الصحابة مجلد٢ ص٦٥٢ .

ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [1] . وقـال تعـالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [2]

قـال الآلوسي :«إنهم انزلوا مـا يصيبهم من أذيـة المشركين لهم منزلـة عـذابـه تعـالى فجزعوا من ذلـك ولم يصبروا وأطـاعـوا الناس وكفروا بالله تعالىٰ كما يطيعوا الله تعالى»[3] .

وأما أسباب الإنحراف :ـ

١ ـ **البداية الخاطئة** : وإذا كانت البداية خاطئـة كانت النهـايـة كـذلـك ، ومن خطأ البـدايـة أن يكـون البـاعث على المجيء غير طلب وجـه الله ورضـاه ، فمنهم المخـادع قـال تعـالى ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [4] ومنهم النفعي «أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا»[5]

وأمثـال هؤلاء لابـدَّ أن يكشفوا من خلال مواقف تظهر بها حقائقهم لأرباب القلوب والعارفين .

٢ ـ **أن تكون الغاية دون الجنة** : وأي ربط للقلب ، وتعليله بنصر أو علوٍ في الأرض بعث لليأس إذا طالت المـدة ، ولم تظهر في الأفق بوادر نصر أو بشارة فرج ، لـذا كان من هـدي رسول الله ﷺ عنـدمـا كان يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول:«صبراً آل ياسر فإن موعـدكم الجنـة» [6] . حتى لا تمل طول الطريق وتجعـل من رضىٰ الله غـايـة وهـدف وعنـد ذلك فقـط

---

(١) الحج : ١٠ .

(٢) العنكبوت : ١٠ .

(٣) روح المعاني مجلد٢ ص١٤٠ .

(٤) البقرة : ٨ ـ ٩ .

(٥) مريم : ٧٣ .

(٦) فقه السيرة ص١٠٧ الغزالي .

تبقى العزائم قوية لا تهون .

٣ ـ **الركون إلى الدنيا** : وهي المحطة التي ينزل عندها الكثيرون، طاوين صفحات من الجهاد الذي ينظرون إليه بعد ذلك أنه كان مرحلة وانتهت، أو جنوناً وتهوراً ، أو فورة شباب انطفئت بحكمة الترجل والبعد عن ساحات الجهاد وغباره إلى ساحات التجارة وغبار التبر وجمعه وصدق الله العظيم ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[1] . قال ابن كثير . قال مالك بن دينار :«كان من علماء بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله فأقطعه وأعطاه (أي ملك مدين) فتبع دين ملك مدين وترك دين موسى عليه السلام»[2] .

٤ ـ **الفهم المعوج** : وهو من وساوس الشيطان التي من خلال تزيين الباطل، وتحسينه يظنه من فقد نور الخشية حقائق وفتوحات ربانية وإنما هي هواجس شيطانية ، واحتيال على النصوص الشرعية ، ولويها عن مقاصدها العليا ، إلى أهداف متدنية لا تتفق وجلال الوحي الكريم ، كتضخيم جانب على جانب ، أو تعطيل فريضة ، أو إقرار مفهوم جاهلي بقالب إسلامي .

ومن يك ذا فم مرٍ مريضٍ   يجد مراً به الماء الزلالا

وأما ثمار الإنحراف المرة :

١ ـ أنك تخسر نفسك ، فطريق الله لا تتعرقل فيه المسيرة بفواتك ، وتأمل في قول الله تعالى وقد رغب بعض المسلمين أن يمكثوا في المدينة ولا يخرجوا إلى (تبوك) للغزو مع رسول الله ﷺ فأنزل قوله ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ

---

(١) الأعراف : ١٧٥ .

(٢) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص٦٥ .

﴿لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] حيث نصر الله رسوله ولم يكن معه إلا صاحبه ولكنها معية الله بل وضع الغبي نفسه موضع المعاداة لله بمعادات أوليائه . وكان رسول الله ﷺ إذا خرج في غزوة تنادى الأصحاب : «يارسول‌الله فلان لم يأت معنا وفلان لم يأت معنا» فيقول عليه الصلاة والسلام «إن كان فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن لم يكن فيه خير فقد كفاكم الله شره»[2] .

٢ ـ أن تعيش بلا غاية سامية ، ولا صحبة مجيدة ، ولا هم محمود تشاب عليه وللحديث :(من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح همه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة) [3] .

رحم الله ابن كثير : حيث وقف عند قوله تعالى ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾ [4] فقال :«هذا فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن فكيف بالعقلاء إذا صحبوهم» [5] .

وإذا كنت تخشى معاناة الطريق إلى الله تعالى ومشاقه وتكاليفه ، وما فيه من المنغصات فأعلم أن الدنيا دار بلاء قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ ﴾[6] وقال: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾[7] قال سعيد ابن جبير : أي في شدة وقال الحسن :«يكابد مضايق الدنيا وشدائدالآخرة، فسواءً كنت في طريق الشيطان فلك نصيبك من هذا البلاء ولكن شتان بين بلاء في الله يكون فيه الأجر والمثوبة ورفع الدرجة وبين بلاء

---

(١) التوبة : ٤٠ .
(٢) تهذيب سيرة ابن هشام ص٣٣١ .
(٣) رواه ابن ماجه .
(٤) الكهف : ١٨ .
(٥) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص٤١٢ .
(٦) الملك : ٢ .
(٧) البلد : ٤ .

لا أجر فيه ولا مثوبة ولا رفع لدرجتك».

كان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ يقول :«رحم الله أبا الهيثم ، رحم الله أباالهيثم» فقال له ولده عبدالله :«من أبو الهيثم يا أبي» فقال الإمام أحمد : «رجل نصحني» فقال عبدالله : كيف ؟ قال الإمام أحمد :«عندما كانوا يسوقونني إلى التعذيب زمن الفتنة إذا برجل يجذبني فقلت من أنت ؟ فقال : أنا أبو الهيثم . قلت : وماشأنك؟» قال :«أنا رجل أوذي في سبيل الشيطان ألف سوط ألا تصبر وأنت في سبيل الرحمن» . يقول الإمام أحمد :«فثبتني أبو الهيثم ونصحني بقولته هذه» .

وإذا كان أعداء الله يصبرون أنفسهم وهم في باطل ألا يجدر بدعاة الله ونصراء دينه أن يكونوا أعظم صبراً ، وأشد تحملاً وصدق الله العظيم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

(١) ال عمران : ٢٠٠ .

الظـــن

قـال تعـالى ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [(١)] .

العبد محكوم بالزمان والمكان ويتنازعـه الظلم والجهل فما يصدر عنه من منهج فهو مبني على الظن والحسبان الباطل فيهالضياع والضلال له ولمن أتبعه.

فما الظن ؟ وماهى أنواعه ؟ وما موقف المسلم منه ؟

☆ أما الظن : فهو ما يقع في القلب من حق أو باطل .

١ ـ ولقد أخذ الشيطان على نفسه عهداً أنْ يُفْسد فيما بين العبد وربه ، قـال تعـالى حكايـة عنـه ﴿ قـال فيما أغـويتني (أهلكتني) لأقعـدن لهم صراطـك المستقيم ثم لاتينهم من بين أيـديهم (اشككهم في آخرتهم) ومن خلفهم (ارغبهم في دنياهم) وعن إيمانهم (ابطئهم عن عمل الخير) وعن شمائلهم (اشهي لهم المعـاصي) ولا تجـد أكثرهم شـاكرين ﴾ [(٢)] لـذا كان من دعـائـه ﷺ «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يـدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك اللهم أن أغتالَ من تحتي» [(٣)] .

٢ ـ الشيطان ملازم لإبن آدم للحديث «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه ، قالوا وأنت يارسول الله قال : نعم إلا أن الله أعـانني عليـه فـأسلم فلا يأمرني إلا بخير» [(٤)] .

---

(١) الأنعام : ١١٦ .

(٢) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص٩ .

(٣) أخرجه الحافظ البزار .

(٤) رواه مسلم .

٣ ـ ومبدأ المعصية في الخواطر والظنون ثم ترتقي فتكون عقائد وأعمال، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ :«والمسلم يدفع الظن لأنه باب إلى الاعتقاد والإعتقاد باب العمل» .

٤ ـ والله عز وجل يعامل العبد على حسب ظن العبد بربه للحديث «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» قال الشوكاني «فمن ظن بربه الخير أفاض عليه جزيل خيراته ، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى هكذا» .

☆ وأما أنواعه : فهو على نوعين حسن ومذموم :ـ

١ ـ أما الحسن :ـ

أ ـ فهو ظن المسلم بربه إذا انقطعت أسباب البشر والدنيا:«فهذه أمنا هاجر، وقد أمر الله إبراهيم الخليل أن يذهب بزوجه هاجر ووليدها إسماعيل لوادٍ غير ذي زرع ولم يكن البيت الحرام قد بني وتركها وولى فقامت هاجر وهي تقول :«إلى من تتركنا يا إبراهيم وليس معها إلا جريب من ماء وآخر من تمر وليس في الأرض أنيس ولا جليس» وإبراهيم لا يلتفت فقالت له آلله أمرك بهذا؟ فالتفت وقال: نعم ،قالت«اذهب فإنه لا يضيعنا»[1].

ب ـ ظن المسلم بربه فيما قدر وكتب من أرزاق ومصائب : يقول ابن القيم رحمه الله:«وقلما تجد من يحسن الظن بربه في هذا الباب ولا يتهم الله فيما قدر وفعل فهو يقول : ليت الأمر كان كذا ، وليت هذا الأمر لم يكن» . والمسلم الحق يوقن بقوله تعالى ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] وأن كل ما يصدر عن الله فهو الخير لقوله تعالى ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) روح المعاني مجلد١٣ ص٢٣٦ .

(٢) البقرة : ٢١٦ .

شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (١) .   قال الآلوسي : ألا ترى الفصد والحجامة وشرب الدواء الكريه من الأمور المؤلمة لكونه وسيلة إلى حصول الصحة يحسن إرتكابه في مقتضى الحكمة ويُعَد خيراً لا شراً ، وكل قضاء الله تعالى بما نراه شراً من هذا القبيل فهو (خيراً من الله شراً من أنفسنا) للحديث «لا تكرهوا الفتن فإن فيها حصاد المنافقين» (٢) وللحديث «عجباً لأمر المؤمن أن أمره كله خير» (٣). ولما قتل الخضر الغلام بأمر الله تعالى (فلقيا غلاماً فقتله) أبان ما أطلعه الله من غيب (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً) قال ابن كثير : أي يحملهما حبه على متابعته على الكفر . للحديث «الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا» (٤) .

ج ـ ظن المسلم بوعد الله بنصرة دينه : فهو يوقن بقوله تعالى ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسولي أن الله قوي عزيز ﴾ (٥) وقوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾ (٦).

فلا تغره انتفاشة الباطل وكثيراً ما يأتي قوله تعالى (حبطت) في ذكر مصائر الكافرين كقوله تعالى ﴿ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٧) يقول صاحب الظلال :«الحبوط لغة : هي الدابة إذا أكلت نباتاً ساماً فانتفخت ثم تموت ، فيظن قُصَّار النظر أن انتفاخها دليل على عافيتها ولكنها

---

(١) آل عمران : ٢٦ .

(٢) روح المعاني مجلد١ ص١١٥ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص٤٣١ .

(٥) المجادلة : ٢١ .

(٦) النور : ٥٥ .

(٧) البقرة ٢١٧ .

تحمل أسباب دمارها في نفسها فكذا الباطل يبدو منتفشاً فيظن قصار النظر أن انتفاشه دليل دوامه وبقائه ولكنه يحمل أسباب دماره في نفسه» .

د ـ ظن المسلم بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام : هو التصديق وحسن الظن به : مرض عبدالله بن مسعود مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : ما تشتكي فقال ذنوبي ، قال : فما تشتهي قال رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب. قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء . قال : لا حاجة لي فيه . قال : يكون لبناتك من بعدك . قال : أتخشى على بناتي الفقر ، إني أمرت بناتي يقرآن كل ليلة سورة الواقعة إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :«من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً» [١] .

☆ وأما المذموم :

١ ـ ظن الكافر بربه :ـ

أ) أنه لا رجعة إلى الله . قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [٢] وسبب سوء ظنه بربه أنّه لما طغى بماله قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [٣] ظنّ جهلاً أنه استغنى عن الخالق أيضاً ، فيشك في كل شيء ، والله تعالى يخبرنا عن رجلين من بني إسرائيل كانا شريكين ثم اقتسما المال فاشترى المؤمن بنصيبه عبيداً فأعتقهم وتصدق وأطعم وأما الآخر فأتجر وربح حتى فاق أهل زمانه غنى ، أدركت الأول حاجة فأراد أن يستأجر نفسه في جنة صاحبه يخدمها فلما كلمه سأله فأين مالك ؟ فقال: اشتريت به ما هو خير وأبقى فقال الثاني: أئنك من المصدقين؟

---

(١) رواه ابن عساكر وأبو يعلي (مختصر ابن كثير مجلد٣ ص ٤٢٧) .

(٢) الانشقاق : ١٤ .

(٣) العلق : ٦ .

ما أظن الساعة قائمة ولا أن تبيد جنتي ، فأرسل الله عليها مطراً يقلع زرعها وأشجارها وتركه يلوم نفسه حيث لا ينفع الندم ، قال تعالى ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ﴾ فكان جزاؤه ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحد ﴾ [1] . الحال الذي تعيشه أمتنا شبيه بحال الكافر عندما دخل جنته ولئن لم نقلها بألسنتنا فقد قلناها بأفعالنا وشعورنا الداخلي فأثمرت أعمالاً لا تصدق إلا في مجتمع لا يؤمن بوجود يوم آخر أو بإله مطلع ينبغي له التعظيم .

ب) أنه لا حكمة فيما قدر الله من هلاك بعض الأمم كالذي كتب عن مدينة الأصنام في الجزائر وما اصابها من زلزال فقال «جنت الطبيعة وفقدت عقلها» وهو جاهل بأمرين أنه نسب الفعل إلى غير الله عزوجل. والثاني : جهل بسنة الله في اهلاك الأمم . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾[2]. وقد كتبت مجلة (المجتمع) تحقيقاً حول الموضوع وذكرت أن المدينة طغت فيها المعصية حتى أن الرجل كان يأتي إلى بيته ويجد على باب الدار حذاء لرجل غريب ، يعلم أنه قد سبقه إلى أهله فيتركه حتى يقضي حاجته ثم ما أجراه الله على لبنان ، وغيرهم مما ينتظرهم بسبب طغيانهم وإفسادهم وسوء أدبهم مع الله والناس .

☆ وأما موقف المسلم منه :ـ

١ ـ لزوم الأدب بأن نحسن الظن بربنا ـ ومن نحن حتى نحكم على قدر الله تعالى . يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه :«لأن يعض أحدكم على جمرة حتى تنطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه الله : ليت هذا لم يكن» .

---

(١) مختصر ابن كثير مجلد٢ ص٤١٨ .

(٢) الرعد ١١ .

٢ ـ أن نستعيذ من وساوس الشيطان بالذكر الدائم لقوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (١) وللحديث «أن الشيطان واضع خطمه علي قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وإلا التقم قلبه» (٢) .

٣ ـ أن نجتنب مواضع التهم : خرج رسول الله ﷺ مع زوجته صفية ليلاً ليردها وكان معتكفاً فمر به رجلان من الأنصار فأسرعا فقال لهما رسول الله : على رسلكما أنها صفية بنت حي» فقالا : سبحان الله يارسول الله (أي ما نشك بك) فقال : «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً» (٣) .

٤ ـ وعلى المسلم أن يحسن الظن بأخيه لقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (٤) . وللحديث «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٥) ولقول عمر رضي الله عنه :«لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محمل» .

---

(١) الناس : ٣ .

(٢) أخرجه الحافظ الموصلي .

(٣) أخرجه الشيخان .

(٤) الحجرات ١٢ .

(٥) متفق عليه .

الحــزن

قال تعـالى ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

الإيمـان والتقـوى يشرحـان القلب للهـدى والمـوعظـة ، وأهـل الإيمـان هم الأعلون منهجا ودوراً ومكانــة فـلا يتطرق إلى قلـوبهم الـوهن ـ وهـو الضعف ـ ولا يعرفون الحزن ، فلا حزن مع الله .

فما الحزن ؟ ولماذا ؟ وما أنواعه ؟ وما موقف المسلم منه ؟

أما الحزن : فهو إنخلاع السرور وملازمة الكآبة .

والفرق بين الحـزن والهم ، الحـزن لما قد مضى من تـأسف على فـائت أو توجع لممتنع . وأما الهم فهو الوارد على القلب لمـا يستقبل ولمـا يجيء ويـأتي ، يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ «أربعة تهدم البـدن : الهم والحزن ، والجوع والسهر» .

١ ـ كان المصطفى ـ ﷺ ـ يتعوذ بـالله من الهم والحزن فهـو يقـول «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بـك من العجز والكسل ، وأعوذ بـك من غلبة الدين وقهر الرجال» (٢) .

٢ ـ والمؤمن مبتلي ، ومما يبتلى بـه الحزن ، فهو يثـاب عليـه . للحـديث «مـا يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكهـا إلا كفر الله بها من خطاياه» (٣) .

٣ ـ والحزن أمر قد جُبل عليه العبد وفُطر ، وصـدق الله العظيم «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ

---

(١) آل عمران : ١٣٨ ـ ١٣٩

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري .

﴿ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [1] .

وأما لماذا الحزن :

١ ـ فلابد من الحزن، كباعث إلى الخير، يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ «إن القلب لم يكن فيه حزن ، خرب كالبيت إذا لم يكن فيه ساكن ، وإن قلوب الأبرار لتغلي بأعمال البر وإن قلوب الفجار لتغلي بأعمال الفجور ، والله يرى هومكم فانظروا رحمكم الله ما هومكم» ما الذي يشغل القلب وقد خلق العبد حتى يكون قائماً بأمر الله؟ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [2] هم الرزق ، هم الأجل أو حزن عليهما ، ولا نصيب لله من هذا الحزن .

٢ ـ فلابد من الحزن ، فالعبد مفرط ومقصر في حق الله ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ [3] وأول شروط التوبة هو الندم ، وما الندم إلا الحزن في القلب يكون ، وإلا فقد قال العلماء : الذنب الصغير يكون عند الله عظيماً : إذا فرح العبد بفعله ، وحزن على فواته ، وتلك توبة السفلة إذا جلسوا وتذاكروا ما فعلوه في شبابهم ، ذكروه على وجه التفاخر ، والتحسر على فوات القدرة على الحرام ، فأولئك لا توبة لهم ، وذنبهم محفوظ لا يمحى أبداً . قال تعالى ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [4] والتوبة النصوح هو أن يستغفر من الذنب كلما ذكره ويحزن عليه كلما ذكره .

---

(١) الأنعام : ٣٣ .

(٢) الذاريات : ٥٦ .

(٣) عبس : ٢٣ .

(٤) التحريم : ٨ .

وأما أنواع الحزن :ـ

١ ـ حزن الآخرة :

أ) في صلاتك : فلابد من إظهار الفاقة والاحتياج والتطوع والتضرع للحديث «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج» [١] .

ب) أن تستشعر أنها آخر صلاة تصليها . للحديث «إذا صليت فصلي صلاة مودع» [٢] .

جـ) بالحزن على فوات طاعة «ودخل رجل على كرز بن وبرة وهو يبكي فقال له : أتاك نعي بعض أهلك فقال: أشد ، فقال : وجع يؤلمك ، قال: أشد ، قال : فما ذاك ، قال : لم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا لذنب أحدثته» .

د) أن تستشعر عظم الآيات التي تقرأها ، كان عمر يهتز بالبكاء . إذا قرأ «إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله» وأقام الرسول ليلة في قوله تعالى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣] .

٢ ـ حزن المصائب : فراق حبيب أو فقده أو موته ، أو خيانة صديق أو مرض مفسد للبدن .

أ) فراق حبيب : حديث جبريل «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارقه وأعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس» [٤] .

ب) أو بفقده : كفراق يعقوب لولده يوسف « وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه ابن ماجة .

(٣) المائدة : ١١٨ .

(٤) الطبراني في الأوسط والحاكم .

عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ »[1] . كظيم : قال قتادة : أي ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق ، فهو كاظم شكواه إلا إلى الله فهو يقول «إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون»

جـ) أو موته : مات إبراهيم ولد المصطفى - ﷺ - فبكى وقال : إنّ العين لتدمع وإنّ القلب ليحزن ولكن لا نقول ما يغضب الله ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون»[2] .

د) خيانة صديق : ومن الناس من يكون طبعه طبع الذئاب من الحيوانات،وحدث أن امرأة رأت ذئباً صغيراً فحنت عليه وكانت تسقيه من شاة عندها ، فلم كبر الذئب أكل الشاة وهرب فقالت :

بقرت شويهتي وفجعت قلبي … وكنت لها ابناً ربيب
غذيت بدرها وعشت معها … فمن أدراك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع ذئب … فلا أدب يفيد ولا أديب

هـ) مرض مفسد للبدن : للحديث «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته عنهما الجنة»[3] «إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي»[4] .

٣ - **حزن الأخوة** : في إسلامنا جنسية المسلم عقيدته ، فكل من قال لا إله إلا الله فهو أخ لك تحمل همه ، تفرح لفرحه ، وتحزن لحزنه ، ومن لم يك كذلك ففي إيمانه نظر ، للحديث «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[1] ورؤى صلاح الدين حزيناً فقيل له : لِمَ الحزن ، فقال : كيف

---

(١) يوسف : ٨٤ .
(٢) فقه السنة مجلد١ ص٤٢٥ .
(٣) رواه البخاري .
(٤) رواه مالك .

أضحك والمسلمون محاصرون في مدينة كذا». وهي تبعد عنه آلاف الأميـال. فما بـال من يمثلون أمتنـا لا يُرَون إلا فرحين مستبشرين وأحوال المسلمين كلها فواجع يصدق فيها قول الشاعر :

لمثل هـذا يـذوب القلب من كمـد إن كان في القلب إسلام وإيمـان

ولكنهـا البلادة ، وإنغماس الأمـة في شهـواتهـا ، وحرصهـا على الحيـاة أيـاً كانت هذه الحياة حتى ولو كانت تحت أقدام أعداء الله وأحذيتهم .

٤ ـ حزن على واقع الأمة :

أهذه أمة محمد ؟ أهذه أمة الإسلام التي بذل الأصحاب مهجهم لإيصـال نور الإسلام إليها وهاجروا وقاتلوا وقتلوا .؟

ـ أمة الإسلام التي أصبح فيها المعروف منكراً والمنكر معروفاً .
ـ أمة الإسلام التي أصبح فيها الخير شراً والشر خيراً .
ـ أمة الإسلام التي أصبح فيها الذل عزاً والعز ذلاً .
ـ أمـة الإسلام التي أصبح فيهـا السفلـة هم الـذين تسلـط عليهم الأضواء والأخيار هم المبعدون .

أيهـــا النـــاس أعيروا سمعكم إنني أقـــذف نـــاراً لا كـــلامـــاً
مـــا أنـــا المـــأســـور لكن أمـــة أصبحت تشكوا كما يشكو اليتـامى
مـــا أنـــا الشـــاكي لكن أمـــة لم تكن عميـــاً ولكن تتعـــامى
ضيعت مـــا كان من أمجـــادهـــا وغـــدت شرقـــاً وغربـــاً تترامى

وأما موقف المؤمن من الحزن :

فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ جملة أدوية للحزن منها :ـ

أ ـ الـدعـاء : كان رسول الله ﷺ إذا أحزنـه أمر قـال : « يـا حي يـا قيـوم برحمتك استغيث » رواه الترمذي ويقول «دعوات المكروب : اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كلـه لا إلـه إلا أنت»[1]

---

(١) رواه أبو داود .

ب ـ الاستغفار : للحديث «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» [1] .

جـ ـ الصلاة : إن النبي ﷺ إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة ، قال تعالى ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [2] .

د ـ الجهاد : للحديث «عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يدفع الله به عن النفوس الهم والغم» . رواه الطبراني . وقال تعالى ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [3] .

هـ ـ الإيمان بقدر الله سبحانه وتعالى : قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [4] . « ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ » [5] ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [6] .

وفي أعدائه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [7] . فما من حي ولا ميت ولا حجر ولا شجر ولا إنس ولا جن ولا حاضر ولا ماضي ولا ذرة ولا جرم إلا وهو يجري وفق مشيئة الله سبحانه وإذا أيقن العبد بهذا ، فلا يحزن لفوات ولا يفرح بما يأتي ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [8] . ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرءها إن ذلك يسير﴾ .

وأما المذموم من الحزن :

الحزن على تخاذل المهازيل والمعرضين عن الحق ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

(١) رواه أبو داود .
(٢) البقرة : ٤٥ .
(٣) التوبة : ١٤ .
(٤) القمر : ٤٩ .
(٥) طـه : ٤٠ .
(٦) الأعلى : ٣ .
(٧) الأنعام : ١١٢ .
(٨) الحديد : ٢٣ .

﴿ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ (١) . ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٢) ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (٣) . لذا كان من هديه - ﷺ - أنه إذا خرج في غزوة وتنادى الأصحاب يارسول الله فلان لم يأتي معنا فيقول :«إن كان فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن لم يكن فيه خير فقد كفاكم الله شره»(٤) .

---

(١) المائدة ٤١ .

(٢) الكهف : ٦ .

(٣) النحل : ١٢٨ .

(٤) تهذيب سيرة ابن هشام ص٢٣١ .

المعصية

قال تعالى ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [1] .

إن للنار أهل ، هم لها أهل ، سمتهم أنهم انتقلوا من درجة كسب السيئة وفعلها إلى مرحلة معايشة المعصية في حياتهم كلها فلا يتحرك إلا بها ولا يبصر إلا من خلالها ولا يحكم إلا بتأثيرها .

فما المعصية ؟ ولماذا يعصي العبد ربه ؟ وكيف النجاة منها ؟

أما المعصية : فهي ضد الطاعة والمراد بها مخالفة العبد ربه فيما أمره أو نهاه.

١ ـ وبغض المعصية دليل إيمان : للحديث «إن المؤمن إذا عمل الحسنة سرته ورجى ثوابها وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها»[2] .

٢ ـ وعدم استشعار ثقلها دليل نفاق ، لقول ابن مسعود «إن المؤمن إذا عمل السيئة وكأنها جبل يكاد يسقط عليه وإن المنافق إذا عمل السيئة فكأنها ذبابة وقفت على أنفه فقال لها هكذا» .

٣ ـ وبالمعصية يحرم العبد الرزق : للحديث «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» [3] .

٤ ـ وهلاك الأمم إنما كان ويكون بسبب المعصية والذنوب ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ أي في الأموال والأولاد والأعمال والجاه العريض ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مدراراً﴾ أي شيئاً بعد شيء ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم

(١) البقرة ٨١ .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه أحمد .

﴿ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾[1] فذهب الأول كأمس الذاهب وهلكوا كما هلك من سبقهم .

وأما لماذا المعصية :ـ

١ ـ لجهل العبد بربه ونفسه : يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «من عرف ربه عرف نفسه ، ومن عرف نفسه عرف ربه» جهل العبد بربه بأسمائه وصفاته وقدره وقدرته ، قال تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] ثم جهل العبد بنفسه : أنت من أنت ، في مادة خلقك؟ ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[3] (ضعيف حقير) بصق رسول الله ـ ﷺ ـ في يده ثم قال «يقول الله عز وجل يا ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه»[4] وعندما أراد إثبات بشرية عيسى وأمه وأنهما ليسا بإلهين قال: «وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ»[5]. ومن يأكل الطعام يحتاج إلى الاستفراغ من البول والغائط وهي صورة قبيحة لا تناسب جلال الألوهية ، رحم الله الحسن إذ يقول :«عجباً لابن آدم يمسح الغائط في اليوم مرةً أو مرتين ثم يتكبر على الملك الجبار» .

٢ ـ ضعف اليقين: بالله ووجوده، ووجود الجنة والنار والحساب في الآخرة، بل يشك في الموت أن يأتيه ويراه يحصد من أمامه ووراءه ، كان عبدالرحمن بن يزيد رجلاً وجليساً لعبد الملك بن مروان ، فلما مات ودفن وتركه الناس وحيداً وقف عبدالرحمن على قبره ، وقال :«أنت عبدالملك أنت الذي كنت تعدني فأرجوك وتتوعدنى فأخافك ، أصبحت

---

(١) الانعام ٦ .

(٢) الزمر : ٦٧

(٣) المرسلات ٢٠ .

(٤) رواه أحمد وابن ماجه .

(٥) المائدة ٧٥ .

وليس معك من ملكك غير ثوبيك وليس لك من أراضيك إلا ذراعين في طول أربعة أذرع ثم انقلب إلى أهله واجتهد في العبادة» عندما علم عِلم اليقين أن كل مالكَ هالكٌ إلا الله وحده ، وكل مُلْك يزول إلا مُلْك الله وحده ، فترك مجالسة الملوك إلى صحبة ملك الملوك فهو الأولى بكل ذل وحب وخدمة .

٣ - وقد يذنب العبد لأنه غير مرغوب فيه في الملأ الأعلى : إذا بلغ العبد حداً من الذنوب حرم التوفيق إلى العمل الصالح ، يقول الحسن :«إن بين العبد وبين الله حداً من المعاصي معلوماً إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير» وفي الحديث «إن الله إذا أحب عبداً نادى يا جبريل ؛ أيقظ فلاناً فإني أحب أنْ أسمع صوته»

وأرباب القلوب يقولون : أيها المعرض عنا إنّ إعراضك منّا
لو أردناك جعلنا كل ما فيك يردنا

أي أنَّ ما تجده (أيها المعرض) عن ربك وطاعته من ضيق بطاعة الله ونفور منها ، ليس لأنك أنت لا تريد ، بل لأن الله سبحانه لا يريدك ، ويكره وجودك في الصالحين لإصرارك على العقوق ، وعدم الرغبة منك إلى الله والدار الآخرة مما جعلك ممقوتاً في الملأ الأعلى غير مرغوب فيك وصدق الله العظيم ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ

وأما النجاة من المعصية :

١ - أن نعظم أمراض القلوب فهي أشد من أمراض الجسد وأدعى إلى علاجها يقول أحد السلف «واعجباً من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه» . وفي الحديث «إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذافسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1].

(١) متفق عليه

﴿ إن الله لا ينظر إلى أجسـامكم ولا إلى أمـوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم﴾ [١].

٢ ـ أن تتأمل فيما أعده الله للعصاة من عباده من أليم عذابه في حره ﴿ ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ﴾ [٢] «إن أهون أهل النار عذاباً رجل يوضع تحت أخمص قدميه جمرتان من حرارتها يغلي دماغه » [٣] وإنه لاموت هناك بل هو عذاب دائم ﴿ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ وللحديث : «يؤتى بالموت على صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ويقال لأهل الجنة خلود فلا موت ويقال لأهل النار خلود فلا موت» [٤] والعذاب في تصاعد لقوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [٥] وهي أشد آية في كتاب الله .

٣ ـ أن تتأمل في أحوال أصحاب الجاه عند وفاتهم :

هارون الرشيد : عند احتضاره طلب أمواله وكان ينظر إليها ويقول: ﴿ما أغني عني ماليه هلك عني سلطانية﴾ والمأمون فُرِش له التراب فاضطجع عليه وكان يقول :«يامن لايزول ملكه إرحم من قد زال ملكه»

عمرو بن العاص كان ينظر إلى صناديق أمواله ويقول :«من يأخذها بما فيها ليتها كانت بعرا» .

٤ ـ أن تتأمل في أحوال الطالحين وخوفهم مع صلاحهم ﴿الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة﴾ المؤمن يجمع بين الإحسان والخوف والمنافق يجمع بين الإساءة والأمن .

---

(١) مسلم

(٢) متفق عليه

(٣) مسلم

(٤) البخاري ومسلم

(٥) النبأ ٣٠.

اليأس

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ (١)

من علامات مرض القلب أن العبد إذا كان في نعمه وأنزل الله عليه البلاء اختباراً ، استقبله باليأس وانقطاع الأمل من أن يتبدل الحال أو يتغير ، وبالكفر والجحود لقديم نِعَمْ الله عليه .

فما اليأس ؟ وما أسبابه ؟ وما أنواعه ، وما العلاج ؟

اليأس : القنوط وانقطاع الأمل .

واصطلاحاً : إحباط يصيب الروح والعقل معاً ، فيفقد العبد الأمل في إمكانية تغير الأحوال والأمور .

ومما ينبغي أنَّ تعلمه :ـ

١ ـ أن اليأس في إسلامنا منهي عنه قال تعالى ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ (٢)

٢ ـ بل نعت ربُ العزة اليائس بأنه كافر ضال . قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ ومن يقنط من رحمته إلا الضالون ﴾ (٤) ذلك لأن العبد أساء الظن بربه في موضعين :

أ) أنه أدعى العلم ونسب الجهل إلى الله سبحانه والله يقول ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ

---

(١) هود : ٩ .

(٢) الحجر : ٥٥ .

(٣) يوسف : ٨٧ .

(٤) الحجر : ١■ .

﴿ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1] يقول ابن مسعود رضي الله عنه «لئن أضع جمرة في فمي حتى تنطفي أحب إليَّ من أن أقول لأمر قضاه الله تعالىٰ ليت الأمر لم يكن كذلك».

ب) لأنه نسب القدرة إلى غير الله سبحانه ، وظن أن الأمر بيد فلان من البشر وصدق الله العظيم ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف (٥٤) .

وللحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء»[2]

يقول الشوكاني (فمن ظن بربه الخير وأنه القادر سبحانه وأنه بيده ملكوت كل شيء عامله الله سبحانه على حسب ظنه به ، وإن ظن بربه السوء ونسب إلى الله العجز ، وفقدان القدرة عامله الله سبحانه على حسب ظنه به» .

٣ ـ وكمال قدرة الله سبحانه وأسماؤه العليا إنما تبرز وتظهر عندما تنقطع أسباب البشر ، فهذا الخليل إبراهيم عليه السلام وقد ذهب بزوجه هاجر ووليدها إسماعيل لوادٍ غير ذي زرع عند بيت الله الحرام ولم يكن البيت قد بني بعد ، وتركهم وولىٰ دبره ، قامت إليه هاجر تقول : إلى من تتركنا يا إبراهيم فلا يلتفت إليها ، قالت الله أمرك بهذا . قال : نعم . قالت : اذهب فإنه لن يضيعنا»[3] .

٤ ـ ولا يملك أحدٌ أبداً أن يقطع بهلاك أحد ـ وأن يحكم عليه بالبعد عن رحمة الله سبحانه فذلك أمره إلى الله وحده وفي الحديث «أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا أحدهما عابد والآخر مسرف على نفسه ، فكان العابد يعظ المسرف ويزجره وينهاه ، والمسرف يقول : دعني وربي ، أبعثت عليَّ رقيباً حتى قال له العابد يوماً : لا يغفر الله لك . فيقول الله عز وجل يوم القيامة : أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي اذهب أنت (أي المسرف) إلى الجنة واذهب إلى النار (أي العابد) فوالذي نفسي بيده كلمة

---

(١) البقرة : ٢١٦ .
(٢) رواه ابن حبان .
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ص١٥٥ .

اهلكت دنياه وآخرته»[1] .

وأما أسباب اليأس :

١ ـ طبيعة الإنسان واستعجاله الأمور : قال تعالىٰ ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾[2] وأثنىٰ المصطفىٰ ﷺ علىٰ التثبيت وترك العجلة والرفق فقال لأشج عبدالقيس (إن فيك خصلتين يحبُّهما الله : الحِلمُ والأناة) [3] .
ويقول :«أن الله رفيق (رؤوف لطيف) يحبُّ الرفق في الأمر كله» [4] .

وكثيراً ما تكون العجلة سبباً إلى التوثيق الخاطىء ، والقرار الهادم لا البناء . والمتعجلون هم من أقصر الناس نفساً وتحملاً وأسرعهم يأساً عندما يرىٰ الأمور لا تجري علىٰ هواه وكما يشتهي . قال تعالىٰ ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴾ نزلت فيمن كانوا يتعجلون للقتال قبل أوانه وأمر الله به ، فلما كتب عليهم وفرض إذا بهم جزعوا وخافوا من مواجهة الناس خوفاً شديداً» [5] .

٢ ـ أن يزن العبد الأمور بموازين الأرض لا السماء : قال العلماء : والمسلم يجري الأمور على حقائقها لا على ظواهرها فلا تهزه انتفاشة الباطل ، وكثرة أعوانه ، وإلا أصابه اليأس وفقد الأمل جاء رجل إلى أحد العارفين يقول له : إن لي أعداء : فقال له العارف ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ

---

(١) رواه أبو داود بسند جيد .
(٢) الإسراء : ١١ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) متفق عليه .
(٥) مختصر ابن كثير مجلد١ ص٤١٤ بتصرف .

حَسْبُهُۥٓ﴾[1] قال الرجل ولكنهم يكيدون لي فقال العارف ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2] . فقال الرجل : ولكنهم كثير فقال العارف ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3] .

٣ - مواقف فردية تعطى صفة العموم فتجعل العبد يتخذ موقفاً عاماً بسبب موقف خاص ابتليَ به وكم رأينا من أناس فقدوا ثقتهم بكل من يتحدث بالإسلام ويدعو إليه ، نتيجة موقف بسبب تجارة أو شركة تعامل معه فيها من يحمل سمت الإسلام بالخيانة بدل الأمانة ، وبالخداع بدل الصدق مما أحدث ردة فعل قاسية تجعل من جرت معه الواقعة يفقد الثقة بالإسلام وأهله ومنهم من يفقد الثقة بالبشر كلهم كقول المتنبي :

وصرت أشكُّ فيمن اصطفي لعلمي أنه من بعض الأنام

وهذا مصداق قول النبي ﷺ «لا تقوم الساعة حتى لا يأمن فيه المرء جليسه» .

وأما أنواعها :-

١ - اليأس من رحمة الله تعالىٰ : وذلك يكون لجهل العبد بربه ولو عرف ربه لعلم :-

أ) أن الله هو الرحمٰن الرحيم : والرحمن لجميع الخلق ، والرحيم بالمؤمنين كما قال ابن جرير فهو القائم بشؤون خلقه مؤمنهم وكافرهم صالحهم وطالحهم وقد ذكر أن الخليل عليه السلام استضاف رجلاً فلما علم أنه مجوسي قال له : إنْ أسلمت اضفتك . فمضى المجوسي . فأوحىٰ الله إلى الخليل يقول : يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على

---

(١) الطلاق : (٣) .

(٢) فاطر : (٤٣) .

(٣) البقرة : (٢٤٩) .

كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك ، فذهب الخليل يسعى وردَّ المجوسي ، فسأله ما السبب ؟ فقص عليه الخليل ، فقال المجوسي : هكذا يعاملني ربي إعرض على الإسلام فأسلم»[1]. وصدق الله العليم ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] .

ويأس العبد من رحمة الله يكون عند الذنب وعند الكرب :ـ

أما عند الذنب : فقول الله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3] .

وفي الحديث : الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً ثم ندم . وسأل عابداً من عبَّاد بني إسرائيل هل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله وأكمل به المائة ثم سأل عالماً من علمائهم فقال : من يحول بينك وبين التوبة ، ثم أمره بالذهاب إلى قرية بعيدة يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأمر الله أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيها كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة»[4] .

وعند الكرب : ينبغي على العبد عند الكرب أن لا ينسى أمرين :

أ ـ قديم إحسان الله عليه : وعندما تأخر الوحي وانقطع عن رسول الله ﷺ قال المشركون : ودع محمداً رَبُّهُ أي ترك الله محمداً فأنزل الله ﴿والضحى﴾ وذكَّره بقديم إحسانه ومنّه وفضله فقال ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[5] ومن كان الله قد عوده الإحسان أينساه في حال شدته وكربه .

---

(١) إحياء علوم الدين مجلد٤ ، ص١٥٢ .

(٢) الأعراف : (١٥٦) .

(٣) الزمر : (٥٣) .

(٤) رواه الشيخان .

(٥) الضحى : (٤ ـ ٥) .

ب ـ أن تعلم أن الأمر هو ابتلاء واختبار ، فالدنيا دار بلاء قال علماؤنا (إن ناساً من الناس يريدون هذه الدنيا خالية من المكدرات والمنغصات ، إن هؤلاء الناس حمقى لأنهم يريدون داراً غير هذه الدار . وقال العلماء : وغاية البلاء إظهار الرضى ، فإذا أظهر العبد الرضى ارتفع البلاء . قال تعالى في شأن الخليل وولده إسماعيل ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ (استسلم الوالد والولد) وانقادا وامتثلا أمر الله سبحانه ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [١] .

٢ ـ ومن اليأس يأس العبد من أن المستقبل للإسلام: لما يرى صولة الباطل، ودوله ، وبطشه بالمؤمنين وينبغي ألا ينسى المسلم أمرين :ـ

أ) أن الله ذكر وبيّن عظيم كيد أعدائه وأعقبه بوعده لاوليائه بالنصر قال تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[٢] فلا تذكر الكيد وتنسى الوعد .

ب) أن الله يؤخر نصره لأوليائه لحكمة علية ، ومما فتح الله على صاحب الظلال في تعليله :ـ

١) لأن الله يريد من أوليائه أن يبذلوا كل ما في وسعهم (من النفس والمال والوقت) لنصرة دينه سبحانه ، فالله لا يريد أن يكون أولياؤه تنابلة ينتظرون النصر يتنزل عليهم وهم قابعون في البيوت .

٢) ولأن الله يريد أن يظهر الباطل على حقيقته ، فلتجرب البشرية ما شاءت من المناهج ولكنها سوف تكفر بكل منهج حتى تعود إلى الإسلام من جديد ، فهذه الصين عاشت في ظل شيوعية (ماو) ثم كفرت بها ووصفتها بالرجعية والأفكار البالية ، والغرب المنحل أجمع العقلاء أنه لا نجاة من الأمراض الفتاكة والتفسخ والضياع إلا بالعودة إلى العفاف

(١) الصافات : ١٠٣ ـ ١٠٥

(٢) إبراهيم : (٤٦) .

والحياة الزوجية الأسرية .

٣) وحتى يستكمل الصف المسلم أسباب تربيته وأعداده من سمو في العقل، وتربية روحية عالية ، وأخوة صادقة يقتدى بها ، وإلا فأي مهزلة تكون لو مُكِّنَ لأولياء الله وما فيهم من الشتات والفرقة ما يجعلهم صورة منفردة قبيحة .

وأما العلاج :

١ ـ فضع أسوء الاحتمالات دائماً وأعدَّ نفسك لاستقبالها حتى لا تفجع بخيانة الصديق ، وانحراف من تحسن به الظن ، وأعلم بأنك تتعامل مع الله ثم مع المبادىء، والدعاة إلى زوال ودعوة الله إلى بقاء ، وتأمل كيف عاتب الله الأصحاب لترك بعضهم القتال عندما أشيع أن الرسول قد قُتِلَ في غزوة (أُحد) قال تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (١) .

٢ ـ ثم أعلم أن الأمور بعواقبها وللحديث «إنما الأعمال بالخواتيم» فلا تغرنك انتفاشة الباطل ، فإنما هي ومضة في عمر الزمن لا تلبث أن تنطفيء ، فأصبر واحتسب وأكثر من ذكر الله والدعاء . قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢) .

٣ ـ وليعلم كل من كان سبباً في إدخال اليأس على القلوب بما يحدثه من فرقة، واختلاف ، وشق لوحدة أمة محمد ﷺ أن أثمه يجري عليه مضافاً إليه آثام من غرر بهم وهو في القبر ميت للحديث «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» (٣) يقول أحد السلف رحم الله من إذا مات ماتت معه ذنوبه .

---

(١) آل عمران : ١٤٤

(٢) الرعد : (٢٨) .

(٣) رواه مسلم .

المكر

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1] . نداء إلى الغافلين من جبار السموات والأرض سبحانه ، ما الذي يجعلكم آمنين من بأسه وغضبه سبحانه أن يأتيكم في أي ساعة من ليل وأنتم نائمون أو نهار وأنتم تلعبون وكلاهما لحظات ضعف إنساني فغارة الله في غضبه لا يقف أمامها الوجود كله ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] ولكنها الغفلة من عذاب الله ومكره .

فما المكر ؟ وما أنواعه ؟ وما موقف المسلم منه ؟

☆ أما المكر :

- فإذا نسب إلى العبد فمعناه : الاحتيال والخداع ، وإذا نسب إلى الله تعالى فمعناه : التدبير ومجازاة العبيد على مكرهم ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[3] . أي احتال العبد في الإيذاء وإيصال الضرر «ومكر الله» أي ودبر الله ما يبطل مكرهم وهذا النوع يسمى في اللغة المشاكلة كما قال تعالى حكاية عن المنافقين وسخريتهم بالمؤمنين ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[4] أي أن الله سبحانه يستخف بهم و وسننتصف للمؤمنين منهم فيبطل سخريتهم بأن يضعهم في موضع السخرية أنفسهم .
- والمؤمن دائم الخشية والترقب مع إحسانه وعمله الصالح ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ

---

(١) الأعراف : (٩٨) .

(٢) يس : ٨٢

(٣) آل عمران : (٥٤) .

(٤) البقرة : (١٥) .

رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[1] قال الحسن البصري : المؤمن هو الذي يجمع بين الإحسان والخوف والمنافق من يجمع بين الاساءة والأمن . وللحديث قال الله عز وجل : لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين في الدنيا ، فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خفاني في الدنيا أمنته يوم القيامة »[2] .

☆ وأما أنواع المكر :

١ ـ مكر الله بالظالمين : وقد تعهد الله بإجابة دعوة المظلوم للحديث «ثلاثة لا ترد دعوتهم الأمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول لها لأنصرنك ولو بعد حين»[3] .

أ) وإن كان المظلوم كافراً للحديث «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»[4] .

ب) ولكنه الإمهال للحديث «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[5] .

جـ) ومن قصص الواقع : أن تاجراً وكان مسلماً صواماً قواماً وفي إحدى سفراته نزل قرية اصابتها الثلوج واتلفت المزارع والحقول وطرق باب أحد بيوتها فلما خرج إليه صاحب الدار أخبره بأنه ضيف الله وأنه يريد أن يبيت الليلة في داره ، فرحب به وكان له زوجة وولد في العشرين من عمره وله غرفتان واحدة له ولزوجته والأخرى لولده ، عرفوا من خلال جلسة العَشَاء أن الضيف يحمل مالاً وأنه تاجر ، فلما استأذن الضيف وكان قد أعد له فراشه في غرفة الولد ، وذهب الزوج وزوجته في الغرفة

---

(١) المعارج : (٢٧) .

(٢) أخرجه ابن حبان والبيهقي .

(٣) الترمذي .

(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح .

(٥) متفق عليه .

الثانية وكان الشيطان ثالثهما وبدأ الهمس الظالم لماذا لا يقتلان الضيف وهم يعيشون في فقر وما يعلم الناس بوجود الضيف . وتحول الهمس إلى واقع . شحذ الرجل خنجره ومشى على رؤوس أصابعه حتى لا يعلم به أحد ونسي الغبي أن عين الله لا تنام ، وأن للكون إلـه ، وتلمس فراش الضيف فذبحه كما تذبح الشاة ثم سحب الجثة . فصعق لقد ذبح ولده ، الذي نام على فراش الضيف ولم يشأ الضيف أنْ يوقظه من نومه ، واستيقظ الجيران ودفنوا الولد وأُدْخِلَ الوالد السجن[1] وتردد في قلوب الناس قوله تعالى ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[2] .

٢ ـ مكر الله بالعصاة :

أ) والعصاة يعيشون في غفلة أن الله غير مطلع عليهم وأنه لا يعلم سرهم، فيقول الإمام أحمد رحمه الله :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل لحظة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

ومكر الله بهم أنه سبحانه يحصي عليهم كل صغيرة وكبيرة عملوها في السر والعلن ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3] والمترف يظن جهلاً أنه أكبر من أن يفكر برب أو بدين ، فينسى المنعم سبحانه وتشغله النعمة عن الله وطاعته للحديث «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج»[4] حتى يسلبه ما أعطاه في حال قوته أو ضعفه . يقص القرآن علينا قصة رجل وله عيال وكان له جنة يتصدق منها ويدخر لعياله فلما

---

(١) كتاب عدالة السماء ـ للأستاذ محمود شيث خطاب .

(٢) آل عمران : (٥٤) .

(٣) المجادلة : (٦) .

(٤) رواه أحمد وابن جرير .

مـات ورثـه بنوه وقـالوا ، لقـد كان أبونـا أحمـق إذ كان يصرف من هـذه للفقراء ولو منعناهم لتوفر علينا شيء كثير فعوقبوا بنقيض قصدهم فـأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصـدقـة ولم يبق لهم شيء قـال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾.

أي حلفوا ليقطعوا ثمرهـا ليلاً لئـلا يعلم بهم الفقراء ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾. أي فمـا حلفـوه لا يحنثـون . ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .. آفـة سماويـة جعلتهـا كالليل سـواداً . فـاستيقظـوا

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي يناجي بعضهم بعضـاً حتى لا يسمع أحـد كلامهم ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولكن الله عـالم السر كشف كـلامهم لا تمكنـوا اليـوم الفقراء عليكم ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي غيـظ فيما يزعمون ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ظنوا أنهم أخطـأوا الطريق ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ إنهـا هي ولكن نحن لا حـظ لنـا ولا نصيب ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أعـدلهم ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ هـلا تسبحـون الله وتشكرونه على مـا أعطـاكم ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ آتوا بـالطـاعـة حيث لا تنفع ونـدموا واعترفوا حتى لا يـدفع. نهى رسـول الله ﷺ عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل[1] .

ب) وأما سلبه النعمـة في حـالـة ضعفـه كما قـال تعـالى ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾[2]

فـانظر في أي حـالـة ضعف صـار إليهـا وجـاءه مكر الله فليس له قوة وقد بلغ به الكبر مبلغه في ابتناء ثروته من جـديـد ، وليس له من معين حيث ذريته صغاراً لا يقوون على إعـانتـه بل يحتـاجون إلى من يعينهم .

---

(١) القلم : (١٦ ـ ٢٩) . مختصر ابن كثير مجلد٣ ، ص٥٣٦ .

(٢) البقرة (٢٦٦) .

قال السلف :«يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز منتقم» .

وأما موقف المسلم :ـ

١ ـ فعليه ألا ييأس من رحمة الله ونصره لأوليائه مهما علا الباطل واستشرى فهو الإمهال وما قيمة طغيان الباطل سنين في عمر الزمن إنما هي ومضات قال تعالى ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ [١] . كان الأصحاب يشكون لرسول الله ﷺ ويقولون ألا تستنصر لنا آلا تدعو لنا فيقول إن من كان قبلكم كان يؤتي بالرجل فيحفر له في الأرض ثم يمشط بأمشاط من حديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله لَيُتِمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» [٢] .

٢ ـ وأما مكر الناس : فرحم الله جعفر الصادق إذ يقول : عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع : عجبت لمن أصابه ضر كيف يغفل عن ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [٣] والله يقول ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ .

وعجبت لمن أصابه حزن وغم كيف يغفل عن ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٤] والله يقول ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ .

وعجبت لمن يمكر به الناس كيف يغفل عن ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [٥] والله يقول ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾.

---

(١) السجدة : (٥) .
(٢) رواه البخاري .
(٣) الأنبياء : (٨٣) .
(٤) الأنبياء : (٨٧) .
(٥) غافر : ٤٤ ـ ٤٥

وعجبت لمن كان خائفاً كيف يغفل عن ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ والله يقول ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [1].

(١) آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤

سادساً

أعداء

اليهود

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] . تأمل العلماء إسراء المصطفى ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فقالوا : هو ربط بين رمز الإسلام ونقطة إنطلاقه وهو المسجد الحرام ، وعلامة صحوة المسلمين أو غفلتهم ، موتهم أو حياتهم ، وهو المسجد الأقصى . فضياع المسجد الأقصى ضياع للمسلمين وعلامة تدل عليه ، وعودته عودة لهم إلى عزهم ، ولا عودة بغير الجهاد لليهود ومن ورائهم .

فما اليهود ؟ وما هو تأريخهم قديماً وحديثاً ؟ وما وسائل إفسادهم ؟ وما السبيل للانتصار عليهم ؟

أما اليهود : لغة معناها (تاب ورجع) لقوله تعالى ﴿إنا هدنا إليك﴾[2] وقيل نسبة إلى يهوذا وهو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام .

١ ـ اليهود أهل كتاب، وكتابهم التوراة، وأبرز أنبيائهم هو موسى عليه السلام.

٢ ـ منَّ الله عليهم بالنجاة من فرعون وبطشه ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [3] .

٣ ـ فجعلهم أئمة الهدى وملوك الأرض، والأمناء على دعوة الله قال تعالى ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا

---

(١) الإسراء : (١) .

(٢)الأحزاب : (١٥٦) .

(٣) البقرة : (٤٩) .

﴿كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [1] .

٤ ـ ولكنهم استقبلوا نعم الله بالجحود ، والأمانة بالخيانة :ـ

أ) فأحلوا الشرك بدل التوحيد قال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [2] وعزيز هذا قيل أنه كاهن يهودي سكن بابل سنة ٤٥٧ق م وجمع التوراة وأدخل الأحرف الكلدانية بدل العربية فلقبوه بابن الله ، بل نسبوا إلى الله سبحانه كل نقيصة،وذكر رب العزة بعضاً منها كوصفهم لله سبحانه بالفقر والبخل قال تعالى ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [3] وقال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [4]

ب) واستقبلوا كتابهم بالتحريف والتأويل قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [5] فجعلوا من التوراة تسعة وثلاثين سفراً أعظمها عندهم هو (التلمود) الذي وضعه أجدادهم واحشوه بالأكاذيب والحقد الأسود وإدعاء الحق في استبعاد العالم لخدمتهم.

جـ) وجعل أحبارهم ورهبانهم من أنفسهم آلهة يشرعون للناس ما يشتهون قال تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [6] .

وأما تاريخهم في القديم وفي الحديث :ـ

١ ـ فلقد كان موقفهم من أنبيائهم هو التكذيب والقتل والتشويه لصورتهم قال تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

---

(١) القصص : (٥ ـ ٦) .

(٢) التوبة : (٣٠) .

(٣) آل عمران : (١٨١)

(٤) المائدة : (٦٤) .

(٥) البقرة : (٧٩) .

(٦) التوبة : (٣١) .

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[1] وفي الحديث «يا أبا عبيدة إن بني إسرائيل قتلوا ثلاثاً وأربعين نبياً في أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة وسبعون عن بني إسرائيل يأمرونهم بالمعروف فقتلوهم» بل شوهوا صورة الأنبياء ، فقد جاء في سفر التكوين في الإصحاح التاسع منه (أنَّ نوحاً هو أول من شرب الخمر . وأنَّ لوطاً ضاجع ابنتيه في مغارة) ومن إسرائيلياتهم التي دست في كتب التفسير من أن داود عليه السلام أحب زوجة قائده (أوريا) فما زال يبعثه في مقدمة الجيوش حتى قتل وتزوج بزوجته . أخلاقيات لا تليق إلا بالسفلة من الناس يلصقونها بأنبياء الله كذباً وزوراً .

٣ - ثم موقفهم من موسى عليه السلام وقد سعى إلى تخليصهم من فرعون وبطشه ، وبذل لهم كل ما في وسعه من نصيحة ودعوة وتوصية ولكن أنى لهذا الاعوجاج أن يستقيم وتأمل معي في موقفين :-

أ) **الأول** : وقد جاوزوا البحر ، وقد أجرى الله لهم آية لا يملك العبد أمامها إلا أن يسجد لله معظماً له ومعترفاً بقدرته ، خرج موسى ببني إسرائيل هارباً من فرعون وجنده ، فلقيه فرعون قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ(أي كل من الفريقين) صاحبه ، قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ، قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ » [2] .

ماء البحر يقف كالجبل الكبير حتى يعبر موسى ومعه بنو إسرائيل فلما أراد فرعون العبور بجيشه عاد البحر كهئيته قال تعالى ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [3] . كيف استقبل بنو إسرائيل هذه الآية العظيمة قال تعالى ﴿ وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى إجعل لنا آلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ [4] .

---

(١) البقرة : (٨٧) .
(٢) الشعراء (٦١ - ٦٣) .
(٣) طـه : (٧٨) .
(٤) الأعراف : ١٣٨ .

ب) **الثاني** : مع نبيهم موسى عليه السلام فيما يرويه البخاري «إن موسى عليه السلام كان حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياءً منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقال ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدررة وإما آفة ، وإن الله عز وجل أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوماً وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما خرج أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبراه فيما يقولون »[1] قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[2] .

٣ - ثم موقفهم من رسول الله ﷺ : فلقد كان خير مؤدب لهم ، وعارف بالذي يصلح معهم . كانت لهم أحياء داخل المدينة وخارجها .

أ - **بنو قينقاع** : حيث تعرضت يهود لامرأة مسلمة جلست إلى صائغ منهم فربط طرف ثوبها إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين وقتل الصائغ اليهودي ، فقام اليهود إليه فقتلوه ، فحاصرهم النبي ﷺ عشر ليال ثم أجلاهم بعد توسط ابن سلول[3] .

ب) **بنو النضير** : ذهب إليهم النبي لأمر - وكان بينهم وبين الرسول عهد استند عليه الصلاة والسلام إلى حائط لهم فتآمروا على إلقاء صخرة من أعلى السطح على رسول الله ﷺ فأعلم الله نبيه فنهض مسرعاً وأرسل إليهم يقول لهم : أنْ اخرجوا فلا تساكنوني في المدينة أبداً ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر . فحاصرهم واشترط معهم ألا يأخذوا إلا ما تحمله الإبل وأن يتركوا أسلحتهم فقاموا إلى بيوتهم فهدموها وأنزل الله فيهم ﴿

---

(١) البخاري .

(٢) الأحزاب : (٦٩) .

(٣) تهذيب السيرة ص١٧١ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ (١)

جـ) **بني قريظة** : وكان بينهم وبين رسول الله عهد ، ولكنهم عندما جاء الأحزاب من قريش والقبائل وأحاطوا بالمدينة ، إذا بهم ينقضون العهد مع النبي ﷺ ويفتحون أبوابهم لقريش حتى تأتي المسلمين من خلفهم ، وردَّ الله كيدهم بما جرى بينهم من خلاف وبالريح التي أرسلها عليهم ، فحاصرهم النبي ﷺ حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ لأنه من الأوس وهم حلفاء لهم كانوا، فحكم فيهم سعد بن معاذ بأن يقتل الرجال ، وتسبي النساء وتقسم الأموال» وقال المصطفى ﷺ ، ولقد حكمت فيهم بالذي قضى الله من فوق سبع سموات» (٢) .

د) **يهود خيبر** : فلول اليهود اجتمعوا هناك ، وأرادوا أن يغزوا المدينة متعاونين مع (غطفان) ولكن أعلم رسوله بفعلتهم فسار إليهم وصلى الصبح قريباً منهم ثم صرخ «الله أكبر خربت خيبر ، الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين» ففتح رسول الله ﷺ بعضها عنوة وبعضها صلحاً ، فما كان عنوة قسمه على المسلمين وأجلى أهلها ، وما كان صلحاً استبقاهم على أن يعطوا نصف الغلّة للمسلمين ، شريطة ألا يغدروا ، وإلا رحلوا ، فغدروا فأجلاهم عمر رضي الله عنه في عهده» (٣).

وأما في **الحديث** : فإن يهود وراء كل فكرة هدامة وحادث مدمر مفسد: -

---

(١) الحشر : ١ .

(٢) تهذيب السيرة ص٢٢٨ .

(٣) تهذيب السيرة ٢٢٨

(٤) تهذيب السيرة ٢٦٠

١ - **أما في مجال الفكر :** فكارل ماركس يهودي ، وشعاره الإلحاد - لا إلٰه والحياة مادة .

٢ - **وفرويد يهودي :** صاحب النظرية الجنسية ، وأن كل قيد أخلاقي يعتبر قيداً باطلاً .

٣ - **مالتس يهودي :** صاحب نظرية الإنفجار السكاني ، ودعوة إلى تحديد النسل ونشرها بين الأمم إلا في يهود .

٤ - **شارل اليهودي :** والذي سمى نفسه (بولس) الذي ادعى النصرانية فأدخل التثليث ، وعقيدة الفداء ، في الديانة النصرانية .

٥ - **عبدالله بن سبأ :** يهودي أسلم زمن عثمان بن عفان كذباً ، ثم صار يدعو لآل البيت وأنهم أولى بالخلافة من غيرهم وجاء بعقيدة التقية والرجعة ، وتأليه الأئمة وتحريف الكتاب مما أحدث الشرخ العظيم في أمة محمد ﷺ .

وأما في الأحداث : فأقرأ كتاب «أحجار على رقعة الشطرنج» تعلم أنه ما من ثورة ، ولا حرب ولا دمارٍ يكون إلا ولليهود يدٌ فيها، وتوجيه جاء في بروتوكولات حكماء صهيون : سوف نسوق الأحداث سوقاً ، حتى يظنها الناس أنها صنع القدر ، فلا يستطيعون لها حلاً» .

وأما وسائل إفسادهم :-

١ - **الماسونية :** وهي منظمة يهودية، وجمعية من أخطر الجمعيات، وأعمقها سراً وأقدمها عمراً، ولها درجات وطلاسم تستقطب رجال السياسة، والعلم، والفكر، والمال من كافة الأديان والملل فتجندهم ليكونوا أدوات تنفيذية لها .

٢ - **نوادي الروتاري :** وهي تبع للماسونية العالمية ، وتعتمد (الاختيار) في عضوية النادي وترفع شعار الإخاء والتعاون ، وتستدرج أعضائها إلى الإباحية ، والارتباط بشبكات العمل الذي يخدم اليهودية في العالم ،

وهي منتشرة في بلاد الإسلام ، صريحة أو من وراء ستار .

وأما السبيل للانتصار عليهم :

١ ـ **عودة لإسلامنا** : فالإسلام هو عدُوّهم اللدود وهم يعلمون جيداً أن هلاكهم على أيدي المسلمين يكون . ولكنهم مطمئنون لأن بين المسلمين وإسلامهم جبال وسهول وشبهات وعداء صنعته يهود ، ويوم يعود المسلمون يكون النصر في ركابهم للحديث «لتقاتلن اليهود فيختبيء اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي تعال فأقتله» [١] .

٢ ـ **التخطيط** : وكل عمل يفتقد التخطيط ينتهي إلى الفشل والتخطيط سمة في يهود ومؤتمر بال في سويسرا ١٨٩٧ وقد عقده هرتزل زعيمهم ، وعند ما خرج من الاجتماع سأله الصحفيون ماذا فعلتم؟ قال: أقمنا دولة إسرائيل، وبعد ٥٠ سنة قامت دولة إسرائيل ١٩٤٨ كما خططوا» .

٣ ـ **الإخوة العالمية** : وأن نتجاوز حدودنا الإقليمية ، فما يجري في أرض فلسطين ليس خاصاً بمن ينتمون إلى هذه البلاد وإنما هو هَمٌّ كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وإلا ففي إسلامه نظر للحديث : «من لم يهتّم بأمر المسلمين فليس منهم» [٢] وتأمل معى كيف أن يهود كونت دولتها من شذاذ الآفاق والرابط بينهم هي العقيدة (اليهودي الغربي مع اليهودي الشرقي والعربي والأوربي بل يأتون (بالفلاشا) من بلاد المجاعة ويبنون لهم مدينة خاصة بهم ويضعونَ لهم برنامجاً صحياً وغذائياً وعلمياً حتى ينزلوا إلى المجتمع مزودين بكل ما يحتاجونه ، وأمة الإسلام لم تفتح أبوابها وفي أشد الأزمات إلا إلىٰ فرق الطرب ، والعاهرات وعباد البقر والصليب .

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه الطبراني .

النصارى

قال الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[1]

آخر الأنبياء إلى بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام فأخذ ميثاقهم بأن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئا فنقضوا الميثاق بالتحريف والإنحراف فكان جزاؤهم البغضاء والعداوة فيما بينهم . **فمن النصارى وكيف حدث الانحراف فيهم وما مظاهر ضلالهم ؟ وما موقف المسلم منهم ؟**

☆ **أما النصارى :** نسبة إلى الناصرة وهى بلدة في الشام في فلسطين أقام فيها المسيح عليه السلام . وقيل هو مبني على دعواهم بأنهم أنصار الله تعالى وكذبوا في دعواهم ، وهم أهل كتاب وكتابهم الإنجيل ، ونبيهم عيسى عليه السلام .

وينبغي أن تعلم :

١ ـ ما بعث الله نبيا إلا وألزمه وأخذ عليه وعلى أمته العهد أنه إذا بعث محمد ﷺ في زمنه فعليه أن يتبعه ، وصدق الله العظيم ﴿وأذ أخذنا الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنه قال ءَأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ يقول على كرم الله وجهه ورضى الله عنه «لم يبعث الله تعالى نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ثم تلا الآية .[2].

٢ ـ وأن تعلم إن ما جاء في كتاب الله تعالى من ثناء على النصارى في قوله

(١) المائدة : (١٤)

(٢) مختصر ابن كثير مجلد١ ص٢٩٦٠آل عمران ٨١ .

تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1]

هذا الثناء إنما هو ثناء خاص في حادثة خاصة سمع فيها نصارى الحبشة القرآن وقيل النجاشي فبكوا واخضلوا لحاهم بدموعهم وأسلموا» أما ما سوى ذلك إنما هو تاريخ أسود مظلم ، فهم الذين استعمروا بلادنا قبل ٣٠ سنة تقريباً وما أحدثوه من ابادة وتشريد وافساد يشهد بلد المليون شهيد وغيرها ، ومن قبل ما أحدثوه في بلاد الأندلس عند ما دخلوا قرطبة وأسسوا محاكم التفتيش التي يقوم عليها القساوسة الذين ظاهرهم الرحمة ولكن قلوبهم قلوب الذئاب بل الضباع من خبثها ، فأحرقوا الكثير من أهلها واجبروهم على التنصر وترك الإسلام ولكن قومي لا يعلمون ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما كيف حدث الإنحراف فيهم :

فلقد علمنا أن المسيح عليه السلام جاء بالتوحيد الخالص لله سبحانه .

فكيف حدث الإنحراف إذاً ؟ فينبغي أن تعلم :-

١ ـ ما من انحراف فكري إلا ولليهود يدّ في إحداثه وذلك لما يؤول إليه من نفع عظيم لليهودية العالمية ومخططاتها . وهذا الذي جرى في إسلامنا أيضا فهذا (عبدالله بن سبأ) يهودي تظاهر بالإسلام زمن عثمان رضي الله عنه ثم أخذ يدعو الى آل بيت وألصق بهم من صفات الربوبية التي لا تنبغي إلا لله تعالى وجاء بمبدأ التقية ، والرجعة ، وغيرها مما أحدث في أمة الاسلام ما زلنا نتجرع غصصه وسوف يبقى حتى يأذن الله بزواله .

٢ ـ وهذا الذي حدث في الإسلام حدث في النصرانية حيث ادعى (شارل)

---

(١) المائدة : (٨٢)

اليهودي أنه كان في طريقه الى دمشق فتجلى له المسيح يقول له (لماذا تضطهدني إني أنا اليسوع) وجاء بهذه الفرية وادعى أنه يتلقى تعاليمه من المسيح مباشرة ولما كان (مجمع نيقية) سنة (٣٢٥م) الذي عقده (شارل) اليهودي والذي سمى نفسه (بولس) ، بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير وحضره من الآباء (٢٠٤٨) نفر وعرض (شارل اليهودي) أفكاره المنحرفة فَرُفِضَت كلها فلما بلغ النقاش العراك وكانت الغالبية مع (أريوس) الذي كان يدعو إلى التوحيد . وتنزيه النصرانية من إنحرافات (شارل) الذي صار اسمه (بولس) ثم أنفض ثم أعيد عقده ولم يحضره إلا (٣١٨) الموافقون لإنحرافات (بولس) وأقرت وهي :

أ) أن المسيحية دين عالمي وليس لليهود فقط .

ب) إقرار عقيدة التثليث وألوهية المسيح عليه السلام .

٣ ـ عقيدة صلب المسيح وانه ضحى بنفسه عن خطيئة البشر[١] رحم الله ابن القيم حيث سمى عقيدة النصارى (عقيدة الحمير) ويقول لهم أنتم تقولون أن اليهود قاموا إلى المسيح وهو ابن الله فقتلوه ، ولم يستطع أبوه استنقاذه ، فالمنطق يفرض أن تعبدوا اليهود لانهم قتلوا الابن وغلبوا الأب فهو يقول:

عجباً للمسيح بين النصارى ... وإلى الله والداً نسبوه
اسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه
فإن كان ما يقولون حقاً ... فاعبدوهم لانهم غلبوه

وأما مظاهر ضلالهم :

١ ـ **الإشراك بالله** : وذلك أنهم جعلوا من عيسى عليه السلام الذي أول ما نطق وهو في المهد «قال إني عبدالله» جعلوه إلهاً، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٢] ومنهم من قال بالأقانيم الثلاثة أن الله هو الأب والابن هو عيسى والإقنيم الثالث هو روح القدس وقيل أمه . وقال

(١) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة .

(٢) المائدة : (١٧) .

تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (1) ومنهم من جعل المسيح ابنا لله تعالى . قال تعالى ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (2) والمسيح عليه السلام يبرأ منهم ومن دعواهم الكاذبة يوم القيامة قال سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (3)

٢ - أنهم جعلوا من أحبارهم آلهة يشرعون لهم : دخل عدي بن أبي حاتم على النبي ﷺ وكان يعلق الصليب على صدره فسمع رسول الله يقرأ ؟ ﴿إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ فقال عدي : يارسول الله ما إتخذناهم أرباباً فقال : ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فأطعتموهم قال بلى ؟ قال فذلك عبادتكم إياهم﴾ (4)

٣ - ينكرون نبوة ورسالة محمد ﷺ التي بشر بها عيسى السلام ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (5)

٤ - إنهم لا يرضيهم إلا أن يخرج المسلم عن دينه ، قال تعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ (6)

وإنهم يلتمسون لذلك أساليب كثيرة أبرزها الاستشراق والتبشير :

---

(١) المائدة : (٧٢)

(٢) التوبة : (٣٠) .

(٣) المائدة : (١١٧) .

(٤) رواه أحمد والترمذي .

(٥) الصف (٦)

(٦) البقرة (١٢٠)

أما الاستشراق :

فهو عناية المتخصصين منهم بدراسة الدين الإسلامي ووضع الشبهات التي تنطلي على جمهرة المسلمين الجاهلين بإسلامهم ، حتى قال كلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقاً : إنكم لن تستطيعوا السيطرة على المسلمين مادام هذا القرآن بين ظهرانيهم﴾ فاتهموا الإسلام بالرجعية والتأخر وحَمَلَتُه بالعمالة للأجنبي ، وإن الإسلام يظلم المرأة وإن على المرأة أن تتبرج وتتخلع عن كل خلق ودين حتى تتحر وتنطلق . وكل هذا كان ، فما جنيناً إلا واقعاً نحسد عالم الحيوان على عالمهم حيث محي من عالمنا الكثير من المعاني التي فطر الله الحيوان عليها من الرحمة والاستغناء عند الشبع والغيرة على العرض .

وأما التبشير :

فدعاة النصرانية ينشئون مؤسسات ومدارس ورياض للاطفال في ديار المسلمين ليخرجوا لنا جيلا لا يعرف له ربا ولا دينا ولا يدين بالولاء إلا إلى دول الكفر والصليب الحاقد والنجمة السداسية المعلونة .

☆وأما موقف المسلم منهم :

١ ـ فاذا كان إسلامنا يجيز لنا أن نأكل من طعامهم وأن نتزوج العفيفات من نسائهم لقوله تعالى ﴿وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ ولكن نهانا الله من أن نعطي ولاءنا ومحبتنا فالتسامح في المعاملات الشخصية لا في التصور الإعتقادي .

٢ ـ ثم إن إسلامنا أوجب علينا المخالفة وجعل ضياع الأمة إنما سببه اتباع اليهود والنصارى والتشبه بهم جاء في الحديث «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أنهم دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : اليهود والنصارى قال : فمن أي فمن غيرهم»(٣) وجاء في السنة أوجهاً كثيرة

للمخالفة :

أ - في المظهر في الحديث : «خالفوا اليهود والنصارى حفوا الشوارب واطلقوا اللحى»[1].

ب - في بنائنا للمساجد : «لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد»[2]

جـ - ولا يجوز للمسلم أن يشهد أعيادهم لقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾[3] قال مجاهد والقاضي أبو يعلى: «هي أعياد المشركين» .

٣ - وهناك حكمان شرعيان غفلنا عنهما وتركناهما من ضمن الإسلام الذي تركناه :

الأول : إن بناء الكنائس محرم في بلاد المسلمين وخاصة في جزيرة العرب للحديث :«لايجتمع دينان في جزيرة العرب» قال ابن عباس : وكل مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه بيعه» والبيع معابد النصارى رواه أحمد ، قال الاصمعي وابن سلام : وحد الجزيرة من عدن إلى ريف العراق طولاً ومن تهامة إلى ما وراءها إلى أطراف الشام عرضاً» .

الثاني : يحرم إعلان أعياد المشركين في ديار المسلمين للفتوى العمرية التي أفتاها سيدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول : «اجتنبوا المشركين في أعيادهم لأن السخط يتنزل عليهم» وكلا الأمرين غير متحقق في ديارنا لسببين الأول لهواننا وذلنا على الله تعالى فجعلنا أذلة لأعدائه والثاني لموالاتنا لأعداء الله تعظيماً لهم وسيدي عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: لا تعزوهم وقد أذلهم الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) رواه الحاكم

(٢) رواه مسلم

(٣) الفرقان (٧٢)

أهـل الكتاب

قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]

بهذه الآية الكريمة كان رسول الله ﷺ يضمن رسائله إلى الملوك ككسرى وقيصر والنجاشي يدعوهم إلى كلمة سواء لا اعوجاج فيها ، يقف الجميع أمامها ، وهي كلمة التوحيد ونبذ الشرك وهي دعوة لا يأباها إلا كل مفسد متعنت .

فما أهل الكتاب ؟ وما عقيدتهم ؟ وما أسباب فسادهم ؟ وما موقفنا منهم ؟

☆ - **أما أهل الكتاب** : فهم اليهود والنصارى . فأما اليهود فكتابهم التوراة ، وأبرز أنبيائهم هو موسى عليه السلام ، وأما النصارى فكتابهم الانجيل ونبيهم هو عيسى عليه السلام .

١ - والمسلم يدعو ربه في كل صلاة بل في كل ركعة أن يجعله الله تعالى على الصراط المستقيم وهو الإسلام فلا ينحرف إلى يهودية أو نصرانية . قال تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾[2] آمين . سئل الرسول عليه الصلاة والسلام من هؤلاء المغضوب عليهم قال اليهود والضالين هم النصارى»[3]

٢ - وهم يسعون جاهدين أن يُخْرجوا المسلم من إسلامه ، قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ

---

(١) آل عمران (٦٤)

(٢) الفاتحة (٦)

(٣) رواه أحمد والترمذي

مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[1]

٣ ـ والمسلم لا يتولاهم وإلا فليس بمسلم والموالاة معناها المحبة والنصرة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]

فاليهود والنصارى وجهان لعملة واحدة وكلاهما يد على الإسلام وأهله .

☆ ـ وأما عقيدتهم :ـ

٣ ـ فاليهود والنصارى مشركون ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ (أي يشابهون) قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3]

٢ ـ واليهود والنصارى محرفون لكتبهم . قال تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾[4] فجعل النصارى من الإنجيل (٥٠) إنجيلاً المعترف بها عندهم متي ، يوحنا ، لوقا، مرقص ، وهم ينكرون انجيل (برنابا) وهو أصح الاناجيل(لأن·فيه دعوة إلى التوحيد والإيمان بالمصطفى ﷺ ، وأما اليهود فجعلوا من التوراة تسعة وثلاثين سِفْراً أعظمها عندهم هو التلمود / المحشي بالأكاذيب والافتراءات والذي وضعه هم (الحاخامات) وادّعوا إنه من عند الله كذباً وزوراً وفيه إدعاء الحق في السيطرة على العالم .

☆ وأما أسباب فسادهم :

فالمجتمعات اليهودية والنصرانية مجتمعات فاسدة وذلك يعود لاسباب كثيرة أهمها :

---

(١) البقرة (١٠٩)

(٢) المائدة (٥١)

(٣) التوبة (٣٠)

(٤) المائدة : (٤١) .

١ ـ **إنعدام القدوة :** فصورة الأنبياء عندهم مشوهة فقد جاء في الإصحاح التاسع من سفر التكوين أن نوحاً عليه السلام هو أول من شرب الخمر ، وأن لوطاً عليه السلام سكن مغارة مع ابنتيه فجامعها بعد أن اسكرتاه ، وأن داود عليه السلام أحب زوجة قائده (أوريا) فمازال يبعثه في مقدمة الجيوش حتى قُتِل ثم تزوج بزوجته بعد أن ترملت . شلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا : وحاشا وألف حاشا لمقام الأنبياء من هذا كله ولكنه السبيل إلى استحلال كل حرام ، فإذا كانت صورة الأنبياء وهو الكمل من الناس والمصطفون الأخيار على هذا المستوى المنحط المنحرف كما صورتها الكتب المحرّفة فكيف يكون غيرهم من الاتباع .

٢ ـ **حيوانية الغاية :** فبعد أن شاعت نظرية فرويد المبنية على أن الجنس هو الغاية والهدف فهو يقول فيما يقول «إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي» «وإن الجنس لا صلة له بالأخلاق» كانت ثمرة هذه النظرية اليهودية أن اصبح الزنا في المجتمعات اليهودية والنصرانية مهنة . تتقاضي الزانية على زناها أجرة من الدولة كما هو الحال في اسرائيل والدنمارك والنمسا ، وبنفس المنهج ساروا في إفساد المجتمعات الإسلامية فقد ذكر أن (نابليون بونابرت) عندما جاء لاحتلال إحدى ديار المسلمين جاء ومعه سفينة محملة بالعاهرات فلما سئل عن سبب جلبهم معه قال : بهؤلاء افتح ديار المسلمين) أى عند ما يصبح الشغل الشاغل لشباب الأمة ورجالها أخبار العاهرات وأحوالهم ، والسعار المحموم من الشهوات فلا يلتفتون بعد ذلك إلى جراحات الأمة وهمومها وآلامها فلا حمية ولا غيرة ولا دين ولا خلق وذلك أيسر سبيل للسيطرة على أمة الحق وكذا فعلوا وواقعنا ثمرة للنصر الذى أحرزوه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

☆ وأما موقفنا منهم :

١ ـ فإذا كان إسلامنا يجيز لنا أن نأكل من طعامهم وأن نتزوج العفيفات من

نسائهم كما قال تعالى ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ هن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾[1]

ولكن نهانا أن نعطي ولاءنا لهم / والولاء هو المحبة والنصر / فالتسامح في المعاملات لا في التصور الاعتقادي . قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[2].

٢ ـ وعلينا أن نستقل استقلالا كاملاً فلا نخضع لهم ، وهناك صور للاستعمار كثيرة فهناك الاستعمار الفكري وهو أشدها ثم الاقتصادي ثم العسكري .

٣ ـ وعلينا ألا نزج بأبنائنا وبناتنا في المدارس التبشيرية في البلاد جهلا منا وسذاجة وغباء ، علما أنهم يلتمسون افسادنا بأساليب أهمها الاستشراق والتبشير : أما الاستشراق فهو أن يتفرغ علماءهم لدراسة الاسلام / لا ليتعرفوا على ما فيه من أحكام والعمل بها ، وانما ليضعوا الشبهات والشكوك التي يمكن ان تنطلي على الكثير من ابناء المسلمين ، قال تعالى :
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]
وأما التبشير : فهو العمل على أقامة المؤسسات التعليمية من رياض الأطفال ومدارس وجامعات في ديار المسلمين لينشئوا جيلا من المسلمين حاقداً على إسلامه ، يحمل اسماء المسلمين ولكنه من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله . محبته وولاؤه لأعداء الله ، لذا تجد أن الذين يتصدون للمسلمين في بلاد المسلمين ليسوا هم اليهود والنصارى إنما هم المسلمون بعد أن تربوا على موائد الغرب حتى أصبحوا بمنزل الكلب الأمين الوفي لصاحبه .

٤ ـ وعلينا ألا ننسى أبدا ما فعلوه في ديار المسلمين في أفغانستان ، في سوريا وفي آرتيريا ومصر والأندلس والله قادر على أن يجدد فينا الأمل للنهوض

(١) المائدة (٥) .
(٢) المائدة (٥١) .
(٣) آل عمران (٧١) .

بأعباء الدولة الإسلامية إلى سابق عهدها المشرق العزيز وما ذلك على الله بعزيز . وصدق الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

(١) الحج (٤٠) .

الشيوعية

قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(1) لو أوكل الله تعالى حفظ دينه إلينا لضاع وأندثر منذ زمن بعيد ، ولكنه نور الله تعالى وقد تعهد الله تعالى بحفظه من أعداءه الكافرين به ، ومن الكافرين هم الشيوعيون .

فما الشيوعية ؟ وما مبادؤها ؟ وما موقف المسلم منها ؟

أما الشيوعية : فهي مذهب من المذاهب الهدامة ، أنشأها كارل ماركس في عام ١٨٤٧م . وكارل ماركس هذا يهودي كغيره من أصحاب المبادىء الهدامة كفرويد الذي نادى بالنظرية الجنسية ، وإن الغاية من الوجود هي الشهوة الجنسية ، ومالتس الذي دعا إلى تحديد النسل حسب نظرية الإنفجار السكاني علماً أن هذه النظريات رفضها ويرفضها العقلاء من الغرب عندما جربوها وأثبتوا عوراها في واقعهم ، لذا فهم حريصون أن يصدروها إلينا حتى تفعل فعلها فينا ، أما وقد فعلت ، حيث تسنىٰ لأعداء الله من يهود ونصارى وشيوعية أن يمدوا أيديهم بالسوء إلى عقيدة الأمة وأموالها وأعراضها بلا نكير ولا إعتراض .

واليهود أحقد الناس على الإسلام وأهله قال الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾(2) وجاء في الحديث : «ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله»(3) وقد أجمع العلماء وأفتوا أن الشيوعي كافر، ومن اعتنق مبدأهم من المسلمين مرتد عن الإسلام لا يُغْسَل ولا يكفن ولا يقبر

---

(١) التوبة (٣٢)

(٢) المائدة (٨٢)

(٣) رواه الحافظ ابن مردويه

في مقابر المسلمين ، ويقتل للحديث : «من بَدّل دينه فاقتلوه»[1] وأنه لا تؤكل ذبيحته ولا يزوج لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾[2]

وأما مبادؤهم : ـ

١ ـ **الإلحاد:** وذلك بإنكار وجود الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، يقول ماركس ويابئس ما قال: «لا إله والحياة مادة»، ويقول لينين: «إن الله فكرة خرافية إختلقها الإنسان ليبرر عجزه». وهم الذين يقولون:«إذا كان الله موجوداً فلم لا نراه ؟» ونقول لهؤلاء الجهلة : ليس كل ما لا تدركه حواسك ليس بموجود لأن الحواس قاصرة عن الإحاطة بكل شيء فالعين لا ترى الكهرباء ولا جاذبية الأرض ، ولا الجراثيم إلا بإستعمال آلة التكبير «المجهر» وصدق الله العظيم ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾[3] . وحاسة سمع الإنسان قاصرة لا تسمع إلا ماكانت ذبذبته من ٥ ـ ٢٠ ألف ذبذبة في الثانية ، فما كان أقل من خمسة آلاف أو أكثر من عشرين ألف ذبذبة فلا تسمعه أذاننا من أصوات موجودة ، وحاسة شم الإنسان قاصرة بل من الحيوان من هو أقوى من الإنسان في هذه الحاسّة ، ثم إن في إسلامنا أن سبب عدم رؤيتنا لله تعالى إنما هو ضعفنا فقد سأل موسى عليه السلام ربه أن يراه «قال ربي أرني أنظر إليك» فأخبره ربه أنه لا يستطيع أن يتحمل تجليه سبحانه ثم علق الرؤية بالجبل فإن استطاع الجبل أن يثبت للرؤية فإن موسى سيقوى لتلك الرؤية قال الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]

---

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) البقرة (٢٢١)

(٣) الحاقة : (٣٨ ـ ٣٩) .

(٤) الأعراف : (١٤٣) .

ويوم القيامة سوف يرى المؤمنون ربهم ، قال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] وللحديث : «أنكم سترون ربكم كما ترون القمر أي في الوضوح لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فأفعلوا» أي صلاة الصبح والعصر[2]

٢ ـ **تحطيم الأسرة** : الأسرة أساس المجتمع ولكن في المجتمع الشيوعى العلاقات الجنسية المحرمة ، والنسل غير الشرعي هو الأساس ، والدولة هي التي تتولى رعايتهم حتى ينشئوا على عبادة طواغيتهم . وغايتهم من ذلك حتى لا ينفرد الوالدان بتربية الولد تربية مناهضة لحكمهم ومبادئهم ، ثم إشغال الشباب بالإباحية الجنسية أما في إسلامنا فإن النكاح آية من آيات الله وسكن ومودة ورحمة قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[3] مودة في بداية الزواج حيث الرغبة والشهوة فإذا بردت الشهوة وكثرة العيال كانت الرحمة .

٣ ـ **محاربة الإسلام وأهله** : ومن جرائمهم أن الصين التي كانت شيوعية وروسيا قتلوا خلال ربع قرن ٢٦ مليون مسلم ، وفي يوغسلافيا قتل مليون مسلم خلال عام واحد وما أحدثه الروس في أفغانستان حيث قتل إلى الآن ما يزيد عن مليون مسلم أفغاني ، ومازالوا إلى اليوم يضعون البشر في مفارم اللحوم فيخرجون كتل من اللحم البشري وغير هذا كثير مما يغفله إعلامنا الساقط الذي لا يحسن إلا نقل أخبار العاهرات وعريهم وأخبار العابثين من اللاعبين اللاهيين ، والأغنياء الأغبياء الذين يحسنون الإنفاق في كل وجه حقير فأحدهم أعطى عاهرة نصف مليون دينار ما لو أنفقه على أمة لأغناهم وسد جوعتهم وفتحت له الجنة على مصراعيها إن شاء الله ولكنه الغبي الذي آثر ان يلقى ناراً وقودها الناس والحجارة .

---

(١) القيامة ٢٢ ـ ٢٣

(٢) متفق عليه

(٣) الروم (٢١)

وأما موقفنا كمسلمين منهم :

١ ـ فعلى الآباء أن يحصنوا أبناءهم أمام مثل هذه التيارات الجارفة وكثير من أبنائنا الذين ذهبوا للتعليم في دول أوربا رجعوا ولا دين لهم ، والسبب أن الآباء أرسلوهم بلا حصانة ولا توعية فَسُلِبَ عقله ، وفتح فاه أمام تلك البنايات والعمارات والزخرف البراق والأزياء الفاضحة فأنتكس على عقبه. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ ـ أن نرتقي بأمنياتنا فلا تكن الغاية هي المأكل والمشرب والسيارة الفارهة ، والمرأة الحسناء فهذه أمنيات تافهة إذا قيست بما ينبغي على المسلم أن يربي نفسه عليه من الشهادة في سبيله سبحانه والجهاد ، للحديث :«من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[١] ، «من مات ولم يغزوا ولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية»[٢]

٣ ـ وعلينا أن نقف مع إخواننا المجاهدين في أفغانستان وغير أفغانستان ، وأمتنا آثمة آثمة . والله محاسبنا أشد الحساب لتقاعسنا عن أداء واجب الأخوة ، والغيرة على ديننا ، ولنعلم أن الدائرة ستدور علينا يوماً ما في عقر دارنا إن لم نكن من أهل الجهاد وصدق الله العظيم ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣]

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه مسلم

(٣) التوبة (٣٩)

سابعاً:

مناسبات متجدّدة

الإسراء

قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١)
شاءالله تعالى الذي لا راد لمشيئته سبحانه، القادر على كل شيء، أن يسرى بحبيبه المصطفى ﷺ من البيت الحرام إلى بيت المقدس ثم العروج إلى السموات العلا ثم اللقاء بجبار السموات والأرض سبحانه .

فما الإسراء والمعراج وما صفته ؟ وما الشبهات التي يثيرها المنحرفون حوله ؟ وما الحكمة منه ؟

☆ **الإسراء :** فهو رحلة أرضيه تمت بقدرة الله تعالى من مكة إلى بيت المقدس .

☆ **وأما المعراج :** فهو رحلة سماوية تمت بقدرة الله عز وجل من بيت المقدس إلى السموات العلا ثم سدرة المنتهى ثم اللقاء بالعظيم سبحانه .
ولقد كان ذلك كله بجسده ﷺ وروحه فلم يكن رؤيا منام أو غفوة

واستدل على ذلك العلماء بقوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرىٰ بعبده﴾ فقد بدأ بالتسبيح وهو تنزيه الله عن أن يعجز عن أمر ، وهذا لايكون إلا في العظائم ولو كان الأمر مناماً لما كان مستعظماً ، لأن كل إنسان يرى في منامه أماكن وأشخاص بعيدين عنه كل البعد ، واستدل العلماء أيضاً بكلمة «بعبده» والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح والمقصود به المصطفى ﷺ .

---

(١) الاسراء (١)

وأما صفته :

١ ـ **فآلة الركوب كانت هي البراق :** والبراق اسم لدابة أتاه بها جبريل عليه السلام فركبها المصطفى ﷺ فكانت تضع حافرها عند منتهى طرفها»[(١)]

٢ ـ **ثم آتى بيت المقدس :** وصلى بالأنبياء اماما.

٣ ـ **ثم عرج به إلى السماء فاطلع على أهل الجنة واطلع على أهل النار :** إطلع على أهل الجنة فرأى أقواماً يزرعون يوماً ويحصدون يوماً وكلما حصدوا نما الزرع كما كان . فقال من هؤلاء يا جبريل : قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله «ان الله يخلف عليهم ما بذلوا»[(٢)] وصدق الله العظيم ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ وجاء في الحديث :«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا»[(٣)] وأمتنا تركت الجهاد بمالها ونفسها فأذلها الله إذلالاً لم تشهده أمة قط وسلط عليها أراذل خلقه الذين لعنهم بكتابه ، كيف لا وأموال أغنياء المسلمين بل أغبياء المسلمين تنفق في كل سبيل إلا فيما يحبه الله . فأى بلاء وبلاء ينتظر الأمة جزاء غفلتها وإنحرافها نسأل الله العافية . وإطلع على أهل النار : فآتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضحت عادت كما كانت فقال ياجبريل من هؤلاء : قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة»[(٤)] فالرؤوس التي كانت تحفظ كل موعد بشري يزيد من رصيدها وتتجاهل موعدها مع الله في الصلاة تستحق أن تسحق فلا كرامة لها ثم أتى على قوم يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي

(٢) البيهقي عن أبي هريرة

(٣) متفق عليه

(٤) دلائل النبوة للبيهقي

قـال من هؤلاء يـا جبريـل : قـال : هـؤلاء الـذين لا يـؤدون صـدقـات أمـوالهم»[1] وأي درك حيـواني أعظم من أن يرى المسلم الغني أخــاه الفقير فلا يعينـه وهـو قـادر . ثم أتى على قـوم بين أيـديهم لحم من قـدر نضيـج ولحم آخر خبيث فجعلوا يـأكلـون من الخبيث ويـدعـون النضيـج الطيب فقال : يا جبريل من هؤلاء قال : هـذا الرجل يقوم وعنـده امرأة حلالاً طيبـاً فيـأتي المرأة الخبيثـة فتبيت معـه حتى تصبـح»[2] والنفـوس الخبيثـة (نفوس الزناة) لا تجد لـذتهـا إلا في الجيف من النسـاء ، ونفس المؤمن أعزّ وأكرم من هذا الإنحدار .

وأما الشبهات التي يثيرها المنحرفون حول الإسراء والمعراج :

فقولهم إنّ العقل لا يصدق ذلك الارتفاع في طبقـات الجو وبهـذه السرعـة الخـارقـة ؟ ونقول لهؤلاء إنـه لا يشـك في أمر الإسراء والمعراج مؤمن جـاد ولا ملحد جاد ، لأن المؤمن الجاد في إيمانه ما يغنيه عن السؤال ، والملحد الجـاد في إلحاده قد أنكر أموراً أعظم من الإسراء والمعراج نفسه ، ولكن غـالبـا مـا يطرأ كل ذلك على صاحب الايمان الهزيل ونقول للجميع :

١ ـ المـؤمن يعلم إن الله سبحـانـه هـو الـذي أنـزل آدم وزوجــه من السماء إلى الأرض قال تعالى : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾[3] ويعلم أيضـاً ويؤمن أن الله سبحانه رفع عيسى عليـه السلام من الأرض إلى السماء ، قـال تعـالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ ﴾[4] فكيف يستكثر على أحب الخلـق إلى الله تعـالى أن يعرج بـه مـولاه وهـو إمــام المرسلين وسيد الأنبياء أجمعين .

---

(١) البيهقي

(٢) البيهقي في دلائل النبوة

(٣) البقرة : (٣٨) .

(٤) آل عمران : (٥٥) .

٢ ـ والمؤمن يعلم ان تطور العلوم أدى إلى سرعة انتقال الانسان من مكان إلى آخر في دقائق معدودة بدل الأيام والأشهر والسنين التي كانت تقضى على ظهور الجمال ، وإن سرعة الضوء (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية وإن ضوء الشمس وهي تبعد عنا (٩٣) مليون ميل يصل ضؤوها في (٨) دقائق . والله تعالى هو خالق الضوء والشمس والإنسان وعقله أفنستكثر على جبار السموات والأرض أن يرفع نبياً من أنبيائه فيختزل له أمر الزمن . خاصة إذا علمنا أن اسم الدابة هو «البراق» والقاعدة العلمية تقول «القوة تتناسب تناسباً عكسياً مع الزمن» أى كلما زادت القوة قل الزمن فكيف إذا كانت القوة هى قوة الله تعالى حيث لا زمن أصلاً يمكن أن يُحسب بعد ذلك.

٣ ـ ونقول أيضاً إذا كان الله تعالى أعطى عبداً من عبيده القدرة على أن ينقل عرش ملكة سبأ في جنوب اليمن إلى فلسطين في غمضة عين ؟ قال تعالى على لسان سليمان :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾[١] فكيف بالخالق سبحانه .

الدروس المستفادة :

١ ـ وحدة الأنبياء في دعوتهم ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾[٢]

ولقاؤه بالأنبياء وصلاته بهم إماماً دليل وحدة في الدعوة إلى التوحيد .

٢ ـ تعريف بقدرة الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٣] وقد رأى النبي

(١) النمل : ٣٨ ـ ٤٠

(٢) آل عمران : (٨١) .

(٣) المدثر : (٣١) .

ﷺ البيت المعمور الذي في السماء السابعة «فإذا هو يدخله سبعون ألف ملك كل يوم إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»[١].

٣ - تعريف بقدر رسول الله ﷺ وكأن لسان الحال يقول إن كان أهل الأرض لم يعرفوا قدرك فإن أهل السماء قد عرفوه فأنت إمام المرسلين ، وأنت حبيب رب العالمين .

٤ - كانت إيناساً لرسول الله ﷺ وقد لقي من عنت المشركين وأذاهم الشيء الكثير وتأمل في دعائه يتدفق لوعة وحرقة لإعراض الناس عن دعوته ، مع كمال التفويض والتوكل على الله عند ما ذهب يدعو ثقيفاً إلى الاسلام : فردوا عليه رداً سيئاً ثم اغروا به سفهاءهم يضربونه بالحجارة فخرج والدم يسيل من قدمه الشريف حتى وصل إلى بستان بعيد عنهم ، وتوجه إلى الله يقول «اللهم إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو مَلَكْتَه أمرى ، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحلّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[٢] فكان الإسراء والمعراج رياضة روحية يجدد فيها رسول الله ﷺ العزم . ويتزود للمهمة الكبرى التي كلفه الله بها.

٥ - كان الإسراء محنة واختباراً للأصحاب وصدق الله العظيم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً ﴾[٣] وكم كان موقف الصديق أبوبكر رضي الله عنه عظيما ولقب بسببه بالصديق . عندما جاءته قريش يقولون له (إن صاحبك يقول إنه أسري به إلى بيت المقدس وعاد في ليلة واحدة)

---

(١) رواه البخاري .

(٢) قبسات من حياة الرسول ص٥٨

(٣) الاسراء (٦٠)

فقال الصديق : (إن كان قد قال فقد صحيح) هكذا ... وبدون بحث أو استقصاء ، وتلك مواقف الرجال تكون ، أما أشباه الرجال الذين تعبث بثقتهم وإيمانهم نسائم الصباح ، فماذا تنتظر منهم عند أعاصير الفتن ، وصرصرة الريح العاتية ، وهذا ما ابتلي به الصف المسلم لفقدانه المحك والتربية بالأحداث التي تكشف معادن الرجال ، وحقائق بواطنهم .

الهجـــرة

﴿الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الـذين كفروا ثـاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ التوبة ٤٠ ٤٠

الهجرة وغير الهجرة لا تدرس بمعزل عن معية الله ، ونصره لأوليائه ، وتأييده لرسله ، ولو أن إى فكرة أو منهج أو دعوة تعرضت لما تعرض له الاسلام من كيد وعداوة وتشويه وابادة لما بقيت لها بقية ولكنه نور الله سبحانه وقد تولى الله حفظ دينه بنفسه .

فما الهجرة ؟ ولماذا ؟ وما الدرس المستفادة منها ؟ وما الذي يجب على المسلم في هذه الذكرى العطرة ؟

أما الهجرة :لغة : هي الترك

اصطلاحا : هي انتقال النبي ﷺ من مكة إلى المدينة لاقامة دولة الاسلام .

وينبغي أن تعلم : أن الهجرة على نوعين هما :

١ ـ **عامة :** وهي هجرة كل مسلم ومسلمة ما نهى الله عنه ورسوله ، قال تعالى : ﴿والرجز فأهجر﴾ قال ابن عباس : (الرجز) الأصنام وقال الضحاك : الرجز المعصية»[1] وللحديث :«والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» .

٢ ـ **خاصة :** وهي أن يترك العبد البلد الذي لا يأمن فيه على دينه وعرضه وماله إلى بلد يأمن فيه ولا يجد ما يحول بينه وبين تعبده لربه والدعوة إليه . هذا إذا عجز عن المواجهة والتغير وسمى رب العزة من يرضى بالمقام في دار يفتتن فيها بدينه ويستطيع الخروج ولا يخرج ظالماً لنفسه قال

---

(١) ابن كثير ج٣ ص٥٦٨

تعالى : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا : كنا مستضعفين في الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾ يقول شهيد القرآن في ظلاله : فهذا حكم عام يلحق كل مسلم تناله الفتنة في دينه في أية أرض وتُمْسكه أمواله ومصالحه أو قراباته وصداقاته أو اشفاقه من الام الهجرة وتباعها متى كان هناك ـ في الأرض في أي مكان ـ دار للإسلام يأمن فيها على دينه ويجهر فيها بعقيدته ويؤدي فيها عباداته ويحيا حياة إسلامية في ظل شريعة الله»[1].

وأما لماذا الهجرة :

١ ـ فالهجرة سنة مطردة كذا قال ورقة بن نوفل عندما ذهبت خديجة رضي الله عنها برسول الله ﷺ إليه ليخبره بخبر الوحي والقرآن الذي أنزل عليه في غار حراء، قال ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها:قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني لقد جاءه الناموس الأكبر (أي الملك الموكل بالوحي) الذي كان يأتي موسى وأنه لنبي هذه الأمة» ثم قال لرسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ، ولتؤذينّه ، ولتخرجنّه ، ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنك نصراً يعلمه»[2] لم يكن ورقة قارئاً للكف ولم يكن مُنجماً وإنما كان مطّلِعاً على سنة الله تعالى في الأنبياء والرسل ، وموقف أقوامهم منهم فمن قبل إبراهيم عليه السلام ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3] وهذا شعيب : ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ

(١) في ظلال القران ج٢ ص٥٠١ النساء ٩٧ ـ ٩٨ . ـ
(٢) مختصر سيرة ابن هشام ص٤٨
(٣) العنكبوت : (٢٦)

﴿ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ ﴾[1]

وهذا لوط: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[2] وفي رسول الله ﷺ في تآمرهم قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[3] .

٢ ـ ولابدّ من الهجرة فإن فيها إرغام لأنوف الطغـاة وفتح لأبواب الرزق قـال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾[4]

قـال ابن كثير :والمراغم مصـدر تقـول العرب : راغم فـلان قـومـه مراغمـاً واصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب أي يجد متسعاً يفـارق فيـه قومـه ومن الضيق الـذي كان فيـه (وسعـة) أي من الرزق»[5] فقـد كان في قومـه وهم يحرصـون أن يجعلـوه في ضيــق في تعبــده ورزقــه وفي الهجرة سعــة للأمرين .

وأما الدرس المستفاد من الهجرة :

١ ـ **درس في بناء الرجال** : التربية الحقة هي التربية بالمواقف التي يفتضح عندهـا كل كاذب ومـدعي ولقـد أجرى الله سلسلـة من البلايـا المحن على الأصحاب اختباراً وتميزاً واصطفاءً للصفوة المختـارة التي تقوم على أكتـافهـا دعائم دولة الإسلام ، وكانت هذه المحن حلقات متصلة ببعضها البعض .

أ) **محنة نفسية** : من سب وشتم تعرض لها الرسول والأصحاب قال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠

---

(١) الأعراف : (٨٨)

(٢) الأعراف : (٨٢)

(٣) الأنفال : (٣٠)

(٤) النساء (١٠٠)

(٥) ابن كثير ج١ ص٤٢٧

﴿وَإِذَا انقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾[1]

ب ـ **محنة جسدية** : من تعذيب وإيلام جسدي للرسول والأصحاب : كما فعل ببلال بن رباح وعمار بن ياسر وأمه وابيه وكما فعل بسمية بنت الخياط وغيرهم كثير وكذا وضع الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد وخنقه في جوف الكعبة وهو يصلي .

جـ ـ **محنة اقتصادية** : من حبس للرسول والأصحاب في شعب أبي طالب ثلاث سنين لا يواكلوهم ولا يناكحوهم ولا يشاربوهم ويمنعون وصول المؤنة إليهم حتى أكل الأصحاب أوراق الشجر وشد الرسول ﷺ الحجر على بطنه من الجوع .

د ـ **محنة عقائدية** : بالإسراء والمعراج برسول الله ﷺ وقد كان شديداً وقعه على المشركين وضعاف الإيمان ، فالأمر يحتاج إلى كمال الإيمان بقدرة الله سبحانه وكمال الإيمان بصدق النبي ﷺ وسمى رب العزة الإسراء والمعراج فتنة فقال : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال ابن كثير : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة فأصبح يخبر قريشاً بذلك فذكر أنه كَذَبَه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد إسلامها»[2]

هـ ـ **محنة الهجرة** : وهي محنة بحق حيث ترك الأصحاب أرضهم وبلادهم وأموالهم وعلائقهم وذكرياتهم ومناصبهم في قومهم هجرة لله والرسول ، فهي محنة عاطفية بل هي محنة جمعت كل المحن التي سبقتها بين جوانبها لمن تأمل .

٢ ـ **درس في التخطيط والتنظيم** : فالهجرة درس لكل الدعاة الا يهملوا التنظيم والتخطيط في دعوتهم وعملهم ، فتكون الثمرة الفوضى والعثار والتخبط ، فرسول الله ﷺ أخذ بالأسباب وهو النبي المؤيد بمعية الله ، فجعل فتى الاسلام على رضي الله في فراشه تمويهاً ، ولم يعلم بخروجه إلا

---

(١) المطففين (٢٩ ـ ٣١)

(٢) البداية والنهاية ج٢ـ٣ ص١١٠

علي وابوبكر رضي الله عنهما وهذا درس في الكتمان ، ثم مكوثه في غار ثور ثلاثاً حتى يهدأ المشركون عن طلبه ، وجعل اسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام وعامر ابن فهيرة يرعى الغنم لاخفاء الأثر ، وجعل عبد الله بن ابي بكر يتسمع أخبار قريش فيوافيه بها ، وجعل عبد الله أرقط دليلا للطريق .

٣ ـ **درس في تفجير الطاقات** : كان رسول الله ﷺ حريصاً أن يشعر كل الأصحاب بواجبهم تجاه الدعوة الإسلامية ، فالكل مسئول والكل له دور يؤديه ولم يجعل الرسول ﷺ أمر الهجرة معلقاً به وحده فذلك مخالف لمبدأ الإعداد والتوجيه والتربية فترى الجميع مكلف الفتى والمرأة والشيخ والشاب وفي ذلك اشارة إلى اكتشاف الطاقات وتوجيهها للعمل حتى تستشعر جنديتها وأنّ لها دور ومكانة وعمل .

٤ ـ **درس في بيان حقيقة الخلق الجاهلي** : كان العرب يدعون أنهم أصحاب خلق من كرم ونخوة وشهامة فلما بعث النبي ﷺ فضح ذلك الزيف كله، فالعرب هم الذين حاصروا رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب ثلاث سنين فأين كرمهم؟ والعرب هم الذين قتلوا سمية بنت الخياط في موضع عفتها فأين نخوتهم ؟ والعرب هم الذين حاولوا أن يقتلوا رسول الله غيلة وغدراً بأن أتوا من كل قبيلة برجل فيضربوا رسول الله ﷺ وهو نائم ضربة رجل واحدافيضيع دمه في القبائل فلا يستطيع بنو هاشم أن يطالبوا بدمه وثأره ، فأين شهامتهم ؟ نقول : إن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم خلق وإنما هي عادات وتقاليد وأعراف وحب للظهور والذكر ثم البيئة القاسية اجبرتهم وعلمتهم حاجة بعضهم إلى بعض فالخلق لا يستقيم إلا بدين يقول ابن خلدون في مقدمته : العرب أمة همجية ولا يسوسها ولا يهذبها إلا الدين» والرسول في أحلك اللحظات يوصي علياً بأداء الأمانات إلى أهلها .

٥ ـ **درس في اليقين** : فهذا سراقة بن مالك يسمع بالجائزة التي رصدت لمن

يأتي برسول الله ﷺ حياً أو ميتاً يسعى للفوز بها حتى يدرك رسول الله ﷺ وصاحبه ، فكان كلما أراد الوصول عثرت به فرسه وغاصت قوائمها في الأرض وتكرر الأمر مرات فألتفت إليه رسول الله ﷺ وقال : ارجع ولك سواري كسرى» ويعود سراقة وتمضي السنون والأحداث وتأتي خلافة الفاروق ويدمر رب العزة دولتي كسرى قيصر تحت قدمه ويؤتى بكنوز كسرى بين يدي عمر رضي الله عنه وفيها أساور كسرى ، فيطلب عمر رضي الله عنه سراقة فيؤتى به وهو شيخ ضرير فيقول له عمر : ألم يعدك رسول الله ﷺ بسوارى كسرى يوم هجرته وهذه سوارى كسرى وفاءً عن رسول الله ﷺ فيلبسها سراقة وهو يبكي بكاء تصديق ويقين لصدق المصطفى ﷺ.

٦ - **درس في المعية** : وقد أحاط المشركون بغار ثور وأبوبكر رضى الله عنه مشفق على رسول الله ﷺ أن يصيبه أذىً . ورسول الله ﷺ في كمال الاطمئنان والثقة بمعية الله فهو يقول : ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ وحمى الله رسوله بغشاء بيت العنكبوت وحمامة جالسة على بيضها فجعل المشركون ينظر بعضهم في الغار وقالوا : رأينا حمامة بفم الغار فعرفت أنه ليس فيه أحد»[١] فما أهون البشر على الله تعالى ، وما أبطل تدبيرهم .

٧ - **درس في الشكوى ولمن تكون** ؟ وقلب الداعية لا ينخلع إلا إلى الله تعالى : وهذا رسول الله ﷺ يدعو «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني إلى بعيد يتجهني أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل فيَّ غضبك أو تحل عليَّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[٢] .

---

(١) دلائل النبوة ج٢ ص٤٩١

(٢) البداية والنهاية ج٢ ص١٣٦ جز٣

وسرعان ما كانت المبشرات من إسلام عداس ومن الجن سبعة نفر وأنزل الله تعالى فيهم قوله ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[١] ثم العقبة الأولى والثانية ثم الهجرة .

٨ - **درس في الأخوة الإسلامية الحقة** : إن لفظ الإخوة قد فقد معناه في زمننا بل أصبح مفهوم الإخوة قاصر على من ينتمون إلى نفس الفصيلة أو المجموعة أو الجنسية أو البلد فظهرت لنا نماذج هي سبة في الإسلام والعمل الإسلامي حيث العناية بالمظهر لا المخبر ، والكلام لا العمل ، والمهاجرون عند ما دخلوا المدينة استقبلهم أخوانهم من الأنصار استقبالا سجّله علام الغيوب فقال : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٢] فلم ينظروا إليهم أنهم أجانب أو مرتزقة جاؤا لنهب خيرات البلاد ، ولم ينظروا إليهم نظرة إزدراء واحتقار وشعور بالخيرية والتفضل ، لقد كانوا بحق رجال .

٩ - **درس في بيان دور المسجد ومكانته** : وأول عمل قام به النبي ﷺ هو إقامة المسجد وشارك الجميع ومعهم رسول الله ﷺ إعلاماً بما للمسجد من دور عظيم لو عرف المسلمون ؟ فالمساجد هي مصانع الرجال حيث العلم النافع والتربية السلمية والتوجية المبارك . ومنه كانت تنطلق الجيوش وتعبيء ، ومن المساجد كانت تخرج قرارات القيادة الإسلامية ، وفيه تحل الخصومات وتستقبل الوفود ، ويتدرب المقاتلون على السلاح وتعقد الأفراح وتقام ، كما أن فيه مجتمع المسلمين حيث يتفقد بعضهم بعضاً ويؤدي كلٍ ما له وما عليه من حق الإسلام تجاه أخوانه ودينه .

١٠ - **درس في التعامل** : المسلم كَيس فطن وعليه أن يعرف كل شيء عن عدوه . ويتعامل مع أعداء الله بالغموض فلا يكن ساذجاً . فهذا رسول

---

(١) الاحقاف : ٢٩)

(٢) الحشر (٩)

الله ﷺ وهو في طريق هجرته الميمونة لقيا رجلاً شيخاً وسألاه عن قريش ، ثم قال الشيخ : من أين القوم فقال رسول الله ﷺ نحن من ماء ، أي خلقنا من ماء ، هناك قبيلة اسمها (ماء) ظن الشيخ إنها منها»[1] فلا يجوز أن يتعامل المسلم مع أخوانه بأسلوب التورية ، والمعاريض واللفظ المحتمل لعدة معاني فهذا دليل ضعة وقلة دين وتربية معوجة ، وكم رأينا من هذه النماذج التي تعجل من طريق الله والدعوة إليه طريقاً محفوفاً بالمنغصات والمهازل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما موقف المسلم من الهجرة :

١ ـ أن نراجع أنفسنا ماذا قدمنا لإسلامنا ولأنفسنا وهذه الأيام بل السنوات تمضي والفضيل بن عياض يقول : يا ابن آدم إنما أنت عدد فإذا ذهب يومك ذهب بعضك» وجاء في بعض كتب الله المنزلة : إن لله ملكاً ينادي يا أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده ، ويا أبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ويا أبناء السبعين هلموا إلى الحساب، ورسول الله ﷺ يقول: «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين واقلهم من يجوز ذلك» [2] ثم خالدين فيها أبدا إما الى جنة أو إلى النار .

٢ ـ أن نأخذ بالتاريخ الهجري فأعداء الله حريصون أن يمسخوا الأمة في كل أمرها حتى في تسمية الأشهر والتقويم ويوم راحتها بالإضافة إلى أمور هي أكبر وأعظم من تنحية منهج الله سبحانه فالأولى بكل مسلمٍ أن يحترم تاريخ هجرة النبي ﷺ ويُعَلِّم غيره أن يحرص على التعامل به .

٣ ـ أن نعدّ العدة وأن نأخذ بالأسباب لما يعيد للإسلام مجده وعزه حتى نجد عزتنا ومجدنا . والمتأمل يرى أن الخلافة العثمانية الإسلامية هُدِمَت سنة ١٩٢٤ أي قبل ستين سنة كانت هناك دولة إسلامية مترامية الأطراف

---

(١) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب

(٢) رواه الترمذي

محكومـة بكتـاب الله والسنـة ، ولكنـه كيـد مبيت ، وأمـة لاهيـة ، وإذا أردنا العزة والإعزاز لدين الله فلا بد من الوحدة العـالميـة والعمل الجـاد ، المنظم ، وتجاوز الخلافات التافهة إذا قيست بما ضاع منا بسببها .

بــدر

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]

كان المسلمون أذلة في عددهم وعدتهم في غزوة بدر ولكنهم كانوا ينتسبون إلى الله سبحانه فتولى الله أمرهم .

فما بدر وما هي الدروس المستفادة منها ؟ وما سنة الله في إنكسار الجيوش وانتصارها ؟

أما بدر : فهي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة وقد سمى الله هذا اليوم يوم الفرقان . لأنه اليوم الذي فرق بينه بين الحق والباطل ، سمع النبي ﷺ أنَّ عيرا لقريش مقبلة من الشام فيها ثلاثون رجلاً فخرج إليها فلما علم أبو سفيان قائد العير بعث ضمضم بن عمرو الغفاري يستحث قريشا الخروج ولكن أبا سفيان استطاع أن ينجو بالقافلة ، ولكن قريشاً أبت إلا أن تظهر لنفسها على المسلمين . فاستشار الرسول ﷺ أصحابه فعلم منهم الجد ثم دارت رحى الحرب ونصر الله المؤمنين . ويحلوا لبعض التافهين ان ينتقدوا خروج النبي ﷺ ويصفون الأمر سلباً ونهباً وقطعاً للطريق كما يفعل الشطار ونقول لهؤلاء : أن أموال المحاربين لا حرمة لها كما قرر الفقهاء ثم ضف أن قريشا سلبت أموال المسلمين وممتلكاتهم سوى الاعتداء على أرواحهم . وقانون التعويض والمعاملة بالمثل معترف به دولياً ولا ينكره عاقل .

وأما الدروس المستفادة منها :

١ ـ **درس في العقيدة :** نعم إن ارتفاع معنويات الجيش عامل مهم في

(١) آل عمران (١٢٣)

انتصاره فكيف بأصحاب النبي ﷺ وقد تربوا على عقيدة القضاء والقدر والإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، جاءت آية القضاء والقدر في سياق جهاد ومعركة قال تعالى : ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)
فأي إيمان وأي أندفاع يكون عليه من تربي على قول المصطفى عليه الصلاة والسلام . وأعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» (٢) حتى يقول خالد بن الوليد لرستم : «لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»

٢ - **ودرس في الفهم الشامل لهذا الدين :** مهمة الرسول ﷺ ومن سار على دربه تعبيد الناس لرب العالمين وإظهار دين الله على كل شيء ومنهج قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٣) فمن وقف عقبة أمام إظهاره وجبت محاربته ومجاهدته . فلم يكن رسول الله ﷺ اماما في مسجد أو قاض في محكمة إنما كان زعيم أمة ومرب وهاد ونبيّ ولم يكن أصحاب النبي ﷺ متعبدين بالصلاة والصيام فقط ، وإنما كانوا متعبدين بالجهاد فقال تعالى :﴿كتب عليكم القتال﴾ ويقول : ﴿كتب عليكم الصيام﴾ فكلاهما فرض وكلاهما عبادة .

٣ - **ودرس في الولاء ولمن يكون :** والولاء معناه المحبة والنصرة والأصل ان تكون لله ورسوله والمؤمنين فإذا كنت ناصرا لاعداء الله ورسوله والمؤمنين فأنت منهم للحديث :«من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر

---

(١) التوبة ٥٠ ـ ٥١

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

(٣) التوبة (٣٣) .

كلمة لقي الله مكتوبا بين عينية يـائس من رحمـة الله»[١] . إن العلاقـات تبنى على أســاس من المحبـــة والبغض لله ، أمـــا الحب على غير أســـاس واحتضـان الفسقـة وأعـانتهم والاستعلاء وسوء الأدب مع أخوانـه فهـو من الورع الكاذب والفهم السقيم .

وأما سنة الله تعالى في انتصار الجيوش وإنكسارها :

أ ـ فـإن سنـة الله جرت أن ينصر من ينتسب إليـه سبحـانـه وأن يخـذل من يعاديه ويحاربـه قـال تعـالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢] أما أن تنتسب أمتنا إلى الشرق أو الغرب ويعيشون أذنابـا لهم ، يعظمـون أعـداء الله ويلتمسـون رضى يهـود ونصـارى والله يقـول : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾[٣] فـأي بيـان أوضح وأي قول أفصح من هذا القول لكنـه الإنحراف عن منهج الله تعـالى يورث أتباعه الغباء والحيرة والقلق والخطأ .

ب ـ ثم إن سنة الله جرت أن يخذل الأمة الظالمة ، يقول ابن تيمية رحمـه الله : أن الله لينصر الأمة الكافرة إذا كانت عادلة وإن الله ليخذل الأمـة المسلمـة إذا كانت ظـالمـة» جـاء من يبشر عمر رضي الله عنـه بـانتصـار المسلمين في أحدىٰ المعـارك فسـألـه عمر رضي الله عنـه متى كانت المعركـة قـال غـداة (صباحاً) فقال عمر ومتى انتصرتم قـال عشيـة (مسـاء) فـأمسـك عمر رأسـه بيـديـه وهو يقول : الله الله لا يصبر البـاطل أمـام الحق من الغـداة إلى العشي إلا لذنب أحدثته أو أحـدثتموه . «ويكتب رضي الله عنـه إلى أحـد قـواده بعـد أن تـأخر فتحهم والله إني لا أخشى عليكم كثرة عـدوكم ولكنى أخشى عليكم كثرة الذنوب» .

---

(١) أخرجه ابن ماجة .

(٢) المجادلة : (٢١) .

(٣) البقرة : (١٢٠) .

وبيت المقدس بيت الله وبيوت الله بيوت طاهرة ولن تعود إلا على أيد متوضئة لم تتلوث بالقتل لمن يقولون لا إله إلا الله ولله در الشاعر إذ يقول :

وهم على الشعب آساد ضراغمة ... وفي المعارك غزلان رعاديد
ياقوم فاستأصلوهم إنهم خبث ... في جسمنا دونه التيفود والدود
ثم اذكروا سير الأبطال عاطرة ... ياقومنا ولدين المصطفى عودوا
أن تنصروا الله ينصركم وليس لمن ... حادوا عن الدين إعزاز وتأييد

العيد

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾[١]

يقول ابن عباس : منكساً أي عيداً . والأعياد أما أن تكون شرعية/ شرعها الله لعباده وأما أن تكون بدعية / أحدثها الناس من عند أنفسهم / فأعيادنا نحن المسلمين عيدان لا ثالث لهما عيد الفطر وعيد الأضحى ,وماعداهما فهو ابتداع في دين الله لا صلة للمسلمين به .

فما الفرق بين عيدنا وأعياد غيرنا كأهل الكتاب ، وبماذا خالف النصارى المسيح عليه السلام وما موقفنا منهم ؟

☆ أما الفرق بين عيدنا وأعياد أهل الكتاب :

أ ـ أننا نستقبل أعيادنا بالتكبير والتهليل والحمد والتوحيد لله تعالى رب العالمين ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[٢] ورسول الله ﷺ يبرأ إلى الله تعالى من أن يغالي المسلمون فيعظمون قبره فيقول : «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد»[٣] ويقول «لاتتخذوا قبري عيداً»[٤] وأما في أعياد أهل الكتاب ففيها التأليه والتعظيم لغير الله تعالى كما في عيد الفصح وعيد الميلاد وصدق الله العظيم «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله»

---

(١) الحج (٣٤)

(٢) البقرة (١٨٥)

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٣٣٢

(٤) رواه أبو يعلى والقاضي

ب ـ وفي عيدنا طهر وعفاف وصدقة . فالمسلم في عيد الفطر بعد أن أتم رياضة الصوم ، وربي نفسه على تعظيم ومخافة الله في السر والعلن لاتجرأ نفسه إلى الحرام بعد ذلك ، وفي عيد الأضحي إما أن يكون المسلم حاجاً إلى بيت الله الحرام . يعيش أياماً كلها تقوى وجهاد وتعبد . وأما أن يكون في بلده وقلبه هناك حيث الحجيج، ويذبح الذبائح ويقسمها على المحتاجين.

وأما أعياد غيرنا ففيها الفجور وفيها الخنا والدعارة والزنا ولله در عمر رضي الله عنه إذ يقول : «اجتنبوا أهل الكتاب في أعيادهم فإن السخط يتنزل عليهم»[1] ولا يجوز للمسلم أن يحتفل في أعيادهم ولا أن يقبل هديتهم ولا أن يهدي لهم في أعيادهم كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى .

☆ وأما بماذا خالف النصارى المسيح عليه السلام فقد خالفوه :

١ ـ عندما دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده ، فتركوا عبادة الله وعبدوه . قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[2] وكيف يكون إلهاً :

أ ـ وأول كلمة نطق بها وهو في المهد ﴿إني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ مريم (٣٠)

ب ـ وهو يأكل ويشرب ويحتاج الى قضاء الحاجة ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾[3] مما هو منزه عن الله .

جـ ـ ثم دعواهم أنه قد صلب ونفى القرآن ذلك بقوله «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» إلى قوله﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما﴾[4] ولكن على فرض دعواهم أنه إله كيف ترضون لإلهكم أن يصفع ويوضع

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص١٨١

(٢) المائدة (٧٢)

(٣) المائدة (٧٥)

(٤) النساء : ١٥٧ ـ ١٥٨

على رأسه تاجاً من الشوك والأتيان به إلى الصليب حيث سمر به وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب . أهكذا يكون ويفعل بالآلهة لعنهم الله بما يقولون وتعالى علوا كبيرا»[1] ويوم القيامة يبرأ المسيح من أتباعه المنحرفين ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2] .

٢ ـ تكذيبهم وعدم إيمانهم بمحمد بن عبدالله ﷺ وقد بشر به المسيح عليه السلام وأخذ العهد عليهم بالإيمان به قال تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[3] قال ابن عباس رضى الله عنه ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد ، لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه»[4] وصدق الله العظيم ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى قالوا أقررنا واشهد بأننا مسلمون﴾ وفي الحديث «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن إلا حرم الله عليه الجنة»[5]

٣ ـ تحليل ما حرّم الله من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير على لسان المسيح عليه السلام وحاشاه فقد جاء في العهد الجديد (وتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة) (وسمى الخنزير الدابة النجسة) ومن علامات الساعة الكبرى نزول

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن القيم
(٢) المائدة ١١٦ ـ ١١٧
(٣) الصف (٦)
(٤) مختصر ابن كثير ج١ ص٢٩٦
(٥) رواه أحمد ومسلم

المسيح عليه السلام وفي الحديث «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»[1] ولكنهم أحبار السوء ورهبان الفساد الذين غيروا وبدلوا .

دخل عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ وهو يقرأ قول الله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ فقال عدي : يا رسول الله ماتخذناهم أرباباً ، فقال ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فأطعتموهم ، قال نعم فقال : فذلك عبادتكم أياهم»[2] .

☆ وأما موقفنا منهم :

١ ـ إذا كان إسلامنا يبيح لنا أن ننكح من نسائهم أو أن نأكل من طعامهم لأنهم أصحاب دين سماوي مع ما أصابه من التحريف والتبديل ، قال تعالى : ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ والزواج بهم وإن كان جائزاً إلا أنه مكروه ، لأنه لا يؤمن أن يميل إليها فتفتنه عن دينه أو يناصر أهل دينها إذا كان مائعا في إسلامه وإلتزامه كما ذكر العلماء[3] .

٢ ـ وإذا كان إسلامنا يتسامح في المعاملات الشخصية فانه ينهانا ان نتولاهم ومن الموالاة :

أ ـ التوسع في استعمالهم وإطلاعهم على أسرارنا ، قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾[4] والبطانة الذين يطلعون على مداخل أمرك، قيل لعمر رضي الله عنه : إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة (نصراني) حافظ كاتب فلو إتخذته كاتباً فقال : قد إتخذت إذن بطانة من دون

---

(١) رواه البخاري

(٢) مختصر ابن كثير ج٢ ص١٣٧ سورة التوبة (٣١)

(٣) فقه السنة ج٢ ص٩١

(٤) آل عمران (١١٨)

المؤمنين»[1] فإذا وجدت كفاءات مسلمة . ونصرانية فيلزم الحرص على الكفاءات الإسلامية وألا نجعل الحركة الاقتصادية وغيرها كالتعليم في البلاد بأيد نصرانية عابثة يصفها خالقها فيقول : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[2] ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[3] .

٣ - وأن نحذر تقليدهم فهم يتخبطون في ظلمات بعضها فوق بعض ، وأن نوقن أن في إسلامنا وديننا ونبينا خير قدوة ونهج حياة ، وفي الحديث «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى أنهم لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه»[4] وفي رواية : «حتى لو كان فيهم من أتى أمه لكان في أمتي من يفعل ذلك ، قالوا : اليهود والنصارى قال : فمن غيرهم»[5] .

---

(١) مختصر ابن كثير ج١ ص٣١٣

(٢) آل عمران (١١٨)

(٣) البقرة (١٠٩)

(٤) متفق عليه

(٥) روه الحاكم .